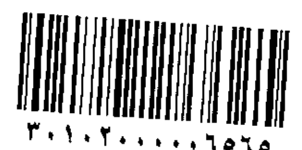
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
قسم العقيدة



المعاد الأخروي وشبهات العلمانيين

عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب
عـــواد بـــرد جـــاعد العنـــزي

إشـــــــراف
الأستاذ الدكتور / أحمد بن سعد الغامدي

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : عواد بن راجح العنزي كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه في تخصص : ....

عنوان الأطروحة : ((المصادر الأخروي ومنهاج العلمانية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٧ / ٣ / ١٤٢٦هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : أ.د/ أحمد بن سعد الغامدي	الاسم : أ.د/ محمد بن عبد الرحمن ...	الاسم : علي بن ...
التوقيع : [توقيع]	التوقيع : [توقيع]	التوقيع : [توقيع]

يعتمد

رئيس قسم

الاسم : د/ عبدالله بن محمد القرني

التوقيع : [توقيع]

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

ملخص الرسالة

تناقش هذه الرسالة مسائل المعاد الاخروي وشبهات العلمانيين حولها وتتألف من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة . وقد جعلت الباب الأول في العلمانية وذلك بتعريفها ؛ وذكر بداية ظهورها ، وتطورها ، ثم دخولها إلى للعالم الإسلامي ، وأول طلائعها ، ثم مجالات انتشارها ، وحكم الإسلام فيها ؛ ثم ذكرت المعاد الأخروي وتعريفه وحكمه وأدلته وعقيدة اليهود والنصاري فيه . وفي الباب الثاني : ذكرت الحياة البرزخية وشبهات العلمانيين حولها بداية من حقيقة الموت وانتهاء عند سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه .

وفي الباب الثالث ذكرت شبهات العلمانيين حول اليوم الآخر بداية من النفخ في الصور وبعث الاجساد والحشر مروراً بالفصل والحساب والصحف والميزان والصراط والحوض وانتهاء عند مباحث الجنة ونعيمها والنار وجحيمها .

مروراً بحقيقة الروح ومستقرها بعد الموت .

ثم ذكرت في الباب الرابع الأسباب والاهداف التي ادت لاثاره الشبهات حول المعاد الاخروي ،ثم بينت أثارها على الفرد والمجتمع .

وقد عرضت شبهات العلمانيين حول كل مبحث من مباحث المعاد الاخروي ورددت عليها بالادلة النقلية والعقلية مبيناً بطلان هذه الشبه وتهافتها .

وتتلخص نتائج البحث بما يلي :

١-إن العلمانية نشأت في الغرب على انقاض تعاليم الكنسية المحرفة وطغيان رجال الدين ، ومعناها فصل الدين عن واقع ا لحياة .

٢-أول من نقلها إلى العالم الإسلامي هم النصاري العرب ، ثم وجدت من بعض أبناء المسلمين من يدافع عنها ؛ وقد انتشرت في عدة مجالات أهمها القانون الأعلام والتعليم .

٣-تلتقي شبهات العلمانيين في أنها نقول مشوهة عن عمد للتصور الإسلامي في عقيدة المعاد الاخروي؛ حيث يتعمدون الاستدلال بالاحاديث الموضوعة والضعيفة من أجل إثبات أن قضايا المعاد ما هي إلا اساطير الإولين .

٤-يعتبر الجهل والبحث عن الشهرة وارادة هدم الدين من الداخل من أهم الاسباب التي ادت إلى إثارة الشبه حول ا لمعاد .

٥-أدت أثارة العلمانيين للشبة إلى كسر هيبة النص الديني ، وتحطيم قدسيته في قلوب بعض المسلمين ومن ثم اضعاف صلتهم باليوم الآخر وانغماسهم في الملذات الدينوية .

٦-يوصي الباحث بتكثيف الدراسات حول القضايا الإسلامية المعاصرة ، وأن يعرض الإسلام بثوبه النقي الخالص حتى يكون سياجاً للأمة من كل الشبهات الفكرية .

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة
عواد برو جاعد العنـزي	أ. د/ احمد سعد الغامدي	أ.د/ محمد طاهر نور ولي

شكر وتقدير

الحمد لله الذي منّ علينا بالإسلام ، ويسر لنا طريق طلب العلم الشرعي ، وإنني إذ أتممت هذا البحث ، فإني أتقدم بالشكر العاطر لجامعة أم القرى – حرسها الله – ممثلة بمديرها معالي الأستاذ الدكتور سهيل بن حسن قاضي ، وعميد كلية الدعوة وأصول الدين الدكتور محمد طاهر نور ولي ، ورئيس قسم العقيدة الدكتور عبد الله القرني ، وكل الأساتذة الفضلاء على ما يقومون به من جهدٍ لتيسير أمور طلبة العلم الشرعي .

والشكر الوافر مبذول لأستاذي المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور أحمد بن سعد الغامدي على توجيهاته السديدة وكرم أخلاقه ونبل معدنه .

والدعاء مبذول للأستاذين المناقشين اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة ، سائلاً الله لهم التوفيق في الدنيا والآخرة على ما جادا به من وقت وابداء الملاحظات عليها .

والشكر موصول لكل إخواني اللذين ساعدوني بمشورة أو إعارة كتاب وأخص بالشكر أخي الدكتور حاكم المطيري الأستاذ بكلية الشريعة ، جامعة الكويت .

إلى كل هؤلاء ، خالص شكري وعميق امتناني ، وصادق دعائي ، أن يرزقنا الله وإياهم الإخلاص ، وأن يجمعنا في دار كرامته ، إنه جواد كريم .

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة   أعلى من الشكر عند الله في الثمن
إذاً منحتكها مني مغطرةً   شكراً على صنع ما أوليت من منن

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ،، أما بعد . .

قبل خمسة عشر قرناً كانت البشرية تتخبط في دياجير ظلمها ، وكانت الجزيرة العربية تعيش في جاهلية جهلاء ، ووثنية عمياء ، حيث كانت تنام على الظلم ، وتصحو على السلب والنهب ، وتتلمس حاجاتها وشفاء كلومها عند بقايا الرمم وضرائح الموتى ، إلى أن أرسل الله عز وجل رحمته المهداة محمداً ﷺ ، فكان مبعثه ﷺ هداية للبشرية ووأداً للشرك وأهله ؛ وذلك بإخراج العباد من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ؛ ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام .

لقد كان مبعثه عليه الصلاة والسلام إيذاناً بانتهاء استعباد الإنسان للإنسان ، وتوجيهاً للبشرية لتوحيد العزيز الرحمن ، ولم يتوف ﷺ إلا وبيارق لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ترفرف في سماء الجزيرة العربية ، مؤذنة بميلاد أعظم أمة عرفتها البشرية ، هذه الأمة الإسلامية التي فتحت نصف العالم في نصف قرن ، وحطمت أعظم امبراطوريتين في ذلك الزمن (فارس والروم) في سنوات قليلة ، وصدق عليها قوله جل وعلا : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [١] .

لقد عاشت هذه الأمة أكثر من ألف سنة في مقدمة الأمم ؛ عزيزة مرهوبة الجانب ؛ حملت خلال هذه الفترة حضارة الإسلام الزاهرة إلى بقية أمم الأرض ، بعلمها وخلقها وإيمانها بموعود ربها قبل أن تشهر السيف كحل أخير في وجه أعداء الإسلام ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً راغبين بما عند الله والدار الآخرة ، وبما أعده لعباده الصالحين .

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

لقد عاشت هذه الأمة أكثر من ألف سنة في مقدمة الأمم ؛ عزيزة مرهوبة الجانب ؛ حملت خلال هذه الفترة حضارة الإسلام الزاهرة إلى بقية أمم الأرض ، بعلمها وخلقها وإيمانها بموعود ربها قبل أن تشهر السيف كحل أخير في وجه أعداء الإسلام ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً راغبين بما عند الله والدار الآخرة ، وبما أعده لعباده الصالحين .

ويوم أن كانت الأمة الإسلامية تعيش قرونها الزاهرة كانت أوروبا تعيش تحت طغيان الكنيسة ، وترزح تحت حكم رجال الدين الذين حرموا البحث العلمي ، ونصبوا المشانق ، وفتحوا المعتقلات لكل من يمت للعلم بصلة ، مما جعل أوروبا تثور ثورتها المعروفة بالثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م ، وحاكم الشعب جلاديه ، ونبذوا الدين النصراني كراهية لما رأوه من تصرفات رجال الدين ، ثم بدأت أوروبا نهضتها المادية بعد أن نبذت دينها المحرف ، ولما بدأ الغرب في نهضته تلك ، بدأ الشرق الإسلامي في كبوته ؛ وبدأت الأمة الإسلامية تفقد ريادتها التي ميزتها طوال عصور وجودها ، وأصيبت بالإنبهار الثقافي والعلمي الذي حققته أوروبا .

ولما كانت الأمم المغلوبة مولعة بتقليد الأمم الغالبة ، فقد سرى في الأمة الإسلامية حب تقليد الغرب ، فوجد من أبناء الإسلام من ربط – عمداً أو جهلاً – بين نبذ الدين والتقدم العلمي أو ما عرف باسم (العلمانية) وهي فصل الدين عن واقع الحياة ، ودخلت العلمانية إلى العالم الإسلامي ، ووجدت من بني جلدتنا من يروج لها عن طريق الإعلام والتعليم ، فانتشرت واستشرى شرها ، حتى تمكنت من فرض هيمنتها على كثير من أصقاع البلاد الإسلامية ؛ يساعدها في ذلك الضعف والوهن والتخلف العقدي الذي دب في أوصال المسلمين ، فضعف أيمانهم بالله وباليوم الآخر ، وتحكمت فيهم الشهوات والشبهات .

وأصبح العلمانيون في العالم الإسلامي يصورون الشريعة الإسلامية كمصدر رئيس للتخلف الذي لف رواقه على المسلمين ، منادين في الوقت نفسه باللحاق بركب أوروبا عن طريق نبذ هذا الدين ، والتخلص من تراث الماضي ، ولا تتمثل خطورة العلمانيين في

رفضهم لتحكيم الشريعة في واقع حياة المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقط ؛ وإنما امتد خطرهم إلى التشكيك في أصول هذا الدين ، ودعائمة الأساسية التي يقوم عليها ؛ ومن ذلك التشكيك في (المعاد الأخروي) الذي يعتبر ركناً ركيناً من أساسيات الإسلام ،وذلك لقوله تعالى في أول صفات المتقين ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾[1] ، ومن الغيب الإيمان باليوم الآخرة ، وقال تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾[2] .

وقال ﷺ في حديث جبريل الطويل لما سأله عن الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »[3] .

ولما كان المعاد الأخروي هو المورد الإيماني الذي يتحكم في سلوك المسلم فيجعله مراقباً ذاتياً لتصرفاته ، فقد ركز العلمانيون على إضعاف هذا الجانب العقدي في حياة المسلمين عن طريق بث الشبه والأفكار الهدامة حول اليوم الآخر ، حتى قال حسن حنفي مشككاً : (الحقيقة أن أمور المعاد كلها خطأ في تفسير النصوص وتحويل للصور الفنية إلى وقائع حادثة ، فأمور المعاد لا تشير إلى وقائع مادية ، وحوادث فعلية ، وعوالم موجودة بالفعل في مكان ما يعيشها الإنسان في زمان ما ، بل هي بواعث سلوكية ، ودوافع للفعل للتأثير على السلوك)[4] .

ويقول كذلك عن الجنة والنار : (الجنة والنار هما النعيم والعذاب في هذه الدنيا ، وليس في عالم آخر يحشر فيه الإنسان بعد الموت)[5] .

---

(١) البقرة : ٣ .
(٢) البقرة : ١٧٧ .
(٣) انظر تخريجه ص ٨٢ .
(٤) حسن حنفي ، النبوة والمعاد ٤ / ٥٩٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٠١ .

ولم يكن حسن حنفي وحيداً في ساحة التشكيك بالمعاد الأخروي ، وإنما شاركه في ذلك الكثير من العلمانيين[1] ، كما سيأتي بيانه – إن شاء الله تعالى – بغية صرف الناس عن الدين الإسلامي ، وجعل هذه الدنيا مسرحاً لملذاتهم ونزواتهم ؛ ومما يزيد الأمر خطورة أن هؤلاء العلمانيين استطاعوا نشر آرائهم وشبهاتهم في جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، وركزوا خاصة على مجال الصحافة والكتاب ؛ مما استدعى وجوب الرد على شبهاتهم ؛ وكشف مخططاتهم أمام المسلمين ؛ حماية للأمة من شبهات المبطلين .

ولما كان أولى الناس بالردود العلمية طلاب الجامعات الإسلامية ؛ لذا رأيت – إسهاماً مني – أن أقوم بإعداد دراسة علمية عن (المعاد الأخروي وشبهات العلمانيين) ليكون موضوعاً لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى .

وكان من أهم الأسباب الداعية إلى اختياري هذا الموضوع ما يلي :

١ – كثرة الشبهات وانتشار التشكيك من قبل العلمانيين في مسائل المعاد الأخروي .

٢ – ما ترتب على شيوع هذه الشبهات بين أبناء المسلمن من انحلال أخلاقي وضعف عقدي كان سببه أصلاً كسر هيبة النص الديني من خلال كثرة الشبه التي يبثها هؤلاء العلمانيون .

٣ – قلة الدراسات الأكاديمية – حسب علمي – في هذا الجانب المهم .

٤ – إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية التي هي أحوج ما تكون الآن إلى الدراسات المعاصرة التي تكشف شبهات الأعداء وترد عليها .

---

(١) انظر مثلاً : د/ فؤاد زكريا ، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، ص ٧١ ، طبعة ١٩٨٥ ،دار التنوير للنشر ،بيروت .

وقد عنونت للبحث بعنوان :

المعاد الأخروي وشبهات العلمانيين

عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

وأما الخطة فهي ما يلي :

تتكون الخطة من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة :

* **المقدمة** : وفيها أهمية الموضوع والدوافع لاختياره وخطة البحث .

* **الباب الأول : العلمانية والمعاد الأخروي** : وفيه فصلان :

الفصل الأول : العلمانية : وفيه مباحث :

- المبحث الأول : تعريف العلمانية .
- المبحث الثاني : بداية ظهور العلمانية .
- المبحث الثالث : تطور العلمانية .
- المبحث الرابع : أسباب نشأة العلمانية في العالم الإسلامي .
- المبحث الخامس : طلائع العلمانية في العالم الإسلامي .
- المبحث السادس : مجالات انتشار العلمانية في العالم الإسلامي .
- المبحث السابع : حكم الإسلام في العلمانية .

الفصل الثاني : المعاد الأخروي : وفيه مباحث :

- المبحث الأول : تعريف المعاد .
- المبحث الثاني : حكم المعاد وأدلته .
- المبحث الثالث : عقيدة اليهود والنصارى في المعاد الأخروي .

* **الباب الثاني : الحياة البرزخية وشبهات العلمانيين** : وفيه فصلان :

الفصل الأول : الموت وشبهات العلمانيين : وفيه مباحث :

- المبحث الأول : حقيقة الموت .

الفصل الثاني : آثار شبهات العلمانيين على الفرد والمجتمع .

الخاتمة : وفيها نتائج البحث .

وقد عالجت قضايا البحث المذكورة آنفاً وفق الخطوات التالية :

١ – استقراء النصوص التي تتعلق بالمعاد الأخروي من القرآن والسنة ، وأقوال سلف هذه الأمة .

٢ – في أغلب المباحث التي تتعلق بالمعاد الأخروي ، أبدأ بتعريف المبحث لغة واصطلاحاً ، ثم أذكر ما ورد فيه من آيات القرآن الكريم ؛ ثم الأحاديث الصحيحة التي تخدم هذا المبحث ، ثم أذكر أقوال السلف حتى يكون ذلك توطئة سليمة للقارىء في تصور العقيدة السليمة في مباحث المعاد الأخروي .

٣ – أذكر شبهات العلمانيين الواردة حول كل مبحث من مباحث المعاد ، ثم أرد عليها وفق منهج الكتاب والسنة الذي سار عليه أهل السنة والجماعة ؛ وربما استعنت بردود بعض الفلاسفة المسلمين أو متكلمي المعتزلة بما يتوافق مع عقيدة أهل السنة والجماعة من أجل إلزام الخصم بالحجة ، ولأن أصل الخلاف هو بين اللادينيين العلمانيين وبين الإسلام بمفهومه العام الواسع .

٤ – الدلالة على مواضع الآيات القرآنية في الحاشية وذلك بذكر السورة ورقم الآية .

٥ – تخريج الأحاديث تخريجاً مختصراً ، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بذلك ، فإن لم يكن فإني أخرجه من كتب السنة واجتهد في البحث عمن حكم بصحة ذلك الحديث .

٦ – توثيق القضايا العلمية الواردة في البحث من مصادرها الأصلية مع الإحالة إلى أكبر قدر منها إذا دعت الحاجة إلى ذلك ؛ وحتى يستفيد القارىء أو من يريد الاستزادة حول هذا الموضوع .

٧ – التعريف ببعض الأعلام والمصطلحات والفرق ، مما رأيت أنه يحتاج إلى التعريف به إما إذا كان العلم أو المصطلح واضحاً من سياق البحث فأني لا أعرف به .

٨ – التعليق على بعض المواضع التي تحتاج إلى أيضاح أو تنبيه ، أو ربطها بموضوع آخر في البحث .

٩ – وضع فهارس تفصيلية تسهل الوصول إلى المعلومات الواردة في البحث ، وتشمل فهرس الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأعلام ، والغريب ، وفهرس المراجع والمصادر ، وفهرس المواضيع .

هذا وقد واجهتني بعض الصعوبات في بعض مراحل البحث كان أهمها تشتت مراجع البحث ، وندرة كتب العلمانيين (التي يصرحون فيها بشكوكهم وشبهاتهم) في بلاد الخليج ، مما حداني إلى السفر بحثاً عنها في مكتبات مصر ، وبيروت ، والمغرب ثم كان العائق الآخر هو فرز المعلومات الواردة في عشرات الكتب هذه ، وربما قرأت الكتاب أو غالبيته ولم أجد شبهة تتعلق (بالمعاد الآخروي) مع كثرة الشبه والافتراءات على بقية أصول الإسلام وأسسه .

وعند الله احتسب هذا الوقت سائلاً الله جل جلاله التوفيق والسداد ، وأن يجعلنا أنصاراً لدينه ؛ وأن يستعملنا فيما يحبه ويرضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

الباب الأول

العلمانية والمعاد الأخروي

الفصل الأول

العلمانية

المبحث الأول : تعريف العلمانية .

المبحث الثاني : بداية ظهور العلمانية .

المبحث الثالث : مراحلها وتطورها .

المبحث الرابع : العلمانية في العالم الإسلامي (أسباب النشأة) .

المبحث الخامس : طلائع العلمانية في العالم الإسلامي .

المبحث السادس : مجالات انتشار العلمانية في العالم الإسلامي .

المبحث السابع : حكم الإسلام في العلمانية .

الفصل الأول: العلمانية

المبحث الأول : تعريف العلمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول

❖ تعريف العلمانية : -

العلمانية بفتح العين يقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة : (Secularism)وأصلها لاتيني هو : (Saecularis) ويعني : " الدهر (Age) ، أو : " العالم " (World) أو : " الزمن " (The Times) ؛ والعلماني : عكس الديني ، ويستخدم اصطلاحاً للإشارة إلى مدخل للحياة ينفصل تماماً عن الدين ، ويتشكل كلية باهتمامات زمنية دنيوية [1] .

وتدور معاني العلمانية على (الدنيوية) ، أو (اللادينية) حيث جاء في معجم ويبستر العالمي :

(١ - علماني : (Secular) ، دنيوي : (Worldly) ، أو لا ديني : (Pagon) ، ومن معانيها : الشئ الذي يحدث مرة واحدة في عصره أو جيل أو شئ مرتبط بعصره ، وأشهر معانيه الآن : الأمور الدنيوية المتمايزة عن الأشياء الروحية ، غير العقدية ، وغير التي لها صفة الخلود .

٢ - ويرى ماندن Manden : أنها ليست من الأشياء المتعرضة للناحية الدينية أو مخصصة لها ، في مجالات الدراما [2] والموسيقى والتراتيل ، أو أنها تعني فصل كل ما هو ديني عن كل ما هو غير ديني يعني مدني .

---

(1) Reese , W.L. : Dictionary of Philosophy and Riligion , Eastern and Western Thougt , (Newjersey , Harvester Press , 1980) .

(٢) الدراما : مصطلح يعني أدب المسرح من كلمة اغريقيه تعنى الحدث او الحالة او العمل ، وقد عرفها الاغريق وتبلورت في عهدهم ، واختصت بعرض قصة بعد ان كان المسرح مقتصراً على المسائل الدينية وطقوسها وهي على عدة انواع .

للاستزادة انظر : - المعجم المفصل في الادب . د/ محمد التونجي ٢/ ٤٣٦ط الاولى ١٩٩٣ دار الكتب العلمية بيروت .

- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ص ١٠٩ ط الثانية ١٩٨٤ دار العلم للملايين بيروت .

- معجم المططحات العربيه مجدي وهبة ص ١٦٧ ط الثانية ١٩٨٤ مكتبة لبنان .

٣ – ويرى ارنولد توينبي A. Toynbee : أنها شئ مرتبط بالحكم والحكومة ، والحاكم العلماني : من غير الدينيين (القساوسة) وقد تعني : ملاك الأرض والمتفعين بها ، ولا يحكمها هيكل الحكم الديني ، ومن ثم فهي شئ عقلاني يقوم أساساً على القيم المنفعية في المجتمعات التي لها سمات المجتمعات الصناعية الحديثة التي تتعارض مع العقيدة ، وترتبط بالعلمانية الدنيوية .

٤- ويرى فرشيلد H.N. Fairchild : – إن العلماني : هو الإنسان المستنير الذي يبحث عن المباحث الإنسانية .

٥ – ويرى لويس ورت Louis Wirth : – إن العلماني : هو الذي ينبذ الإيمان المطلق ، ويعبر عنه بالنظرة العلمانية للإنسان الحديث بمعنى : الحياة في العالم ؛ وليس في دير ؛ أو في مجتمع ديني ، مع عدم الارتباط بالآراء الاكليركية [١] ، واللاهوتية [٢] ، وبحيث تكون أفكاره متعارضة تماماً لأفكار الراهب الناسك .

أما العلمانية (Secularism) : فهي رؤية للحياة أو في أي أمر معين يعتمد أساساً على أنه يجب استبعاد الدين ، وكل الاعتبارات الدينية وتجاهلها ، ومن ثم فهي نظام أخلاقي يعتمد على قانون يقول : – بأن المستويات الأخلاقية ، والسلوكيات الاجتماعية يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى الحياة المعاشة والرفاهية الاجتماعية دونما الرجوع إلى الدين . . .) [٣] .

وجاء في معجم اكسفورد Oxford عند كلمة (Secular) : –

١ – دنيوي ، أو مادي ، ليس دينياً ولا روحياً : مثل التربية اللادينية ، الفن أو الموسيقى اللادينية ، السلطة اللادينية ، الحكومة المناقضة للكنيسة .

---

(١) الاكليركية : ترجمة لكلمة clireg وتعني جال الدين المسيحي .
انظر : microsoft word prog. 1998

(٢) اللاهوتية : تنقسم الى لاهوت طبيعي ، ولاهوت مسيحي ؛ فالطبيعي هو فهم طبيعة ووجود الله ، والواجب ، والحرية وخلود الانسان حسبما هو معتقد في الفكر الغربي والذي يمكن التوصل إليه من خلال التفكير المنطقي العقلاني في العالم ، واما اللاهوت المسيحي فهو التعاليم المتعلقة بشخص يسوع المسيح من حيث التمييز بين طبيعته البشريه او الإلهية كما يعتقد النصارى .
آنظر : المعجم الموسوعي للديانات د/ سهيل زكار ٢/ ٧٤٨-٧٤٩ ط الاولى ١٩٩٧ دار الكتاب العربي دمشق .

(٣) Webesters Third new Internatinal Dicionary, U S A , P . 2050 Merriam C O . 1971 .

٢ - الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية .)[١]

وتذكر دائرة المعارف البريطانية شرحاً لكلمة (Sicularism) : -

(هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف وجهة الناس من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ؛ ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر ؛ وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ (Sicularism)تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية ، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية ، وبإمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه الدنيا القريبة ؛ وظل الاتجاه إلى الـ (Sicularism) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله ، باعتبارها حركة مضادة للدين ، ومضادة للمسيحية .)[٢]

ومع أن الـ (Sicularism) ليس لها أي علاقة - من قريب أو بعيد - بالعلم (Sci-ence) إلا أن العلمانيين العرب حاولوا صرف الكلمة عن مدلولها الحقيقي وإلباسها ثوب العلمية فزعموا أن اشتقاق (العلمانية) من (العلم) وأنه (ذو أساس ثابت في حاضر اللسان العربي المتحقق وهو مندرج في قاعدة صرفية واضحة . .)[٣]؛ ولكن الصحيح أن (العلمانية وضعت بادئ ذي بدء في أواسط القرن التاسع عشر في مقابل كلمة (Sicularism) الإنجليزية و (Laicisme) الفرنسية وكان أسبق الواضعين لها اللغوي التركي (شمسي)[٤] واقتبسها عنه المعلم بطرس البستاني في معجمه محيط المحيط ، كما تبناها الدكتور /خليل سعادة في معجمه الكبير (الانجليزي العربي)وشاعت شيوعها الكبير بين الناس بكسر العين

---

(١) Oxford Advanced Learners Dic . of Current English p . 785 .

(٢) Encyc . Britanica . v . Ix . P : 19 .

(٣) د/ عزيز العظمة ، العلمانية من منظور مختلف (ص :١٨) ، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٢ م ؛ وانظر كذلك أحمد حاطوم ، العلمانية بكسر العين لا بفتحها - مجلة الناقد - عدد : ٢٠ فبراير -١٩٩٠م (ص :٤٤) .

(٤) أقدم وثيقة تعرضت لترجمة مفهوم العلمانية هي (قاموس فرنسي عربي) ومؤلفه هو لويس بقطر المصري وجزؤه الأول مطبوع في باريس عام ١٨٢٨ م والثاني ١٨٢٩ م .

أ.د عبد الصبور شاهين ، العلمانية تاريخ الكلمة وصيغتها ، ملحق كتاب د/ السيد أحمد فرج ، جذور العلمانية (ص : ١١٧) - ط : ٥ (١٩٩٣م) - دار الوفاء - مصر .

وهو خطأ فاحش إذ لا علاقة للأصل اللاتيني بالعلم من قريب أو بعيد ، وإنما صحتها بفتح العين وتسكين اللام بمعنى : العالم الدنيوي ، وذلك بزيادة الألف والنون ويتأصيل هذه الكلمة صرفوها تصريف المزيد من الأفعال ، أو الملحق بالمزيد فقالوا عَلْمَنَ السلطة أي جعلها بأيدي العامة وهذا متفق مع الأصل اللاتيني لأن الـ (Laicisme) تعني الإشاحة عن الانتساب إلى فئة الكهنوت ، فهي مفرغة من أي محتوى إيجابي ، وأعني خلوا من أي مفهوم عقدي ، ولذا درج الباحثون الاجتماعيون على مصطلحي العلمانية المؤمنة [١] ، والعلمانية الملحدة ، وساعدهم على هذا أنها بنفسها - وضعاً واستعمالاً - لا تشتمل على محتوى معين .) [٢]

وقال د /عبد الحليم محمود - رحمه الله : (العلمانية هنا ترجمة عليها بصمات أداة النسب السريانية لكلمة (Laigue) بالفرنسية ويقصدون بها : - لا دينية ؛ منسوبة إلى العَلْم بفتح العين لا بكسرها كما يخطئ الأكثرون ، متوهمين أنها من العِلم بكسر العين وليست به ، وهي بهذا تكون منسوبة إلى العَلْم بفتح العين وهو العالَم بفتح اللام ، أو الدنيا التي هي في مقابل الآخرة . . الخ) [٣] .

والحاصل أن العلمانية هي فصل الدين عن الدولة أو بصورة أشمل فصل الدين عن واقع الحياة تماماً لكي يتمكن أصحابها من « إقامة الحياة على غير الدين ، سواء بالنسبة للأمة أو الفرد ، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود : فبعضها تسمح به ، كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية ، وتسمى منهجها (العلمانية المعتدلة - Non Religious) ؛ أي : مجتمعات لا دينية ولكنها غير معادية للدين ، وذلك مقابل ما

---

(١) الإسلام والعلمانية لا يلتقيان إلا إذا التقى الإسلام والكفر ، والمقصود هنا بالعلمانية المؤمنة : أي العلمانية التي تتخذ موقفاً محايداً من الدين - أي دين - فترضى بحرية الشعائر الدينية في إطار أماكن العبادة فقط ؛ بخلاف العلمانية الملحدة التي لا تعترف بالأديان أصلاً ومن ثم فهي تسعى إلى وأدها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً كما في الاتحاد السوفيتي سابقاً والدول الشيوعية عموماً .

(٢) عبد الله العلايلي (أستاذ علم اللغة اللبناني) نقلاً عن أحمد حاطوم -ص ٤٥ العلمانية مرجع سابق .

(٣) د / عبد الحليم محمود ، مقدمة كتاب دلائل النبوة ومعجزات الرسول ، دار الإنسان ١٣٩٤ - القاهرة .

وهو رأي د / محمد البهي كما في الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر - (ص : ١٥) - الطبعة الثالثة - ١٩٨٢م - مكتبة وهبة - القاهرة .

يسمى (العلمانية المتطرفة - Anti Religious) أي : المضادة للدين ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها .

ويدهي أنه بالنسبة للإسلام لا فرق بين المسَمَيَيْن ، فكل ما ليس دينيا من المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين ، فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما »[1].

(١) د/ سفر الحوالى ، العلمانية - (ص : ٤٢) ، الدار السلفية - ١٩٨٧م - الكويت .
وانظر أيضاً محمد محمود ربيع وإسماعيل صبري - موسوعة العلوم السياسية - (ص :٢٩٨) - ط : جامعة الكويت .

الفصل الأول: العلمانية

المبحث الثاني :بداية ظهور العلمانية

المبحث الثاني

بداية ظهور العلمانية

❖ مدخل :

من المعروف تاريخياً أن (العلمانية) كان أول ظهورها في الغرب وأنها بنيت على أنقاض تعاليم الكنيسة المحرفة غير أن الباحث في تاريخ المسيحية يلحظ أن الكنيسة وسلطة رجال الدين لم تكن معروفة زمن عيسى عليه الصلاة والسلام (وإذا ما قلنا بأن المسيح صرح للحواريين الاثنى عشر بسلطة ما - وهذا محل جدل حتى اليوم - فمما لا شك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي هو من سلطان في التبشير بالتوبة ، وبحلول مملكة الله ولم يضع منهم قساوسة حيث لم يكن في حاجة إلى ذلك ، وعلى أي حال ، فإننا عندما ندرس ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسة) [١] ؛ غير أن بذرة التسلط الديني عند رجال الدين المسيحي من خلال الكنيسة بالرغم من ضعفها في أول الأمر - تبدو من القول المنسوب للمسيح عليه السلام مخاطباً القديس بطرس : (وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات) [٢] .

ثم بنيت الكنيسة بناء على النص السابق (وكانت في بادئ أمرها هيئة بسيطة من المؤمنين تختار لها واحداً أو أكثر من الكبراء أو القساوسة ليرشدها ، وواحداً أو أكثر من القراء والسدنة والشمامسة ليساعدوا الكاهن) [٣] ؛ بيد أن هذه البساطة ومع مرور الزمن تحولت إلى طغيان

---

(١) شارل جينيبر ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة د/عبد الحليم محمود - (ص : ١٣٠ - ١٣١) - المكتبة العصرية - بيروت .

(٢) انجيل متى (١٦/١٨) - دار الكتاب المقدس الشرق الأوسط .

(٣) ول ديورانت ، قصة الحضارة (١٢/٩٢) ، ترجمة د/ زكي نجيب محمود ومحمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الثانية - ١٩٥٦ م - القاهرة .

كنسي جارف إذ أصبحت الكنيسة هي المتصرفة في أحوال الناس وأمسى (البابا) صاحب أعلى سلطة على أرض الواقع المسيحي ؛ حتى قال البابا غريغوريس السابع : (أن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله ، تستمد نفوذها من الله مباشرة ، وتمد هي ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ ، وأن البابا له مركز فذ في العالم ، فهو الذي يولي الأساقفة ويخلعهم ، وله الحق في خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون) [١] .

لقد كان الكبت العلمي مع ما يقابله من طغيان رجال الكنيسة من أهم الأسباب التي بذرت بذور التفرقة بين الدين والدولة والفصل بين الكنيسة والعلم خاصة بعد ما رأي الناس – في ذلك الزمان – الشأو البعيد والبون الواسع بين ما تدعو إليه الكنيسة ورجالها من تسامح وأخلاق وبين الفساد العريض الذي كان يجتاح من نصبوا أنفسهم خلفاء لدين المسيح عليه السلام ؛ (أن عيش القسوس ونعيمهم كان يزرى بترف الأمراء والأغنياء المترفين وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطاً عظيماً . . ويروى أن مجموع دخل مملكة فرنسا لم يكن يكفي البابوات لنفقاتهم وإرضاء شهواتهم) [٢] ، ولم يكن الفساد الكنسي سراً من الأسرار إذ كان ظاهراً لكل ذي عينين؛ ومن الأمثلة أن البابا اسكندر السادس اتخذ له عشيقة موفورة الجمال صغيرة السن تدعى (جيليا فارنيس) اغتصبها من خطيبها واحتفظ بها بعد ارتقائه كرسي البابوية وضحى في سبيلها بكل غال ونفيس ، وكان شديد الولع بالفتيات الفاتنات ، مما دعا راهباً نصرانياً وهو (سافولا رولا) أن يكتب عنه قائلاً : (أقسم لكم أن هذا الرجل ليس بابا وأؤكد أنه ليس نصرانياً ولا يعتقد بوجود الله) ؛ وقد كان هذا البابا إذا زار مدينة في رحلاته التي يقوم بها اتخذت الترتيبات لإحضار مجموعة من أجمل فتيات المدينة ليقمن بعرض راقص بملابس فاضحة أمامه . . . [٣]

(١) محمد رفعت / معالم تاريخ العصور الوسطى – (ص : ١٣٧) ، المطبعة الرحمانية ، الطبعة الأولى – ١٩٢٥م – القاهرة .

(٢) الراهب جيروم نقلاً عن أبي الحسن الندوي / ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – (ص : ١٧٢) .

(٣) د / عبد العزيز الشناوي ، تاريخ أوروبا في مطلع العصور الحديثة (١/ ١٦٧) – دار المعارف – القاهرة .

الأسباب الرئيسة لنشأة العلمانية : -

من المعروف تاريخياً أن العلمانية لم تكن وليدة فراغ ولم تنشأ من رحم العدم وإنما كان لها أسباب نجملها فيما يلي :

١ - تحريف الكنيسة لتعاليم الدين المسيحي :

عملت الكنيسة في القرون الوسطى على بسط هيمنتها بكافة الوسائل ؛ ومن ذلك نقل الاختلاقات المستمدة من الوثنية اليونانية مما شوه الدين المسيحي ومسخه تماماً ، وكان من أكثر من أبدعوا في هذا المجال (قسطنطين الثاني) ٣١٥ م الذي أعلن نفسه وصياً على الكنيسة الكاثوليكية ليفسدها من الداخل ؛ وهكذا (دخلت الوثنية والشرك في المسيحية بتأثير من المنافقين الذين تقلدوا وظائف ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية ؛ ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوماً من الأيام ؛ كذلك كان قسطنطين من هؤلاء فقضى حياته في الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلاً في آخر عمره«٣٣٧م . . ») [١] .

ونصبت الكنيسة نفسها - عن طريق المجامع المقدسة - إلها يحل ويحرم وليس لأحد حق الاستفسار فضلاً عن الاستنكار ؛ كان الختان واجباً فأصبح حراماً ، وكانت الميتة محرمة فأصبحت مباحة ، وكانت التماثيل شركاً ووثنية فأصبحت تعبيراً عن التقوى ، وكان زواج رجال الدين حلالاً فأصبح محظوراً وكان أخذ الأموال من الاتباع منكراً فأصبحت الضرائب الكنسية فرضاً لازماً ؛ وأمور كثيرة نقلتها المجامع من الحل إلى الحرمة أو العكس دون أن يكون لديها من الله سلطان . . . إضافة إلى لغز الثالوث واستحالة العشاء الرباني وعقيدة الخطيئة الموروثة ؛ إلى غير ذلك من البدع المستحدثة التي تحكم البديهة باستحالتها ؛ والفطرة السليمة ببطلانها [٢] ؛ وكرد فعل لهذه البدع توجه الإنسان الأوروبي نحو اكتشاف مجال آخر يرى فيه

---

(١) أبو الحسن الندوي - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - (ص :١٦٦/١٦٧) - ط :٨-١٩٨٤- دار الكتاب العربي - لبنان .

(٢) انظر د/ سفر الحوالي - العلمانية - (ص : ١٢٨) ، مرجع سابق بتصرف .

استقلاله عن السلطة الكنسية وبدعها ، وهو مجال البحث الطبيعي ، فشعر بوجوده يوم أعلن قانون الجاذبية ، واعتز بعقله يوم استخدم البخار في المجال الصناعي وكان كلما اكتشف قوة جديدة ابتعد عن الكنيسة وسيطرتها .

٢ - الحجر الفكري وتكبيل العقول : -

سعى رجال الدين المسيحي لإحكام قبضتهم على دولتهم المترامية الأطراف تحت سلطان الكنيسة وهيمنة الدين المحرف النابع من تفسيراتهم الخادمة لأهوائهم ، ولذلك سعوا بكل ما أوتوا من قوة إلى تدعيم سلطة الكتاب المقدس ، وعدم قبول النظريات العلمية الحديثة إلا من خلال نصوصه (ولقد وضع القديس أوغسطين دستوراً أولياً للكنيسة تلتزمه إزاء كل حركة عقلية أو علمية فصرح في كتاب " تعليقات على سفر التكوين " بأنه ليس في الوسع التسليم برأى لا تؤيده الكتب المقدسة لأن سلطانها أقوى من كل سلطان أمر به العقل البشري) [١] .

وكان الحرق والقتل والتشريد مصير كل عالم تسول له نفسه أن يخطئ تعاليم الكنيسة أو أن يأتي بنظرية تخالف أهواء رجال الدين المسيحي في العصور الوسطى ، وحصدت (محاكم التفتيش) - التي أنشئت خصيصاً لمعاقبة العلماء المخالفين - آلاف الناس في مجازر وحشية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ؛ حتى قال المؤرخ " لورنتى " - حسب أرشيفات محكمة التفتيش في أسبانيا - : (أن المحكمة وحدها قد قدمت إلى النار أكثر من واحدٍ وثلاثين ألف نفس ، وأصلت أكثر من مائتين وتسعين ألفاً عقوبات أخرى تلي الإعدام في صرامتها ، وهذا الرقم لا يشمل الذين أودت بحياتهم فروع هذه المحكمة الإسبانية - في مكسيكو وليما - بأمريكا الجنوبية ، وقرطاجنة ، وجزر الهند الغربية ، وصقلية ، وسردينيا ، وأوران ، ومالطة)[٢] .

لقد كانت محاكم التفتيش أبشع الوسائل التي استخدمتها الكنيسة لكبت الفكر وتصفية خصومها وقد (أنشأها البابا جريجوري التاسع عشر عام ١٢٣٣ م ، كما مكّن لهذا النظام أمر

---

(١) د/ توفيق الطويل ، قصة النزاع بين الدين والفلسفة - (ص : ٨١) - مكتبة الآداب - مصر .

(٢) د/ توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام - (ص : ٧٩) - دار الفكر - ١٩٤٧ م - القاهرة .

بابوي أصدره " أنوسنت الرابع " عام ١٢٥٢م ؛ وضبط به نظام الاضطهاد كجزء رئيسي من الكيان الاجتماعي لكل مدينة أو دولة) [١] ؛ وبهذه الأداة الظالمة نصبت الكنيسة نفسها حاكماً لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والحديد ، فذهب ضحية هذا الأمر كثير من علماء الطبيعة والطب والفلك ، بل جرفت المحاكم في دوامتها كثيراً من الأبرياء (فكان الإنسان في تلك العصور يكبس منزله وهو هادئ وادع فيحمل في جوف الليل ويعتقل الأشهر بل السنين وهو لا يدري ماهية التهمة التي سيتهم بها ، لأن خصماً من الجيران قد أبلغ المحكمة بأنه سمعه يقول : كيت وكيت عن الرؤيا أو عن الثالوث أو عن المعجزات ، ثم إذا أصرّ المتهم على إنكار ما نسب إليه من التهمة جاز للمحكمة تعذيبه بأن تقطعه أشلاء شلوا بعد شلو أمام عينيه ، وأن تقرض لحمه بالمقراض ، وأخيراً تحرقه . . .) [٢] .

واستطاعت محاكم التفتيش في مدة لا تزيد على ثمانية عشر عاماً (١٤٨١ -١٤٩٩م) أن تحصد عشرات الآلاف في تصفيات فكرية هائلة ما بين حرق أو شنق أو قتل ، وحكمت في هذه الفترة على (عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فاحرقوا ، وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق ، فشنقوا ، وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت) [٣] .

وهكذا أصبح شيئاً عادياً أن ترى كبار رجال الكنيسة يقفون في ساحات الأسواق العامة ليراقبوا أجسام أعدائهم - وهم في الغالبية العظمى قوم فقراء - تحترق بالنار وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة ، وتحترق وتخمد معهم في نفس الحين الرسالة العظمى لرجال الكنيسة فتصبح رماداً تذروه الرياح [٤] .

---

(١) د/ توفيق الطويل - قصة النزاع بين الدين والفلسفة - (ص : ٣٦) ، مرجع سابق .

(٢) سلامة موسى ، حرية الفكر - (ص :٦٢) ، ط : ١٩٦١م ، بيروت .

(٣) محمد عبده - الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية - (ص : ٣٦) ، مرجع سابق .

(٤) هـ . ج . ويلز - معالم تاريخ الإنسانية (٣/ ٩٠٩) ، مرجع سابق .

لقد كانت النظرية التي هزت كبرياء الكنيسة لأول مرة هي نظرية (كوبرنيق) الفلكية سنة (١٥٤٣) ، وكانت الكنيسة قبل هذا تعتنق نظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون وتقول أن الأجرام السماوية كافة تدور حولها ، فلما ظهر (كوبرنيق) بنظريته القائلة بخلاف هذا كان جديراً بأن يقع في قبضة محكمة التفتيش إلا أن المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل ، فحرمت الكنيسة كتابه (حركات الأجرام السماوية) لما فيه من وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل[١] كما تزعم .

ثم اخترع (غاليليو) المنظار المقرب (التلسكوب) وكانت له نظريات علمية فلكية تخالف آراء الكنيسة منها أن الأرض تدور حول الشمس وأن هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التي ذكرت في الكتب المقدسة إلى غير ذلك مما اعتبرته الكنيسة - أنذاك - دعوة صريحة للكفر والإلحاد ، فقبض عليه وحوكم (وقضى عليه سبعة من الكرادلة بالسجن مدة من الزمان وأمر بتلاوة مزامير الندم السبعة مرة كل أسبوع طوال ثلاث سنوات)[٢] .

وأجبر أخيراً إلى التراجع عن أرائه وأن يعلن وهو جاث على ركبتيه أمام " البابا أربان الثامن " قائلاً : -

(أنا غاليليو ، وفي السبعين من عمري ، سجين جاث على ركبتي ، وبحضور فخامتك ، وأمامي الكتاب المقدس ، الذي ألمسه الآن بيدي ، أعلن أني لا أشايع ، بل ألعن واحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور)[٣] .

ولم يكن حظ العالم (دي روفيس) بأوفر من أصحابه فبينما كان رجال الكنيسة يشيعون بين الناس أن (قوس القزح هو قوس حربي بيد الله ينتقم به من عباده إذا أراد) خرج هذا العالم بنظرية مفادها أن قوس القزح ينشأ من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء ، وعلى إثر هذا جُلب

(١) د/ سفر الحوالي ، العلمانية - (ص : ١٥٠) - الدار السلفية - ١٩٨٧ م - الكويت .

(٢) هـ . ج . ويلز / معالم تاريخ الإنسانية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (١ /١٠٠٨) ، ١٩٦٧ م - القاهرة .

(٣) اندرو ديكسون وايت ، بين العلم والدين - (ص : ٧٩ - ٨٠) ، ترجمة إسماعيل مظهر ، دار العصور - ١٩٣٠ - القاهرة
ج . هـ . راندال ، تكوين العقل الحديث (٣/ ٣٤٨) ، ترجمة جورج طعمه ، دار الثقافة .

إلى روما وحبس حتى مات ثم حوكمت جثته وألقيت مع مؤلفاته في النار .[(١)]

كما أن الكنيسة أمرت بضرب (بيرنيلى) بالعصا لأنه قال : (أن النجوم لا تقع) [(٢)] ، وأمرت كذلك بسجن (هارفي) لنظريته : (أن الدم يجري في الجسم) [(٣)] ، والمتأمل في تأريخ الكنيسة يجد تاريخاً حافلاً بهذه المآسي لعدد كبير من العلماء كان السبب في اضطهادهم أنهم لم يسلموا عقولهم لخرافات الكنيسة وهرطقاتها ؛ هذا الاضطهاد الذي كان الدافع الأول والأهم للقيام بالثورات ضد رجال الدين [(٤)] .

٣ - الحجر على القلوب المتمثل في (قرارات الحرمان وصكوك الغفران) :

أولاً : قرارات الحرمان : -

منذ أن ظهر إلى الوجود ما يسمى بالمسيحية الرسمية في (مجمع ينقيه ٣٢٥ م) والكنيسة تمارس الإرهاب الديني بكافة صوره ، وقد اعتمدت الكنيسة في بادئ أمرها على وسائل الإرهاب الروحي الأدبي المتمثل بقرارات الحرمان لكل من يخالف تعاليمها اعتماداً على نص الإنجيل :

(. . . وأعطيك ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات) [(٥)] ، وقد كان هذا الحرمان موتاً بطيئاً لكل من يحل عليه فتتنكر له الأرض ومن عليها حتى أقاربه وعشيرته إلى أن يعلن توبته للكنيسة ، والحرمان الكنسي على قسوته فإنه ينقسم عندهم إلى أصغر وأكبر (فالحرمان الأصغر يمنع المسيحي من الاشتراك في العشاء الرباني وفي طقوس الكنيسة ، ومن حق كل رجل دين أن

(١) محمد عبده / الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - (ص : ٤٠) - ط :١٩٥٤م - القاهرة .
(٢) علي لاغا ، مدخل إلى العلوم السياسية - (ص : ١٣٩) - ط : ١ ، ١٤١١ هـ - دار بيروت المحروسة - بيروت .
(٣) علي لاغا ، مدخل إلى العلوم السياسية - (ص : ١٣٩) - ط : ١ ، ١١٤١ هـ - دار بيروت المحروسة - بيروت .
(٤) انظر د / توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني بين المسيحية والإسلام ، (ص :٤١) ، مرجع سابق .
(٥) انجيل متى (١٨/١٦) ، وقد تقدم هذا النص في مرجع سابق .

يصدر هذه العقوبة . . . وأما الحرمان الأكبر وهو الحرمان الذي تستخدمه الكنيسة هذه الأيام فلا يصدره إلا مجلس ديني ، أو مطارنة أعلى مرتبة من القساوسة كما أنه لا يصدر إلا على أشخاص داخل منطقة نفوذ هذه المجالس أو أولئك المطارنة ، فإذا صدر أُبعد المحروم من كل اتصال قانوني أو روحي بالمجتمع المسيحي فلا يستطيع أن يقاضي أو يرث أو يعقد عقداً صحيحاً من الوجهة القانونية ولكن يجوز لغيره أن يقاضيه ، ويحرم على كل مسيحي أن يؤاكله أو يكلمه وإلا حق عليه الحرمان الأصغر . . .) [1] .

ولم يكن الحرمان مقتصراً على الضعفاء فقد حكى التاريخ لنا صوراً كثيرة من إذلال البابوات ورجال الدين لرجال السياسة وملوك أوروبا وكل ذلك تحت ستار الدين ، (ولن ينسى التاريخ إذلال البابا " جريجوري السابع " للإمبراطور " هنري الرابع " حيث اختلف معه على حق تعيين الأساقفة على اقطاعياتهم ، فأعلن حرمانه ، فاضطر الإمبراطور أن يذهب إليه تائباً في "كانوسا" سنة ١٠٧٧ م وأن ينتظر الغفران ثلاثة أيام متدثراً بالخيش وهو حافي القدمين وسط الثلج في فناء القلعة . .) [2] ؛ هذا الإذلال الذي أتاح الفرصة لاحقاً لدعاة التحرر الفكري للدفاع عن آرائهم حتى الموت ، فانتهى ذلك الصراع المرير بانتصار دعاة التحرر فهدموا الكنيسة وهدموا معها ما تبقى من الدين .

ثانياً : صكوك الغفران : -

في عام ١٢١٥ م عقد المجمع الثاني عشر المعروف بمجمع لاتيران وأقر أكبر مهزلة مرت على تاريخ الكنيسة ألا وهي مهزلة حق امتلاك الكنيسة غفران الذنوب للمذنبين أو ما عرف بعد بـ (صكوك الغفران) ، وكان نص القرار : (إن يسوع المسيح لما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى قد أعلم المجمع المقدس وأمر بأن تحفظ للكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي ، والمثبتة بسلطان

---

(١) ول ديورانت / قصة الحضارة ، (٥/ ٤٧ ، ٤٨) ، مرجع سابق .

(٢) محمد محمد حسين – الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر – (ص : ٢٧٤) ، مرجع سابق .

المجامع ، ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها)[1]؛ ثم أوصى المجمع بالاعتدال في منح هذه الغفرانات (لئلا يمس التهذيب الكنسي تراخٍ بفرط التساهل) [2] .

وبالرغم من إضفاء بعض الرتوش التهذيبية على هذه المهزلة والتوصية بعدم التساهل والإفراط في منحها لكل أحد ؛ فقد وجدت فيها الكنيسة فرصة مواتية لملء خزائنها بالذهب والفضة ، وكانت هذه الصكوك بمثابة إذن بارتكاب جميع الفواحش والجرائم بعد أن ضمنت الجنة - بزعمهم - لذلك المحظوظ ؛ فما عليه إلا أن يرقم اسمه على هذا الصك التالي رسمه : (ربنا يسوع المسيح يرحمك يا . . . (يكتب اسم الذي سيغفر له) ويُحلّك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أُحلّك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنيسية التي استوحيتها ، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسي الرسولي ، وأمحو جميع أقذار الذنوب وكلّ علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التي تلتزم بمكابدتها في المطهر ، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة ، وأقرنك في شركة القديسين ، أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك ، حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الروح . وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتي ساعتك الأخيرة ، باسم الأب والابن وروح القدس [3] .

وكانت هذه الوسيلة من أنجح الوسائل التي ساعدت رجال الكنيسة على جمع ثروة طائلة ، وعملت على تمركز أكبر مجموعة من سبائك الذهب والفضة والأحجار الكريمة في أوروبا لدى

---

(١) محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية - (ص : ١٩٤) - الطبعة الرابعة - القاهرة .

(٢) المرجع السابق - (ص : ١٩٤) .

(٣) د/ أحمد شلبي - المسيحية - (ص : ٢٥٥) ، ط : الثامنة -١٩٩٠م ، مكتبة النهضة ، القاهرة .

مركز الكنيسة العظمى في الفاتيكان في روما [1] .

وكان من نتيجة هذه المهزلة أن قامت حركة الاحتجاج البروتستانتية بقيادة (مارتن لوثر) في القرن السابع عشر الميلادي وهو من رجال الكهنوت ؛ والذي نادى بعدة مبادئ يجب أن تتبع - حسب رأيه - لإصلاح الكنيسة ؛ وعلى رأسها : -

- إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية .
- ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الكتاب المقدس .
- إباحة الزواج للقسيس ؛ بعد ما تزوج نفسه من إحدى الراهبات .
- إباحة الطلاق للنصارى [2] .

إلى غير ذلك من المبادئ التي كان السبب في طرحها على أرض الواقع إن ضاق الناس ذرعاً بالكنيسة وطغيانها وبرجال الدين وظلمهم .

٤ - حركة ترجمة التراث وأثرها في نشأة العلمانية : -

يقول التاريخ أن أوروبا بدأت تخرج من ظلمات قرونها الوسطى المظلمة حين احتكت بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؛ سواء في الحروب الصليبية أو البعوث التي بعثتها للتعلم في مدارس المسلمين في الأندلس بصفة خاصة .

بل تقول الروايات التاريخية أن رجال الدين المسيحي أنفسهم كانوا يتعاطون الثقافة الإسلامية في تلك المدارس ؛ أو فيما ينقل منها إلى اللغات الأوروبية ؛ وأنهم كانوا يترقون في مناصب الاكليروس (رجال الدين) بقدر ما يحصلون عليه من تلك الثقافة [3] .

---

(١) يوسف كمال - مستقبل الحضارة بين الإسلام والشيوعية العلمانية - (ص : ١٣) - ط : ١ -١٩٧٤م - دار المختار الإسلامي - الكويت .

(٢) د/ عبد العزيز الشناوي - تاريخ أوروبا في مطلع العصور الحديثة - (١ /٣١٢) وما بعدها ، مرجع سابق .

(٣) انظر محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة - (ص :٤٥٢) - ط : ٤ - دار الشروق - القاهرة .

وعلى سبيل المثال فقد تلقى (روجر بيكون) – رائد المنهج التجريبي في أوروبا – دراسته وعلومه على يد علماء الأندلس ، وبشهادة (وولف) : (فإن روجر بيكون ، بدأ حملته تأييداً للبحث العلمي وكان يرتب أهمية كبيرة على دراسة اللغة العربية لأنها وسيلة الوصول إلى المعلومات العلمية التي تجمعت في عهده) [١] ؛ ولم يقتصر الأمر على (بيكون) وحده فإن الكثير من العلماء والباحثين – في ذلك الزمان – (في العالم المسيحي أشربوا روح المنهج العلمي الصحيح ، وأخذوا آراءهم من مصادر عربية)[٢] أي إسلامية.

ولم تقتصر حركة ترجمة التراث والاستفادة منه على التراث الإسلامي بل اتجهت أنظار الأوروبين نحو التراث اليوناني (وابتدأ الإنسان الأوروبي يتحقق أن وراءه تاريخاً هاماً يستطيع أن يتعلم منه الكثير حيث أدركه الأعياء من التقاليد الجافة التي كانت في القرون الوسطى ، وأحس بثقل إغلال الكنيسة التي كانت تمنعه من أن يفكر لنفسه لذا ولى وجهه شطر الأفكار والعلوم اليونانية يدرسها . . .

وابتهج المتعلم في القرون الوسطى برفع النقاب عن الفكر اليوناني لما رأى فيه من غنى فجاء عصر جديد وثني أكثر منه نصرانياً يناهض المدينة النصرانية في القرون الوسطى . . .) [٣] .

وهكذا وبفضل حركة الترجمة بدأت أوروبا آنذاك تفيق من سباتها العميق وتضمد جراح ظلم الكنيسة الغائرة ؛ وتعلمت أوروبا كل العلم الذي وجدته عند المسلمين ؛ وكثيراً من الأصول الحضارية عندهم ؛ ولكن لأمر ما رفضت أن تأخذ الإسلام ؛ وارتدت من جاهلية الدين الكنسي المحرف إلى جاهلية ما قبل الدين ، الجاهلية الأغريقية الرومانية لتنشئ على أساسها جاهلية جديدة متقدمة كل التقدم في العلم والتكنولوجيا ، ومنتكسة أشد الانتكاس فيما عدا ذلك من جوانب الحياة . . . إلى أن وصلت إلى نبذ التدين [٤] .

(١) أ. وولف – عرض تاريخي للفلسفة والعلم – (ص : ٣٩) ، ترجمة محمد خلاف – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ط : ٢ /١٩٤٤– القاهرة .

(٢) المرجع السابق – (ص : ٤٠) .

(٣) ا . س . رابوبرت – مبادئ الفلسفة – (ص : ١٢٤) – ترجمة أحمد أمين – ط : ٦ – مكتبة الخانجي – القاهرة .

(٤) انظر محمد قطب – مذاهب فكرية معاصرة – (ص : ٤٥٤) ، مرجع سابق .

❖ وفي نهاية المطاف تبقى هذه الأسباب الأربعة التي ذكرتها آنفاً أسباباً رئيسة في ولادة العلمانية كفكر ينادي بفصل الدين عن واقع الحياة بعد أن انتصر العلم على تعاليم الكنيسة المحرفة وسلطة رجال الدين ، وحاكم الشعب جلاديه في الثورة الفرنسية ١٧٨٩م لتكون آخر مسمار يدق في نعش الكنيسة ؛ تلك الثورة التي كان شعارها : (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) [(١)] وأطاحت باستبداد الكنيسة ورجالها ، وتم لها الفصل بين الدين وواقع الحياة !!

(١) إسماعيل الكيلاني ، فصل الدين عن الدولة - (ص : ١٢٢) ، ط : الثانية -١٩٨٧م - المكتب الإسلامي - بيروت .

الفصل الأول : العلمانية

المبحث الثالث: تطور العلمانية

المبحث الثالث

تطـور العلمـانيـة

ظلت السلطة في الفكر الغربي محل نزاع لا يهدأ بين الكنيسة والدولة أو بين السلطة الدينية المقدسة والسلطة الدنيوية التي تتخذ من العلم ، وتقديس العقل منهجاً للتطور ؛ الأمر الذي حدا ببعض المفكرين بطرح حلول تتلخص بتوزيع السلطة وتقسيمها بين الطرفين المتنازعين ، قسم تأخذه الكنيسة ، وتشرف عليه كمراسيم الزواج والوفاة والرهبنة ، والقسم الآخر للدولة بأن يكون لها الحرية في تصريف الشئون الاقتصادية والسياسية والتعليمية ، وقد تم الفصل بين السلطتين – وهو ما عرف لاحقاً (بالعلمانية) – في الفكر الأوروبي على مرحلتين رئيستين :

المرحلة الأولى : وتشمل القرنين السابع عشر ، والثامن عشر ، وهو ما سمي بمرحلة العلمانية الأولى .

المرحلة الثانية : وتشمل القرن التاسع عشر ، وهي مرحلة العلمانية المتطرفة .

• **فالمرحلة الأولى** : وهي أن يكون (الدين أمراً شخصياً لا شأن للدولة فيه ، وعلى الدولة مع ذلك أن تحمى الكنيسة . . وبالأخص في جبايه ضرائبها ؛ وإن طالب التفكير العلماني في هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة ، فإنه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ؛ وإن كان ينكر فيها بعض تعاليمها ويطالب بإخضاع تعاليم المسيحية إلى العقل وإلى مبادئ الطبيعة مما نشأ عنه ذلك المذهب المعروف باسم (DEISM) وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم ، ولكن ينكر الإعجاز والوحي ، وتدخل الله في العالم . . »(1)

ومن فلاسفة هذه المرحلة الأولى للعلمانية في التفكير الأوروبي الفيلسوف الانجليزي لوك (١٦٣٢-١٧٠٤) ، والانجليزي هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩) ، والفرنسي جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) ، والفيلسوف الفرنسي فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨) .

(١) د . محمد البهي – الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة – ص : ١٦-١٧ – ط٣ سنة ١٩٨١ – مكتبة وهبة ، القاهرة .

يرى (لوك) : « أن الدولة الحديثة – التي رفعت عن شئونها كل وصاية للكنيسة – تنظر إلى كل اعتقاد ديني على أنه رأي شخصي ، وإلى كل رفقة في الدين على أنها ترابط حر يجب أن يتحمل ، وأن يدافع عنه ، طالما لا يهدد نظام الدولة بالإقلاق أو التخريب » . (١)

ومرتبة العقل عند لوك أعلى من الوحي « فمن استبعد العقل ليفسح للوحي مجالاً فقد أطفأ نور كليهما ، وكان مثله كمثل من يقنع إنساناً بأن يفقأ عينيه ، ويستعيض عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم سحيق » (٢) على حد تعبيره .

وينادي لوك بالفصل بين سلطة الكنيسة وسلطة الدولة ويرى « أن هدف الدولة الحياة الأرضية وهدف الكنيسة الحياة السماوية ، ونحن إذ نولد ملك الوطن لا ملك الكنيسة ، ولا ندخل فيها إلا طوعاً » . (٣)

أما (هوبز) : « فقد كان مهتماً بالأساس التجريبي للمنهج العلمي وكان يرى أن العقل الإنساني لا يستطيع أن يصدر أحكاماً ذات أساس استدلالي تتعلق بطبيعة الإله ، وأن الصفات التي نخلعها على الإله ليست إلا أسماء تعبر عن عجزنا عن معرفته ، وعن رغبتنا في وصفه بعبارات تمجيدية من شأنها إرضاء قوة مجهولة . . فالإيمان بالدين على المستوى الشخصي لا يقوم على إدراك أية حقائق بل أنه خوف الفرد من القوة المجهولة المتوعدة التي ينطوي عليها الكون ، أما على المستوى الاجتماعي فالدين فرع من فروع السياسة ، وسلاح في يد السلطان في حكمه للمواطنين ، وعلى هذا فينبغي عنده أن تكون المسائل المتعلقة بالعقيدة والعبادة وتفسير الكتاب المقدس في يد الحاكم . . . وهكذا ينتهي إلى أن الدين ليس إلا تبريراً لغايات الدولة والأشخاص » . (٤)

---

(١) د. محمد البهي – الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة – ص: ١٧ – مرجع سابق .

(٢) كرسون ، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة – ص: ١٣٣ – ترجمة عبدالحليم محمود – الطبعة الثانية – مصر .

(٣) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة – ص : ١٥١ – الطبعة الخامسة – دار المعارف – القاهرة .

(٤) جيمس كولنز – الله في الفلسفة الحديثة – ص : ١٣١ – ترجمة : فؤاد كامل – ط١٩٧٣ – مكتبة غريب – القاهرة .

وقد غالى هوبز في تقديس العقل ونادى بإعطاء الدولة السلطة العليا فوق سلطة الدين قائلاً : « . . لهذا أعلن إن السلطة العليا هي للدولة التي من شأنها أن تفصل في بعض التعاليم الدينية ؛ أما إذا تعارضت هذه التعاليم مع سلطة الدولة فيجب عندئذ تحريمها » . (١)

أما جان جاك روسو فهو يتفق مع هوبز في إبعاد الدين عن الدولة ، وعن التربية خصوصاً ولكنه يختلف معه في سبب المطالبة بذلك ، فهو إنساني وليس بمادي « وروسو يرى أن الإنسانية يجب أن تعود إلى الطبيعة الأولية . . إلى فضيلة المواطن . . . ولكن يقف في طريق سعادة الإنسانية – في نظره – التناقض بين الطبقات والطبقة الحاكمة . . وبالرجوع إلى الطبيعة الأولى وحدها توجد بين الناس المساواة والحرية . . وليس بالرجوع إلى الثقافة والمدنية ولا إلى المجتمع الذي يحمل ذلك . . وفي الوقت الذي يتجه روسو فيه ضد الإلحاد يتجه أيضاً ضد الأدلة الميتافيزيقية على وجود الله ، التي يحتضنها علم اللاهوت الكنسي . فالله – في نظره – ليس موضوعاً للعلم ولا للعقل ، بل هو موضوع للإحساس والقلب ، والإيمان بالفضيلة والخلود هما الدين الصادق » . (٢)

« وبالرغم من تأكيد روسو على وجود الله وعنايته وعلى الثواب والعقاب في الآخرة فإنه قد أقام براهين وجود الله والتشريع في الأخلاق على العاطفة دون العقل ، وهو بهذا يتجه بالبروتستانتية إلى طريق جديد تعتمد فيه العلاقة بين الله والإنسان على العاطفة وحدها . . » (٣)

وأما الفيلسوف الفرنسي (فولتير) فقد كان ناقداً ساخراً سخر لسانه للاستهزاء بنظام الكنيسة ورجال الدين ، وبالرغم من أنه القائل : « إذا لم يكن الله موجوداً لوجب اختراعه ، ويجب أن نؤمن بالله حتى تكون زوجتي أكثر وفاء لي ، وخادمي أقل لصوصية » (٤) إلا أنه

---

(١) جوزف مغيزل – العلمانية في أوروبا تاريخياً وحالياً – ص/ ٥٠ – ط. الأولى ١٩٨٧م – مركز الديمقراطيين العلمانيين – بيروت.

(٢) د. محمد البهي – الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة – ص: ٢١-٢٢ ، مرجع سابق .

(٣) برتراندرسل – حكمة الغرب – ص / ١٤٥ ، الجزء الثاني – ترجمة : د. فؤاد زكريا – سلسلة عالم المعرفة عدد ٧٢ – مطابع الرسالة – الكويت .

(٤) د. توفيق الطويل – قصة الاضطهاد الديني – ص:١٢٨ – مرجع سابق .

جعل هذا الإيمان نظرياً ، ومضى ينقد المسيحية ومعتنقيها قائلاً : « إن كل عاقل لا يملك إلا أن يفرق فزعاً من اعتناق المسيحية ؛ إن الأعمى هو الذي يؤثر على الدين الطبيعي الذي يمتاز بالبساطة ، ويؤمن به كل الناس ، عقيدة سفاكة للدماء ، وينتصر لها الجلادون ، وتحيط بهم عصبة من الأشراس الوصوليين ، عقيدة لا يذعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوة وثراء ، عقيدة خاصة لم يعتنقها إلا عدد قليل من سكان العالم » . (١)

وهكذا وباستعراض أفكار بعض فلاسفة هذه المرحلة من العلمانية (الأولى) نجد ميلاً واضحاً لتقديس العقل ، ونقد المعتقدات الكنسية ، بل يبدو واضحاً في هذه المرحلة استقلال الاتجاه العقلاني عن سلطات رجال الدين ، والاعتزاز بالعقلية النقدية كما قال الفيلسوف الهولندي باروخ اسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) : « يتميز العقل بقدرته على إلقاء الضوء على نفسه ، وعلى ما يتعارض معه ، إن لديه قدرة على الكشف عن الحقيقة والزيف على السواء » . (٢)

وخلال هذه المرحلة من مرحلتي التطور في الفكر العلماني في أوروبا نستطيع أن نلخص دوافع الفصل بين الدين والدولة ، أو بين الكنيسة وأصحاب الاتجاه العقلي بالأسباب التالية :

(١) الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة في مواجهة سلطة الكنيسة ، ووصايتها السابقة في القرون الوسطى على الإنسان كما هو واضح عند (هوبز) .

(٢) اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل كما يرى في فلسفة (لوك) .

(٣) النظر إلى الدين في التربية على أنه ضد الطبيعة كما في نظرة (روسو) أليه ، بناء على تعاليم المسيحية (بالخطيئة الموروثة) .

(٤) اعتبار الدين أمراً متطوراً ، وليس بنهائي . . وبالتالي حقائقه حقائق متغيرة ، وقابلة للنقض ، وإذا كان (هوبز) قد كشف واضحاً في فلسفته عن عامل الفصل بين الدولة

---

(١) د. توفيق الطويل – قصة النزاع بين الدين والفلسفة – ص : ١٨٢ . مرجع سابق .

(٢) ارنست كسبرر – الدولة والأسطورة – ص : ٢٢٤ – ترجمة : د. أحمد حمدي محمود – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٥م القاهرة .

والدين ، وهو عامل الحرص على سيادة الدولة . . فإن العوامل الثلاثة الأخرى تتجه إلى نقد الدين . . وتتجه في واقع الأمر إلى تفسيرات في المسيحية أصبحت تقليداً وعقيدة لبعض كنائسها . (١)

• **المرحلة الثانية وتسمى بالمرحلة المتطرفة** : مرحلة العهد المادي ، أو الثورة العلمانية ، وهي مرحلة الجناح اليساري من مدرسة هيجل في القرن التاسع عشر ، هذا القرن الذي أكمل المفكرون فيه ما انتهى إليه القرن الثامن عشر من غلبة العقل وطغيانه على سلطان الدين ، والكنيسة إلى أن وصلوا إلى نهاية القرن إلى قيام الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ، والتي كانت آخر مسمار دق في نعش الكنيسة .

وقد تميز القرن التاسع عشر بازدياد الاهتمام بالعلم التجريبي واكتشف الإنسان قوة البخار ، واستخدم الآلة في توليد الكهرباء ، وإدارة المصانع ، واغتر المفكرون بالعلم الطبيعي حتى لم يعد هناك أي ذكر لما وراء الطبيعة !!

وفي ذلك يقول العقاد : « في مفتتح القرن التاسع عشر وجه نابليون بونابرت سؤالاً إلى علامة الفلك في زمانه (لابلاس) عن عمل القدرة الإلهية في تنظيم الأفلاك السماوية ؟ ! وكان لتوجيه هذا السؤال إلى (لابلاس) سبب خاص : وهو ظهور كتابه عن الحركة العلوية (الميكانيكا السماوية) وفيه يشرح حركة الفلك ، ويعللها بالقوانين الآلية كما هو اسم الكتاب . . فقال العلامة : إنني لم أجد في نظام السماء ضرورة للقول بتدبير إله . . » (٢)

قال العقاد معلقاً : « ومضى القرن التاسع عشر إلى نهايته ، والرأي الغالب فيه بين المشتغلين بالعلم والمؤمنين به هو هذا الرأي الذي تحدث به لابلاس إلى نابليون : إن العلم كاف كل الكفاية لتفسير جميع الأسرار » . (٣)

وقد غلبت النزعة المادية في هذا القرن ، واتجه البحث اتجاهاً حثيثاً للاهتمام بكل ما هو طبيعي حتى « شهد القرن التاسع عشر مولد مذهب الإلحاد ، مذهب كامل التكوين ، يرمي إلى

(١) د. محمد البهي - الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة - ص : ٢٢-٢٣ . بتصرف مرجع سابق .

(٢) عباس محمد العقاد - عقائد المفكرين في القرن العشرين - ص : ٣٠ - دار الكتاب العربي - لبنان .

(٣) المرجع السابق (ص/ ٣٠) . وانظر د/ كامل سعفان ، الذين يلحدون في آيات الله ص ١٩ ، دار المعارف .

استبعاد الله بلا قيد ولا شرط من معتقداتنا ، وكان من النادر فيما سبق من عصور أن يعتنق الإلحاد علانية مفكرن بارزون ، إذ كان ينظر إليه على أنه موقف هدام ، أما في خلال الفترة التي أعقبت هيجل فقد اعتنقه جهاراً نهاراً عدد من زعماء الفكر ؛ الذين أضفوا عليه نوعاً من التوقير الذهني ، بل من التداول الشعبي أيضاً » . (١)

ومن فلاسفة هذا العصر ، الفيلسوف الألماني (هيجل / ١٧٧٠-١٨٣١) الذي رأي أن أصل الدين عجز الإنسان عن تصوير المثل الأعلى في المادة ، فقام بتصويره في الباطن ، فالدين عنده منحدر من الفن ، وليس من الباطن ، وما الدين في حقيقته - عنده - إلا أسلوب مجازي للتعبير عن الحقيقة الفلسفية أمام الناس الذين لا يستطيعون فهم التصورات الفلسفية المجردة ، حتى قال : « إن الله تصور جاء نتيجة استجابة لحاجة الناس إلى السيطرة على القوى الطبيعية في عصر لم يعرف التكنولوجيا . . » . (٢)

ويعتبر الفيلسوف الألماني (فيرباخ / ١٨٠٤-١٨٧٢) من أهم المؤسسين لفكر الثورة العلمانية التي دارت رحاها في القرن التاسع عشر ، ونادى باعتناق المادية المتطرفة ، أو ما يسمى بالمذهب الإنساني الإلحادي « وفي نقده لفلسفة هيجل في سنة ١٨٣٩ في تلك الرسالة التي كتبها تحدث عن عدم الجدوى من فكرة (المطلق) - وهي الله - وذكران المطلق عند هيجل ليس إلا العقل المفارق للاهوت ، ذلك العقل الذي يشبه في فلسفة هيجل الخيال الطائف ، وفي رسالته (لإصلاح الفلسفة والمبادئ الأساسية لفلسفة المستقبل) سار قدماً في الطريق . . نحو الإيمان بالمحسوس وحده ، وبالمادية الهوجاء ، وبالأخص فيما كتبه في هذه الرسالة تحت عنوان (طبيعة المسيحية) سنة ١٨٤١ » . (٣)

ودعا فيرباخ إلى أن الإنسان هو الإله الحقيقي الوحيد ، وما إن ينفذ الإنسان إلى دلالة الدين الحقيقية حتى يستطع الاستغناء عن الإله . . فهو يدعو إلى دين إنساني يخلو من الإله ، ويركز

---

(١) جيمس كولنز - الله في الفلسفة الحديثة - ص : ٣٣٣ . مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق - ص : ٢٨٨ .

(٣) محمد البهي - الإسلام في حل مشاكل المجتمعات - ص : ٢٤ . مرجع سابق .

فيه الإنسان على العلاقات الشخصية المتبادلة بين الناس « ويجب - في نظره - أن تكون المادية ، أو يكون مذهب الحس في موضع الدين الغيبي - أي الموحى به من عند الله - وفيما وراء الطبيعة ، والواقعي والحقيقي ليس الله ، ولا الوجود ، ولا المفهوم والمعنى ، ولكن الموجود هو المحسوس ، والإنسان هو الموجود الإلهي وليس الله ، والدين الجديد هو السياسة بالطبع ، وليس المسيحية ، والسياسة يجب أن تكون ديننا - على حد تعبيره - . . . ولذا يجب أن تكون (جماعة العمل) هي المسود وفي مكان العبادة ، والله والدين ، ليس أي منهما أساس الدولة ، وإنما أساسها الإنسان وحاجته وليس الإيمان بالله ، ولكن الشك في الله يجب أن يكون العامل في قيام الدولة ، والإيمان الذي يجب أن يتوفر هو : إيمان الناس في ذواتهم أنفسهم ، وببعضهم بعضاً » . (١)

وهكذا أله فيرباخ الإنسان وجعله بدلاً من الله في استحقاق العبادة . نعوذ بالله من ذلك . ولا تقوم الدولة إلا على هذا المذهب والذي عرف فيما بعد بالمذهب الإنساني الإلحادي .

ثم جاءت الفلسفة الماركسية لتجد الطريق ممهداً لاعتناق المذهب الإلحادي ، ولإقصاء الدين عن واقع الحياة ، بل لم تكتف بالإقصاء وإنما استعملت الوأد القمعي لكل الأديان ، حتى قال كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٩) : « الدين أفيون الشعوب » . (٢)

وعندما تطلق الماركسية فإنه يراد بها تلك الفلسفة المادية الجدلية التي نادى بها عالم الاجتماع اليهودي كارل ماركس ، وصاحبه فريدريك انجلز (١٨٢٠-١٨٩٥) ، هذه المادية التي يحاول معتنقوها أن يثبتوا أن المهمة الحقيقية للفلسفة ليست في تفسير العالم كما هي فلسفة الماضي ، وإنما في إحداث تغيير جذري لوجه التاريخ ، وفي ذلك يقول كارل ماركس : « إن مذاهب الفلسفة منذ الماضي السحيق قد اقتصرت علي تفسير طبيعة العالم بطرق شتى ، ولكن مهمة الفلسفة هي العمل على تغييره ، وبتغيير العالم يغير الناس أنفسهم ، ويستحدثون قوانين جديدة تهيمن على مجرى التاريخ » . (٣)

---

(١) المرجع السابق - ص : ٢٥ . وانظر جيمس كولنز - الله في الفلسفة الحديثة - ص : ٣٣٤ . مرجع سابق .

(٢) حسين ناشا - الماركسية في الفلسفة - ص:١٦ - طبعة بغداد .

(٣) د. توفيق الطويل - أسس الفلسفة - ص :٤٣ - طبعة ١٩٥٤م - مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة .

وتقوم النظرية المادية على تفسير كل شيء في الوجود بالمادة « فالعالم بطبيعته مادي . . وحوادث العالم المتعددة هي مظاهر مختلفة للمادة المتحركة . . . والعالم متطور تبعاً لقوانين حركة المادة وهو ليس بحاجة لعقل كلي ، إن الفهم المادي للعالم يعني بكل بساطة فهم الطبيعة كما هي دون أي إضافة خارجية » (١)

ويرى ماركس أن هدم الدين هو المقدمة الضرورية لبناء مجتمع يكون فيه الإنسان سيد نفسه ، فكان يقول : « ليس حرية الضمير هي ما نريد ، ولكن تحرر الضمير من الخرافة الدينية » . (٢)

ومما لا شك فيه أن فير باخ قد مهد الطريق أمام ماركس فيما يتعلق بمحاربة الدين وذلك بتحويله الإله من السماءإلى الأرض ، وإحلال الإنسانية محل الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) .

وكان ماركس يعترف بالفضل لأستاذه ، ويسعى لإكمال ما بناه فير باخ ، وفي ذلك يقول جيمس كولنز : « . . . وكثيراً ما يحذّر ماركس من تبديد الطاقة في مواجهة الله والدين لأنه يرى أن هذا النقد قد اكتمل من حيث المبدأ على يد فيرباخ . . . ولم يشعر ماركس بأي حاجة إلى تقييم جديد لله وللموقف الديني لأنه كان يقبل عرض فيرباخ ونقده بوصفهما نهائيين في هذا الموضوع » . (٣)

ثم جاء لينين (١٨٧٠-١٩٢٤) ليحول الماركسية إلى عقيدة راسخة للحزب لتسمى الماركسية بعدها بالبلشفية في عالم السياسة ، ولتصبح هي الدين الجديد بدلاً عن المسيحية ، وفي مقال له تحت عنوان (الاشتراكية والدين) كتب : « أن الدين هو أفيون الشعوب ؛ وأن الدين نوع ردئ

---

(١) ستالين – المادية الجدلية والمادية التاريخية – ص : ٢٦ – نقلاً عن حسين ناشا – الماركسية في الفلسفة – ص : ١٠-١١ ، طبعة بغداد .

(٢) نيقولا برديائيف – أصل الشيوعية الروسية – ص : ١٧٤ – ترجمة فواد كامل – الطبعة الأولى ١٩٦١م – الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة .

● وانظر د . محمد البهي – العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق – ص / ٢٨ – طبعة مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة .

(٣) جميس كولنز – الله في الفلسفة الحديثة – ص : ٣٥١-٣٥٢ ، مرجع سابق .



من خمرة العقل التي تحجب ذاكرة الأرقاء لرأس المال، على أن يعوا وجه إنسانيتهم ومطالبهم في وجود إنساني على منتصف طريق الإنسانية » . (١)

وكان لينين يبغض كلمة (الدين) بغضاً شديداً ، ويعارض وصف الاشتراكية بأنها (دين المجتمع) ، ومع زعمه أن الدين يجب أن يكون أمراً شخصياً فقط إلا أن هذا لا ينسحب على الحزب الذي يؤمر أعضاؤه بالإلحاد ، فلا علاقة لهم بدين من قريب أوبعيد . (٢)

هكذا وبعد هذا العرض لمرحلة العلمانية المتطرفة ، أو مرحلة اليسار المتطرف في مدرسة هيجل نستطيع أن نلخص النتيجة التي آلت إليها هذه الفلسفة بثلاث نقاط رئيسة كما ذكر الدكتور البهي رحمه الله ، وهي :

أولاً : « أن علمانية فيرباخ والتي تتمثل في مذهبه الإنساني الإلحادي هي : إلغاء الدين – أي دين – وليست فصلاً بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية في مرحلتها الأولى ، وإحلال للإنسان العام – جماعة العمل – في العبادة محل الله .

وثانياً :– أن علمانية ماركس – وهي التي تتمثل في المادية التاريخية الإلحادية هي : هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكون فيه الإنسان سيد نفسه ، وتنتهي سيادة الإنسان إلى سيادة المجتمع والدولة . . .

وثالثاً : أن علمانية لينين ينتهي أمرها إلى إلغاء المسيحية كدين ووضع (البلشفية) وهي الماركسية اللينينية كدين جديد بدلاً منها ، وهذا الدين الجديد يجب أن يكون في خدمة (الواقع) الذي هو (الحزب) . . الذي يأخذ مكان (العبادة) عوضاً عن الله في المسيحية ، ومكان القداسة عوضاً عن الكنيسة » . (٣)

---

(١) د. محمد البهي – الإسلام في حل مشاكل المجتمعات – ص : ٣٢ . مرجع سابق)

(٢) د. محمد القوصي – إفلاس الفكر الماركسي – ١/ ١٧٦–١٧٧ وما بعدها – الطبعة الأولى ١٩٨٢ – دار الطباعة المحمدية بالأزهر – القاهرة .

(٣) د. محمد البهي – الإسلام في حل مشاكل المجتمعات – ص : ٣٣ . مرجع سابق .

ومن خلال العرض السابق للتطور المرحلي للفكر العلماني في الغرب الأوروبي نجد أن المشروع العلماني لم يكن وليد يوم وليلة ، وإنما بدأت إرهاصاته الفكرية بأصوات متناثرة من هنا وهناك تنادي برفع الظلم الكنسي ، والطغيان الديني عن كاهل الناس في القرن السادس عشر .

ثم جاء القرن الذي يليه لتصبح الأصوات أكثر شجاعة ودوياً في أن العلم شيئ والكنيسة شيء آخر .

ثم أكمل مفكروا القرن الثامن العاشر المسيرة في البحث الطبيعي ، وإبراز سلطة العلم كقوة لا يستهان بها مقابل سلطة الكنيسة .

ثم جاء القرن التاسع عشر ليكون عصر الإلحاد واضح ليكون ردة فعل عنيفة لتراكمات من القهر والظلم والطغيان الكنسي ، هذه هي أبرز المراحل التي مر بها المشروع العلماني والذي ولد على فترات ومراحل متتابعة حتى انحصرت في مرحلتين أساسيتين :

المرحلة الأولى : العلمانية الأولى في القرن السابع عشر والثامن عشر ، وهي التي أعطت ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر .

المرحلة الثانية : العلمانية المتطرفة في القرن التاسع عشر ، وهي التي جعلت الدين أفيون الشعوب ليسقط العالم بعدها في متاهة الإلحاد ودوامة الضياع .



الفصل الأول: العلمانية

المبحث الرابع: أسباب نشأة العلمانية في العالم الإسلامي

المبحث الرابع

أسباب نشأة العلمانية في العالم الإسلامي

❖ **مدخل :**

مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي كان عصر النهضة المادية في أوروبا قد آتى ثماره ، فتعاظم نفوذ كثير من الدول الغربية ، وتطلعت هذه الدول لبسط نفوذها بواسطة التوسع الاستعماري ، ويوم أن كانت تعيش أوروبا أرقى سنوات نهضتها المادية كان العالم الإسلامي يمر بحالة بئيسة من الوهن والتدهور وخاصة الدولة العثمانية التي بدا الوهن يدب في أطرافها ، وبدأ الفساد ينخر في بنيتها مما أطمع فيها أعظم دولتين استعماريتين آنذاك وهما انجلترا وفرنسا لينعما باقتسام تركة الرجل المريض « ففي منتصف القرن التاسع عشر (١٨٥٧) تم استيلاء انجلترا على الهند ، وانتقلت السلطة من شركة الهند الشرقية إلى التاج البريطاني . . . وفي نفس السنة كانت جيوش فرنسا تستكمل احتلال صحراء الإسلام الغربية التي بدأت باحتلال الجزائر (١٨٣٠) وبعد ذلك بقليل كان اقتطاع انجلترا لدرة من درر الخلافة ، فكان احتلال مصر المسلمة سنة (١٨٨٢) ، ثم كان اقتطاع سورية ولبنان ، واحتلال فرنسا لهما بعد الحرب العالمية الأولى (١٩٢٠) . . . وهكذا انتقل تصور المسألة الشرقية من : كيف يوقف الغرب زحف دولة الإسلام ؟! إلى : كيف يقطع الغرب أوصال دول الخلافة الإسلامية ، يوزعها فيما بينه ثم يجهز على الرجل المريض ؟! . . . » (١)

وهكذا سقطت الدول الإسلامية تحت النفوذ الاستعماري « ولقد ازداد هذا النفوذ بالتدريج حتى وصل منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين منتهى ما يصل فيه نفوذ قوي على ضعيف . . »(٢)

وفي ظل هذا الاستعمار البغيض انتقلت العلمانية الغربية إلى بلاد المسلمين وأخذت تنخر في

---

(١) د. علي جريشة ، ومحمد الزيبق – أساليب الغزو الفكري – ص/ ٣٥-٣٦ – ط . دار الاعتصام – القاهرة .

(٢) د. محمد البهي – الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي – ص / ٦ – الطبعة الثالثة – مكتبة وهبة – القاهرة .



عقائدهم يساعدها في ذلك عدة أسباب أدت إلى سهولة اقناع بعض أبناء العالم الإسلامي بهذه الأطروحات الغربية ومن هذه الأسباب :

١- ظهور القوميات في العالم الإسلامي :

كان من الأسباب الرئيسة لتفكك أوصال العالم الإسلامي آنذاك الدعوة إلى القوميات ، فنشأت القومية الطورانية في تركيا ، والقومية الفارسية في إيران ، ثم القومية العربية مؤخراً في بلاد العرب « ومما يدعو إلى الأسف والاضطراب أن هذه العدوى القومية قد سرت إلى بعض الأقطار الإسلامية التي كان يجب وكان من المترقب أن تكون زعيمة لدعوة الإسلام العالمية . . . وذلك بانحلال الدين في هذه البلاد ، وبتأثير الآداب الأوروبية . . . » (١)

ومن أشهر الدعاة إلى القومية الطورانية ضياء كوك ألب (٢) ، ومصطفى كمال أتاتورك «وهؤلاء يزعمون أن الترك هم أقدم أمم البسيطة وأعرقها مجداً وأسبقها إلى الحضارة ، وأنهم هم والجنس المغولي واحد في الأصل ، ويلزم أن يعودوا واحداً ويسمون ذلك بالجامعة الطورانية . . . فهم ترك أولاً ، ومسلمون ثانياً ، وشعارهم عدم التدين ، وإهمال الجامعة الإسلامية إلا إذا كانت خادمة لنفوذ القومية الطورانية ، فتكون عندئذ واسطة لا غاية ، وقد غلا كثير من هذه الفئة الطورانية حتى قالوا : نحن أتراك فكعبتنا طوران . . » . (٣)

ثم ظهرت القومية الفارسية وأخذ يشتد عودها وتلتهب نارها « . . وذلك نظير ما حصل عند الترك الذين أخذوا يبحثون عن عبادات أجدادهم ، وعن الذئب الأبيض الذي كانوا يعبدونه

---

(١) أبو الحسن الندوي – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ص / ١٩٩ مرجع سابق .

(٢) ضياء كوك ألب : ولد بتركيا (١٨٧٥-١٩٢٤) التحق بالمدرسة العسكرية ، وأعجب بأفكار – الثورة الفرنسية ، سافر عام ١٨٩٦ إلى قسطنطينية والتحق بجمعية الاتحاد والترقي ، وثارت هذه الجماعة عام ١٩٠٦ ضد النظام بقيادة ضياء ، وخلع السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٩ ، وأصدر جريدتين (بيام ، بيسل) ، ويسمى نبي الاتحاديين .

- انظر أبو الحسن الندوي – الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية – ص / ٣٩
- ومصطفى صبري – النكير على منكري النعمة – ص/ ٤٧ – ط . الأولى ١٩٩١ – دار القادري – بيروت .

(٣) شكيب أرسلان معلقاً على استوارد لوثرب – حاضر العالم الإسلامي – ١/ ١٥٩ – ترجمة عجاج نويهض – ط . الثالثة ١٩٧١ – دار الفكر – بيروت .

. . فكما حصل عند الترك حصل عند الفرس ، وصار ناشئتهم يبحثون عن دياناتهم القديمة التي منها : الكيومرتية - أي تعظيم النور - . . . ومنها فرقة (زرادشت) الذي كان يدعو إلى وحدانية الله ويقول : أنه خالق النور والظلمة ، وأن الخير والشر إنما حصلا بامتزاجهما . . . إلى غير ذلك من العقائد والآثار التي كانت عند قدماء الفرس . . » (١)

وأما القومية العربية والوطنية فكان رفاعة الطهطاوي من أوائل من بذروا بذورها - كما سيأتي معنا - وكانت تخبو حيناً وتلتهب أحياناً إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) وسنحت الفرصة للإنشقاق عن الامبراطورية العثمانية ، وانتهز الحلفاء هذه الفرصة الذهبية ، فنفخوا في فرية القومية . . . (٢)

٢- سقوط الخلافة :

لقد كانت هذه القوميات - وخاصة الطورانية - سبباً رئيساً في الإطاحة بالخلافة الإسلامية بتاريخ (٢ آذار مارس ١٩٢٤) على يد مصطفى كمال أتاتورك الذي قال بهذه المناسبة : « إن الامبراطورية العثمانية قامت على أسس الإسلام ، إن الإسلام بطبيعته ووضعه (عربي) وتصوراته (عربية) وهو ينظم الحياة من ولادة الإنسان إلى وفاته ، ويصوغها صياغة خاصة ، ويخنق الطموح في نفوس أتباعه ، ويقيد فيهم روح المقاومة والاقتحام ، والدولة لا تزال في خطر ما دام الإسلام دينها الرسمي » (٣)

وبسقوط الخلافة غير الأتراك دستورهم الرسمي الذي ينص على أن الإسلام دين الدولة ، ولم يكتفوا بذلك « . . بل قامت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الإسلامي - وهو الخليفة - وألغت منصبه - الخلافة - وجردت رجال الدين المسلمين(٤) ، وحلت منظماتهم

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٦٥) .

(٢) انظر أبو الحسن الندوي - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - ص / ١٩٩ . مرجع سابق .

(٣) عرفان أوركا - أتاتورك - ص / ٢٧ - نقلاً عن د. علي جريشة الاتجاهات الفكرية المعاصرة - ص / ٩٠ - الطبعة الثالثة ١٩٩٠م دار الوفاء - القاهرة .

(٤) ليس في الإسلام مايسمى بمنصب رجال الدين وإنما يسمون بالعلماء ، وكل من انتمى إلى دين الإسلام فهو من رجال هذا الدين .

؛ وأزالت الحجاب عن رأس المرأة (١) ، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات ، وتبنت القانون المدني السويسري بعد أن ترجمته إلى التركية ، وطبقت قانون الجرائم الإيطالي ، وذلك بفرض هذين القانونين بعد التصويت عليهما في المجلس الوطني ، وغيرت الأحرف العربية بأحرف لاتينية . . » (٢)

ثم منع أتاتورك الأذان بالعربية وفرضه بالتركية ، ويذكر مؤلف كتاب « الرجل الصنم » أن أتاتورك سمع الأذان يردد يوماً : أشهد أن محمداً رسول الله . . فقال : « كيف يذكر اسم هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - خمس مرات في اليوم أكثر مما يذكر اسمه . . »، ثم يذكر المؤلف : « أن هذا كان سبب تحطيم مئذنة جامع أيا صوفيا وتحويله إلى متحف » (٣)

وهكذا سقطت الخلافة الإسلامية ، ودخلت العلمانية إلى العالم الإسلامي من أوسع أبوابه عن طريق تركيا ، وتحت قوة السلاح والبطش والتعذيب ؛ وفي هذا الجو المسموم تم حذف الدروس الدينية من المدارس التركية ، وكل شيء يتعلق بالخالق سبحانه وتعالى ليوضع بدلاً من هذا كلمات الطبيعة والقومية والتطور . « وفي سنة (١٩٣٢) نشرت في استانبول بتركيا دائرة معارف الحياة . . . تحت لفظ الجلالة « الله » تقول : إن الفكرة التي تريد الأديان الموجودة حالياً أن تبثها هي أن الله واحد ، وأنه هو الذي خلق الكون ، ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح لنا شيئاً فشيئاً أن هذه الفكرة باطلة ، وأنه لا وجود لشيء اسمه الله ؛ وقد انتشرت فكرة عدم الاعتقاد بالله بين أوساط المثقفين » . (٤)

---

(١) بعد كل سنوات القهر والاستبداد عاد الحجاب ليظهر وبقوة في تركيا ، وقد قامت مظاهرات في الأونة الأخيرة يطالب المسلمون فيها بعدم التعرض للحى والحجاب ، وطالب آلاف المتظاهرين بكسر الأيدي التي تمتد إلى الحجاب على أثر منع السلطات التركية التسجيل في الجامعة ، وفصل أكثر من ٣٠٠ مدرسة لارتدائهن الحجاب في أوقات العمل الرسمي . (جريدة الوطن الكويتية ٢٦/ ٢/ ١٩٩٨)

(٢) آرنولد توينبي - الإسلام والغرب والمستقبل - ص/ ٧٠ - تعريب د . نبيل صبحي - دار العربية .

(٣) ارمستريخ - الرجل الصنم - ص/ ٢٨٧ - نقلاً عن د . علي جريشة - الاتجاهات الفكرية المعاصرة - ص/ ٩١ مرجع سابق .

(٤) أحمد بهجت - انقاذ الإيمان - جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٣٠/ ٩/ ١٩٩٢ ، نقلاً عن د . محمد سيد - الغزو الثقافي - ص/ ١٤٣ - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤ - دار الفكر العربي - القاهرة .

ومع أن علمانية تركيا لم تظهر واضحة للعيان إلا بعد سقوط الخلافة في عام (١٩٢٤) إلا أننا نجد أن دعاة العلمانية - في مصر مثلاً - قد رفعوا أصواتهم بالمطالبة بها قبل ذلك ، فقد «عمدت حركة التغريب إلى مهاجمة الشريعة الإسلامية ، وتأكيد القانون الوضعي ، وكان محمود عزمي في مقدمة المهاجمين للشريعة الإسلامية والدعوة إلى ما أطلق عليه (مدنية القوانين) حيث طالب عام (١٩٢٢) أي قبل سقوط الخلافة بعامين بما أسماه : اعتبار القومية المصرية وحدها أساساً لتقريب بحقوق المصريين وواجباتهم العامة ، وانضم إليه عزيز ميرهم ، وهو من أعضاء الحزب الديمقراطي الذي اندمج في حزب الأحرار الدستوريين الذي دعا إلى المطالبة بتوحيد الشريعة والقضاء وجعلهما مدنيين في الأحوال الشخصيةكما في المعاملات ، والمعروف أن القانون الوضعي قد فرض على مصر منذ عهد اسماعيل ، ومنذ إنشاء المحاكم المختلطة . . . ومحمود عزمي هو أول رجل مصري انتقد ما جاء في الدستور المصري بأن « مصر دينها الرسمي الإسلام» وسمى هذا البند في الدستور « النص المشؤوم » وهاجمه في عدة مقالات . . . » (١)

يقول الدكتور محمد عمارة : « . . جاءت المحاكم المختلطة في سبعينات القرن التاسع عشر، فنظمت هذه الفوضى القضائية ، وأصبحت المحكمة المختلطة تحكم بالقانون الفرنسي، بل وباللغة الفرنسية ، ثم جاء كرومر فصنع في عام ١٨٨٣ ما سمى بالإصلاح القضائي ، وعممت القوانين الوضعية والقوانين العلمانية في القضاء المصري » (٢)

٣- الاستشراق والتنصير :

يراد بالاستشراق دراسة علوم الشرق ومعتقداته ، وقد قام الاستشراق في أول أمره على أكتاف المنصرين والرهبان ليمثل طليعة هامة من طلائع التنصير لاحقاً ، خاصة وقد فشلت

---

(١) أنور الجندي - يقظة الفكر العربي في مواجهة التغريب - ص / ١٢٧ ، ١٣٠ - مطبعة زهران - القاهرة .

(٢) د. محمد عمارة - مناظرة في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة (١/ ١٩٩٢) ، انظر النص الكامل للمناظرة : خالد محسن - مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية - ص/ ٤٨ - الطبعة الأولى ١٩٩٢ - مركز الإعلام العربي القاهرة .

الحروب الصليبية في تحطيم عقيدة المسلمين ، فتحولت المعركة بين المسلمين والغرب من ميدان السلاح إلى ميدان التشكيك في العقيدة والفكر الإسلامي « والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الإسلامية ، وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوروبيين من الوثنيين . . أما تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة ، وخاصة طبيعية تقوم على المؤشرات التي خلفتها الحروب الصليبية . . ». (١)

وكان الملك لويس التاسع هو أول من أدرك أن الغرب لا قبل له بمواجهة الإسلام مواجهة عسكرية ، فدعا إلى إيجاد سبيل آخر لحرب الإسلام وأهله « وإذا راجعنا وقائع التاريخ الغربي ، فإنا نجد أن وصية لويس التاسع قد وضعت موضع التنفيذ بعد سنوات قليلة من هزيمته وقتله في الحملة الصليبية التاسعة على تونس ، فقد بدأت حركة أوروبا المعروفة إلى ترجمة القرآن ، والتعرف على الإسلام ، وبدأ ت نواة التبشير والاستشراق في المعاهد الأوروبية بدراسة اللغة العربية ، والإسلام والقرآن من منطلق الرد عليه وانتقاصه ، وإثارة الشبهات حوله ، وقد ظاهرت هذه الحركة عملية خطيرة هي سرقة التراث العربي الإسلامي من البلاد العربية والإسلامية بواسطة القناصل والتجار ، وهي سرقة بمعنى الكلمة » . (٢)

يقول المنصر لورنس براون : « إذا اتحد المسلمون أمكن أن يكونوا لعنة على العالم . . . أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير . . لذا يجب أن نحول بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين » . (٣)

---

(١) محمد أسد – الإسلام على مفترق الطرق – ص/ ٦٠ – ترجمة عمر فروخ – ط . التاسعة ١٩٧٧ – دار العلم للملايين – بيروت

(٢) أنور الجندي – الإسلام في وجه التغريب – مخططات الاستشراق والتبشير – ص/ ١٩ – دار الاعتصام – القاهرة .

(٣) د . عمر فروخ ود . مصطفى الخالدي – التبشير والاستعمار – ص/ ٣٧ – طبعة ١٩٥٨ – صيدا لبنان .

ويقول المنصر وليم بالكراف : « إنه متى توارى القرآن ومدنية مكة عن بلاد العرب أمكن للعربي معها أن يتدرج في تلك السبيل – سبيل الحضارة » . (١)

ويقول المستشرق الفرنسي كميون : « إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً ، بل هي مرض مريع ، وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ، ويدمن على معاقرة الخمور ويجمع في القبائح . . . ليتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة : ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى . . » . (٢)

وهكذا ظهر الحقد واضحاً بما نفثته ألسنة المستشرقين ، واستطاعوا أن يغربوا أجيالاً من الأمة الإسلامية بواسطة ما يبثونه من سمومهم في المدارس التبشيرية أو العلمانية التي استطاعوا إنشاءها في العالم الإسلامي ، والتي يقول عنها المبشر الألماني (م . ك . اكسنفلد) : « إن الحكومة لا بد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين في المدارس العلمانية ، ما دام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ، ونحن نعترف بأن المدارس العلمانية تزيد الإسلام نمواً وارتقاء ، ولكن هذا أقل خطراً مما لو تركوا إلى مدارس إسلامية » . (٣)

لقد كان أخطر دور لعبه المستشرقون في حربهم الطويلة ضد الإسلام هو صياغة أفكار الناشئة صياغة غربية مغلوطة بدءاً من الحضانة إلى الجامعة مما أفرز جيلاً لا يعرف شيئاً عن الإسلام بينما يذوب غراماً في حضارة الغرب وبهرجتها الزائفة .

لقد كانت هذه المدارس أقصر الطرق لمحاولة هدم الإسلام من داخله ، كما صرحت بذلك المنصرة (آنا ميلجان) فقالت : « إن المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي ، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة لأوطانهم !! . . . » .

---

(١) محب الدين الخطيب ، ومساعد اليافي – الغارة على العالم الإسلامي – ص/ ٩٣ – ط . ١٣٧٥هـ – المكتبة السلفية .

(٢) محمد رشيد رضا – تاريخ الإمام محمد عبده – (٢/ ٩) – طبعة القاهرة .

(٣) د . عبدالمتعال الجبري – الاستشراق وجه للاستعمار الفكري – ص/ ٨٨ – ط . الأولى ١٩٩٥ – مطبعة المدني السعودية .

وتقول أيضاً عن كلية البنات الخاصة بالقاهرة : « في كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن "باشوات وبكوات " وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثمة طريق إلى دحض الإسلام أقصر من هذه المدرسة » . (١)

وهكذا وبعد هذا العرض الموجز يمكننا أن نلخص الأسباب التي تسببت بإدخال العلمانية إلى العالم الإسلامي بما يلي :

(١) انبهار بعض المسلمين بما حققته أوروبا من تقدم ورقي مادي جعل البعض يعتقد أن السبب الرئيس في هذا التقدم هو تخلصهم من سلطان الدين . مما سبب هزيمة نفسية للمسلمين .

(٢) رغبة بعض أبناء المسلمين في اللحاق بركب الحضارة المادية خاصة وأن الأمم المغلوبة مولعة بتقليد الغالب .

(٣) الاستعمار الغربي للدول الإسلامية مكن للعلمانية أن تنتشر تحت تهديد السلاح

(٤) سقوط الخلافة الإسلامية والتي كانت – على ضعفها – تربط المسلمين برباط الإسلام بدلاً من المفاهيم الجاهلية والتعصبات الوطنية التي طرأت بعد سقوط الخلافة .

(٥) الغزو الفكري المتمثل بإنشاء المدارس التنصيرية والعلمانية التي تبث المفاهيم الخاطئة حول الإسلام ، وإبراز الدين النصراني في ثوب جميل .



(١) د. عمر فروخ ود. مصطفى الخالدي – التبشير والاستعمار – ص/ ٦٧ – مرجع سابق .

الفصل الأول: العلمانية

المبحث الخامس :طلائع العلمانية في العالم الإسلامي

المبحث الخامس

طلائع العلمانية في العالم الإسلامي

كان النصارى العرب من أوائل من بذروا بذرة العلمانية في العالم الإسلامي حسداً من عند أنفسهم ورغبة في تشتيت جهود المسلمين ووحدة كلمتهم ، وفي ذلك يقول النصراني السوري (شبلي شميل) : « الأمم تقوى بمقدار ما يضعف الدين ، فهذه أوروبا لم تصبح قوية ومتمدنة فعلاً إلا عندما حطم الإصلاح والثورة الفرنسية سلطة الأكليروس « رجال الدين » على المجتمع ، وهذا يصح أيضاً على المجتمعات الإسلامية » . (١)

وقد كان لهؤلاء النصارى اتصال وثيق بالحضارة الغربية « فإن المسيحيين كانوا أسبق أبناء العرب اتصالاً بالثقافة الغربية ، وبهذه الصلات الثقافية الفرنسية والانجليزية من ناحية ، وبهذا الكلف بالثقافة والدراسات الغربية من ناحية أخرى ، فتحت عيونهم على عالمين جديدين خارج الكنيسة ، وخارج المدارس التبشيرية ، فهيأت بذلك لظهور الفكر العلماني المعادي للكنيسة في كثير من كتاباتهم في الوقت الذي لم يكن فيه لهذا الفكر أثر بين معاصريهم من كتاب المسلمين ومفكريهم . . » . (٢)

وقد استطاع النصاري العرب نشر افكارهم العلمانية عن طريق لصحافه لسهولة انتشارها بين الناس ، ولذلك انشئ في القاهرة ثلاث دور صحفية كبيرة تمثل الاتجاة المسيحي الماروني اللبناني ، وهي : دار الاهرام لآل تقلا ، ودار الهلال لآل زيدان ، ودار المقطم لآل صرّوف ، هذه الصحف التي كانت تمجد الاتجاه العلماني الاوروبي وتغض الطرف متعمدة عن الجانب السئ في هذه الحضارة ، مما جعل كثيراً من ابناء المسلمين يتأثرون بهذا الفكر العلماني الذي وصل حتى الى الأرياف عن طريق الصحافة (٣) .

---

(١) صالح العبود – القومية العربية في ضوء الإسلام – ص/ ٨٤ – (رسالة ماجستير – جامعة أم القرى) نقلاً عن سفر الحوالي ، العلمانية – ص٥٥٨/ – مرجع سابق .

(٢) البرت حوراني – الإسلام والحضارة الغربية – ص/ ٩٦ – دار النهار – بيروت .

(٣) انظر محمد قطب واقعنا المعاصر ٢٣٩-٢٤٠ط الثالثة ١٩٨٩ مؤسسة المدينة السعودية . د/ محمد العرمابي نشأة العلمانية ودخولها الى العالم الاسلامي ص ٤٨ ط الاولى ١٤٠٧ دار العاصمة السعودية ،

لقد ادى انفتاح العالم الاسلامي على الحضارة الغربية الى افتتان البعض بأوروبا وافكارها العلمانية ، وادت وسائل الاعلام العلمانية ، والبعثات الدراسيه الى اوروبا وحركة الترجمة الى وجود طلائع من ابناء المسلمين حملوا بذور الفكر العلماني الى البلاد الاسلامية من حيث شعروا أو لم يشعروا بذلك ، وساضرب على ذلك ثلاثة امثله :-

❖ الأول : رفاعة الطهطاوي ودوره في إدخال العلمانية إلى العالم العربي :

بدأت الأفكار العلمانية تتسلل إلى المسلمين العرب عن طريق البعثات الدراسية إلى الغرب وخاصة فرنسا مما جعل هؤلاء المبتعثين ينبهرون بحضارة لم تشاهدها أعينهم قط قبل ذلك ، فسبب ذلك عندهم ردة فعل عنيفة ضد الإسلام وتعاليمه ، مما جعلهم بالتالي فريسة سهلة لحمل بذور العلمانية إلى العالم العربي ، وقد كان رفاعة الطهطاوي من أوائل المتأثرين بالثقافة الفرنسية مما جعل أساتذته الفرنسيين يعولون عليه كثيراً - وعلى بقية المبتعثين - في تغيير أفكار المسلمين بعد عودتهم إلى ديارهم ، وهذا ما صرح به (إي إف جومار) مخاطباً الطهطاوي وبقية طلاب البعثة المصرية في حفل أقيم لتوزيع الجوائز على الناجحين بتاريخ (٤ تموز ١٨٢٨) حيث يقول : « إنكم منتدبون لتجديد وطنكم الذي سيكون سبباً في تمدين الشرق بأسره . . أمامكم مناهل العرفان ، فاغترفوا منها بكلتا يديكم ، وهنا قبسه المضئ بأنواره أمام أعينكم ، فاقتبسوا من فرنسا نور العقل الذي رفع أوروبا على سائر أجزاء الدنيا ، وبذلك تردون إلى وطنكم منافع الشرائع والفنون التي ازدان بها عدة قرون من الأزمان الماضية ، فمصر التي تنوبون عنها ستسترد بكم خواصها الأصلية »(١)

وهكذا عاد الطهطاوي من باريس بعد بعثة استمرت خمس سنوات (١٨٢٦ - ١٨٣١) ليكون طليعة- قصد أو لم يقصد - من طلائع الوطنية والعلمانية في العالم العربي ، وذلك لمناداته بأفكار لم تكن البيئة الإسلامية - المحافظة آنذاك نوعاً ما - متعودة على سماعها ، فلأول مرة نقرأ كلاماً عن الوطن والوطنية على غرار ما عند أوروبا ، وإن الوطن جامعة واحدة تجمع ساكنيه على اختلاف أديانهم ؛ وفي ذلك يقول الطهطاوي : « فجميع ما يجب على المسلم

(١) عمر طوسون - البعثات العلمية في عهدي عباس الأول وسعيد - ص/ ٨٧ - ط. ١٩٣٤ - الاسكندرية / مصر .

للمسلم ، يجب على أعضاء الوطن من حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الأخوة الوطنية فضلاً عن الأخوة الدينية ، فيجب أدباً لمن يجمعهم وطن واحد ، التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظامه ، فيما يخص شرف الوطن ، وغناه وثروته . . . »(١)

ومن الواضح أن وطنية الطهطاوي كانت وطنية مصرية علمانية ، فهو لا يخفى في كتابه اعتزازه وإعجابه بأمجاد قدماء المصريين كالفراعنة مثلاً(٢)، وهو مسلك مهد الطريق لاحقاً للدعوات الوطنية والقومية في أقطار الوطن العربي .

وقد فتن الطهطاوي أيضاً بقداسة الحرية عن الفرنسيين حتى قال : « ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الكلم عن الفرنساوية ، وهي من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم إلى درجة عالية . . . بحيث لا يجور الحاكم على إنسان ، بل القوانين هي المحكمة المعتبرة . . »(٣)

وخصص الطهطاوي للمرأة الشرقية كتاب (المرشد الأمين) يبين فيه صفات هذه المرأة حتى تأخذ دورها الحقيقي في المجتمع ، فإلى جانب كونها أماً وأختاً وزوجة ، فيجب عليها كذلك «عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها . . . فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة . . » .(٤)

وقد كانت هذه دعوة صريحة لخروج المرأة إلى العمل والاختلاط بالرجال ، كيف لا والطهطاوي من المدافعين عن الاختلاط ، والسفور دفاعاً محموماً ، فهو يقول : « إن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن ، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة ، والتعود على محبة واحد دون غيره ، وعدم التشريك في المحبة . . » .(٥)

(١) رفاعة الطهطاوي – مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية – ص/ ٩٩ – طبعة ١٩١٢ – القاهرة .

(٢) المرجع السابق (ص / ١٧٠).

(٣) رفاعة الطهطاوي – تخليص الإبريز في تلخيص باريز – ص/ ١٤٨ – طبعة ١٩٥٨ – وزارة الثقافة – مصر .

(٤) رفاعة الطهطاوي – المرشد الأمين للبنات والبنين – ص/ ٦٦ – مطبعة المدارس الملكية – ١٢٨٩هـ – القاهرة .

(٥) رفاعة الطهطاوي – تخليص الإبريز – ص/ ٣٠٥ – مرجع سابق .

ومع أن الواضح من دعوة الطهطاوي أنها دعوة وطنية علمانية إلا أنه من الصعوبة بمكان الحكم عليه أنه أحد العلمانيين العرب ، ولكن يبدو جلياً أنه أصيب بالانبهار الثقافي ، وبالحرية المطلقة التي شاهدها في باريس ، مما سبب عنده هزيمة نفسية يوم أن قارن حال الغرب المتقدم مع أحوال الشرق التي تبعث على الأسى آنذاك ، فكتب ما كتب ظناً منه أنه سينفع وطنه ؛ وما علم أنه كان جسراً عبرت من فوقه لاحقاً العلمانية بأوضح صورها إلى أرض الكنانة ، ثم انتشرت بعد في بقية العالم العربي .

❖ الثاني : علي عبدالرازق وكتابه الإسلام وأصول الحكم (١٩٢٥م) :

كان علي عبدالرازق قاضياً شرعياً ، وأحد علماء الأزهر ، ومن تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وقد (أخرج كتابه « الإسلام وأصول الحكم » غداة إلغاء الخلافة ، وقيل إن المندوب السامي البريطاني كان يسانده ، لذا وجه إليه فاتحة الكتاب ، ولاذ به من إيذاء المؤذين ، وقيل إن ذلك كان في مواجهة الحملة التي قادها الأزهر بتشجيع من ملك البلاد فؤاد الأول الذي كان يشرئب لتكون إليه الخلافة بعد إلغائها في تركيا وطرد خليفتها) . (١)

وأيا كانت الدوافع الشخصية أو السياسية وراء إصدار الكتاب فإن من الواضح أن هذا الكتاب أحدث ضجة لا يستهان بها وقت إصداره إذ أنه ولأول مرة يدعي قاضي شرعي أن الإسلام لا علاقة له بالحكم من قريب ولا بعيد ، وينكر أن الرسول ﷺ قد أقام دولة بالمعنى المفهوم ، وإنما أقام عليه السلام شريعة روحية لا صلة لها بالسياسة .

يقول علي عبدالرازق : « لم نجد فيما مر بنا من مباحث العلماء الذين زعموا أن إقامة الإمام فرض ، من حاول أن يقيم الدليل على فرضيته بآية من كتاب الله الكريم ، ولعمري لو كان في الكتاب دليل واحد لما تردد العلماء في التنويه والإشادة به » (٢)

---

(١) د. علي جريشة – الاتجاهات الفكرية المعاصرة – ص/ ٩٧ . مرجع سابق .

(٢) علي عبدالرازق – الإسلام وأصول الحكم – ص/ ١٣ – طبعة ١٩٢٥ – مطبعة مصر – القاهرة .

ويقول أيضاً : « القول – بأن محمداً ﷺ ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ، ولا دعوة لدولة ، وأنه لم يكن للنبي ﷺ ملك ولا حكومة ، وأنه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها ، وما كان إلا رسولاً كإخوانه الخالين من الرسل ، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة ولا داعياً إلى ملك – قول غير معروف وربما استكرهه سمع المسلم ، بيد أن له حظاً كبيراً من النظر وقوة الدليل . . »(١)

وقد أنكر علي عبدالرازق إجماع الصحابة على وجوب الإمامة فقال : « أما دعوى الإجماع في هذه المسألة فلا نجد مساغاً لقبولها على أي حال ، ومحال إذا طالبناهم بالدليل أن يظفروا بدليل . . فدعوى الإجماع هنا غير صحيحة ولا مسموعة . . » (٢)

وطعن في إمامة أبي بكر الصديق وقتاله المرتدين قائلاً : « لسنا نتردد لحظة في القطع بأن كثيراً مما وسموه في حرب المرتدين في الأيام الأولى من خلافة أبي بكر لم يكن حرباً دينية ، وإنما كان حرباً سياسية صرفة ؛ حسبها العامة ديناً ؛ وما كانت كلها للدين » (٣)

هذه هي الأفكار التي نادى بها علي عبدالرازق والتي لا تحتاج إلى أدلة لبيان بطلانها ، لظهور ذلك ووضوحه ، وقد لاقت اعتراضاً كبيراً بسبب خطورتها ، ومكانة قائلها في المجتمع ، حتى إنه لما سئل سعد باشا زغلول (١٨٥٧-١٩٢٧) لم يخف استياءه من الكتاب قائلاً : « لقد قرأته بإمعان ، لأعرف مبلغ الحملات عليه من الخطأ أو الصواب ، فعجبت أولاً : كيف يكتب عالم ديني بهذا الأسلوب في مثل هذا الموضوع ، وقد قرأت كثيراً للمستشرقين ولسواهم ، فما وجدت ممن طعن منهم في الإسلام حدة كهذه الحدة في التعبير على نحو ما كتب الشيخ علي عبدالرازق . . . لقد عرفت أنه جاهل بقواعد دينه ، بل بالبسيط من نظرياته ؛ وإلا فكيف يدعي أن الإسلام ليس مدنياً ، ولا هو بنظام يصلح للحكم . . . أو لم يقرأ أن أمماً حكمت بقواعد الإسلام فقط عهوداً طويلة كانت أنضر العصور ؟! . . أين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية الأزهرية ؟! إن قرار هيئة كبار العلماء

(١) المرجع السابق (ص/ ٦٤) .

(٢) المرجع السابق (ص/ ٢٢).

(٣) المرجع السابق (ص/ ٩٩).

بإخراج الشيخ علي من زمرتهم قرار صحيح لا عيب فيه ، لأن لهم حقاً صريحاً بمقتضى القانون أو بمقتضى المنطق والعقل أن يخرجوا من يخرج على أنظمتهم من حظيرتهم ، وذلك أمر لا علاقة له بحرية الرأي . . . والذي يؤلمني حقاً أن كثيراً من الشباب الذين لم تقو مداركهم في العلم القومي ، والذين تحملهم ثقافتهم الغربية على الإعجاب بكل جديد سيتحيزون لمثل هذه الأفكار ، خطأ كانت أو صواباً دون تمحيص ولا درس ، وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشيخ بين حرية الرأي وبين قواعد الإسلام الراسخة التي تصدى كتابه لهدمها » . (1)

لقد نقلت هذا الكلام – على طوله – لأنه يمثل إدانة صريحة لكتاب علي عبدالرازق من قبل قائد الثورة المصرية (١٩١٩) ، ومن أبرز زعماء العالم العربي آنذاك ، فضلاً على أن علماء ردوا عليه ردوداً شرعية (2) دحضوا فيها الشبه والافتراءات التي وردت في الكتاب ، بل حكمت هيئة كبار العلماء بمصر على مؤلف الكتاب بإخراجه من زمرة العلماء بعدأربعة أشهر من صدور الكتاب وبتاريخ (١٢/٨/ ١٩٢٥) ومع أنه تحداهم أنه سيمضي في آرائه ناشراً لها بكل الوسائل الممكنة إلا أن السنين مضت دون أن ينجز الرجل شيئاً من تحديه ، بل لقد حرص أبناؤه من بعده على إقامة دعاوي قضائية ضد من أعاد نشر الكتاب واستمرت القضية لأكثر من خمسةعشر عاماً . (3)

ومع أن علي عبدالرازق قد تراجع في آخر حياته عن ادعائه أن « رسالة الإسلام روحانية فقط » فقال : « . . وما أدري كيف تسربت كلمة روحانية الإسلام إلى لساني يومئذ ، ولم أرد معناها ، ولم يكن يخطر لي ببال بل لعله الشيطان ألقى في حديثي بتلك الكلمة ، وللشيطان أحياناً كلمات يلقيها على ألسنة بعض الناس » (4) إلا أن بعض العلمانيين لا زالوا يتخذون من كتاب (الإسلام وأصول الحكم) دستوراً للطعن في الإسلام واقتباس الشبه الهالكة منه حتى يومنا هذا .

---

(١) محمد جلال كشك – جهالات عصر التنوير – ص/ ٦٣-٦٤ – الطبعة الأولى ١٩٩٠– مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة

(٢) رد عليه شيخ الأزهر محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد الطاهر عاشور ، وغيرهم من العلماء . انظر محمد رجب بيومي – الأزهر بين السياسة وحرية الفكر – ص/ ١١٣ – ط. ١٩٨٣م – كتاب الهلال – القاهرة .

(٣) انظر في هذا : د. محمد عمارة – الإسلام والسياسة – ص/ ١١٠وما بعدها – الطبعة الأولى ١٩٩٣ – دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة .

(٤) المرجع السابق (ص/ ١١٧) .

❖ الثالث : طه حسين والدعوة الصريحة إلى العلمانية :

لم تمر سنة واحدة على إصدار علي عبدالرازق لكتابه حتى أصدر طه حسين كتاباً لا يقل سوءاً عن سابقه ، ففي سنة (١٩٢٦) أصدر طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) الذي استخدم فيه الشك الديكارتي للحكم على الشعر ، غير أن هذا الشك تعدى للطعن في القصص الواردة في القرآن الكريم ، وأنها روايات من نسج الخيال الإنساني .

يقول طه حسين : « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ، ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة من جهة أخرى » . (١)

ويشكك في دور العرب في بناء التاريخ ويقلل أيضاً من شأن نسب النبي ﷺ قائلاً : « ونوع آخر من تأثير الدين في انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين ، وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي ﷺ من ناحية أسرته ونسبه إلى قريش ، فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب أن يكون من صفوة بني هاشم ، وأن يكون بنوها هم صفوة بني عبدمناف ، وأن يكون بنو عبدمناف صفوة بني قصي ، وأن تكون قصي صفوة قريش ، وقريش صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الإنسانية كلها » . (٢)

ومع خطر هذا المنهج القائم على الشك الديكارتي الذي لا يؤمن إلا بما هو منظور محسوس وينكر ما وراء ذلك من الوحي والغيبيات ، إلا أن كتابه الآخر (مستقبل الثقافة في مصر) سنة (١٩٣٨) ، لا يقل خطراً عن كتابة الآنف الذكر إذ أنه في هذا الكتاب صرح بفلسفته وثقافته العلمانية ، ودعا إليها بقوة حيث أنه لا يؤمن أن وحدة الدين ممكن أن تكوّن دولة ، وفي ذلك يقول : « ومن المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ، ووحدة

---

(١) د . طه حسين – في الأدب الجاهلي (الأعمال الكاملة) – (٥/ ٢٦) – دار الكتاب اللبناني – بيروت .

(٢) المرجع السابق (٥/ ١٣٨) .

اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ، ولا قواما لتكوين الدول ، ولقد فطن المسلمون منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة ، وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أي شيء آخر . . وهذا التصور هو الذي تقوم عليه الحياة الحديثة في أوروبا ، فقد أقامت سياستها على المنافع الزمانية لا على الوحدة المسيحية . . » . (١)

هذه هي فلسفة طه حسين ودعوته التي نشرها بين الناس ليكون منقذاً للشرق من السقوط في أحضان الرجعية ، والحل عنده سهل جداً ، فمن أراد التطور والارتقاء - في نظره - فإن «السبيل واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد ، وهي أن نسير سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب» . (٢)

والحقيقة أن طه حسين لم يأت بشيء جديد ، وإنما كان صدىً مدوياً لمن سبقوه في هذا المجال فقد « طابق رأيه في الشعر رأي مرجليوث الذي سبقه . . وفي نظرته إلى الدين على أنه نبت من الأرض ولم ينزل من السماء طابق نظرة دوركايم الذي سبقه بها ، وفي رواية أن إبراهيم وإسماعيل كان وجودهما لا دليل عليه تاريخياً ، فقد سبقه بها هاشم العربي » (٣)

يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - : « إن طه حسين لم يكن في الحقيقة إلا بوقاً من أبواق الغرب ، وواحداً من عملائه الذين أقامهم لخدمة مصالحه ، وتنفيذ مخططاته وترويج حضارته وثقافته ليدفع المسلمين إلى الخضوع له » . (٤) ، وليس هذا تجنياً على طه حسين فمن

---

(١) طه حسين - مستقبل الثقافة في مصر - (١/ ١٥ ، ١٧) - مطبعة دار المعارف ١٩٣٨م - القاهرة .

(٢) المرجع السابق (ص/ ٤٥) .

(٣) أنور الجندي - الوجه الآخر لطه حسين من مذكرات السيدة سوزان (معك) - ص/ ١١ .

(٤) محمد الغزالي - ظلام من الغرب - ص٢٣١/ - ط . ١٩٥٦ - دار الكتاب العربي - القاهرة .

الثابت عنه أنه كان قبلة المستشرقين ومحبوبهم » وتصور السيدة سوزان كيف أن جميع المستشرقين في أنحاء الأرض كانوا إذا مروا بمصر زاروا طه حسين » . (١)

هذا وليس المقصود من عرض آراء طه حسين هنا الرد عليها ، فقد كفانا المؤنة علماء أجلاء (٢)، ولكن المقصود هو أن نبين أن طه حسين وعلي عبدالرازق والطهطاوي وغيرهم ما هم إلا طلائع العلمانية في العالم العربي ، فهم أول من بذر هذه البذرة الخبيثة في أرض الإسلام ، وتعهدها بالنماء حتى أورقت وأثمرت ثمراً مراً لا زلنا نجنيه إلى يومنا هذا ، وكل من أتى بعد من العلمانيين ، فما هم إلا عيال على كتبهم ووارد لشبههم ، وصادر عنها فحولها يدندنون ، ومنها يقبسون .



(١) أنور الجندي - الوجه الآخر لطه حسين - ص١٤/ - مرجع سابق .

وانظر طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام- أنور الجندي ص٤١ - دار الاعتصام - القاهرة، وكذلك عبد المجيد عبد السلام (طه حسين مفكراً) ط ثانية ١٩٨٠ دار النهضة - الاردن .

(٢) رد عليه سبعة علماء ويكفي في الرد عليه كتاب (تحت راية القرآن) للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، وانظر أسماء البقية ومؤلفاتهم في الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين - ص/ ٣٠١ - ط . ٩/ ١٩٩٢ - الرسالة - السعودية .

الفصل الأول: العلمانية

المبحث السادس: مجالات انتشار العلمانية في العالم الإسلامي

المبحث السادس

مجالات انتشار العلمانية في العالم الإسلامي

لقد عمل الاستعمار منذ أن دخل إلى البلاد الإسلامية على نشر العلمانية بشتى الطرق ، وكافة الوسائل ، ولعل أخطر هذه الوسائل ثلاث هي : (القانون ، والإعلام ، والتعليم) .

١- القانون :

لقد ظلت الأمة الإسلامية تعيش بعافيتها ردحاً من الزمن ، وطوال القرون الماضية والأمة تحكِّم كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ حتى أصابها الوهن أخيراً ، والانبهار بحضارة الغرب وقوانينه معتقدة أن سبب تقدم الغرب هو هذه القوانين البشرية الوضعية ، وقد «كان قانون العقوبات الفرنسي الذي صدر سنة ١٨١٠م حدثاً في تاريخ القانون الجنائي ونموذجاً في عهده ، نقلت عنه دول كثيرة في داخل أوروبا وخارجها ، ورغبت تركيا في كسب سياسي بالتقريب بين نظامها والنظم الأوروبية الحديثة فأصدرت قانون (الجزاء العثماني ١٨٥٨م) مستمداً أحكامه من القانون الفرنسي ، وبصدور هذا القانون انتهى عصر تطبيق الشريعة الإسلامية في كثير من الأقطار العربية ، حيث طبق عليها بحكم تبعيتها لتركيا ، وهو ما حصل في سوريا ولبنان ، والعراق ، وفلسطين . . » . (١)

وأما في مصر فقد « اقترنت علمنة القانون بالاحتلال الأجنبي ، فكانت أول علمنة (١٨٨٣م) بعد الاحتلال بسنة واحدة ، واقترن إلغاء الامتيازات الأجنبية بشرط الأجانب الاستمداد من التشريع الغربي بعيداً عن الشريعة الإسلامية ، ثم اقترن إلغاء النص على أن دين الدولة هو الإسلام في دستور مصر المؤقت سنة (١٩٥٨م) ثم في ميثاق العمل الوطني سنة (١٩٦٢م) اقترن بأحداث داخلية يعرف عنها الكثير الكثير ، وأكثر الدول الإسلامية - بكل

---

(١) د. محمد مصطفى - أصول قانون العقوبات في الدول العربية (ص/ ٩-١٠) .

أسف - تمت فيها علمنة القانون ، والدول التي لا تزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات من كل جانب . . » (١)

ولم يتوقف الأمر بعد الاستعمار على تنحية الشريعة الإسلامية - في مصر - عن واقع الحكم والحياة - في كافة مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية - بل كانت هناك محاولات للقضاء على جذورها في الأحوال الشخصية « وقد هاجم اللورد كرومر المحاكم الشرعية والشريعة الإسلامية ووصفها بأنها شريعة صحراوية بدوية ، ووضعت حكومة بطرس غالي قانوناً لإلغاء المحاكم الشرعية ، وهدم هذه البقية الباقية من التشريع الإسلامي ، وقد وجد ذلك معارضة شديدة ، وتقدم عدد من الباحثين لدحض ما ادعاه كرومر ونقضه ، ثم جاءت فرصة أخرى لمعارضة الشريعة الإسلامية إبان وضع الدستور بعد ثورة ١٩١٩ عندما بدأت مصر تدخل مرحلة الاستقلال إذ انطلق دعاة التغريب إلى ما أسموه الدعوة إلى توحيد التشريع في مصر ، ودعا محمود عزمي صاحب جريدة السفور إلى تطبيق القانون الوضعي على جميع المصريين مهما تكن أديانهم ومعتقداتهم وأطلق على هذا الاتجاه مدنية القوانين ، وهاجم رشيد رضا هذه الفكرة وأشار إلى أن دين الدولة في الدستور هو الإسلام » . (٢)

وهكذا اقصيت الشريعة الإسلامية - في كثير من البلدان الإسلامية - وحلت محلها القوانين الوضعية البشرية في وقت شهد الغريب قبل القريب لهذه الشريعة الربانية بالإعجاز ، وقد تعالت صيحات المنصفين تقرر « أنها أصح الشرائع لحكم البشرية ، فمنذ عام ١٩٣٥دوت صيحة عميد كلية الحقوق الفرنسية في المجمع الذي عقد في أثينا حين قال : « إن البشرية لتفخر بانتساب رجل مثل محمد ﷺ إليها ، فقد استطاع برغم أميته أن يأتي العالم بتشريع سنكون نحن الغربيين ، أسعد ما يكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة » ، وفي مؤتمر القانون الدولي في لاهاي (١٩٣٧م) قرر رجال القانون العالميين اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من أهم مصادر التشريع العام ، وأعلنوا أنها شريعة حية صالحة للتطور وأنها قائمة بذاتها وليست مأخودة من غيرها » . (٣)

---

(١) د. محمد جريشة ، ومحمد زيبق - أساليب الغزو الفكري - ص/ ٧٤ - مرجع سابق .

(٢) أنور الجندي - أصالة الفكر الإسلام في مواجهة التغريب - ص / ٣٩ - طبعة دار الفضيلة - القاهرة .

(٣) المرجع السابق (ص / ٤٢).

لقد صدق الله إذ قال في محكم تنزيله : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ . (١)

٢- الإعلام :

يوم أن انشب الاستعمار أظفاره بجسد العالم الإسلامي كان للصحف الموالية له أكبر الأثر في تربية الشعب وفق الطريقة التي يريدها المستعمر « إذ كانت تعمل دائبة على إقناع الناس بضرورة احترام المحتلين لما نالت مصر - بزعمهم - من خير على أيديهم ، ويطالبونهم بالارتباط بالحياة الأوروبية ، وضرورة أن يتعلم أبناؤهم على الأساتذة الأوروبيين » . (٢)

ويقرر المستشرق الانجليزي جيب في كتابه (إلى أين يتجه الإسلام) : « أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي كما يقرر أن مديري الصحف اليومية ينتمون في معظمهم إلى من يسميهم التقدميين ، ولذلك كان معظم هذه الصحف اليومية واقعاً تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية ، ويقول : إنهم لا يلعبون دوراً مهماً في تشكيل الرأي العالم بالقياس إلى الأحداث المحلية فحسب ، ولكن صحفهم تحتوي كذلك على مقالات تشرح الحركات السياسية والاقتصادية في أوروبا . . . ثم هم في الوقت نفسه يقفون الرأي العام على ما يجري في الغرب من أحداث وما يستحدث من آراء مبينين صدى ذلك في بلاد الشرق . . . ويقول أيضاً : « إن الصحافة التركية هي بطبيعة الحال وطنية لا دينية ، وهي لا تجرؤ على أن تكون دينية لأنها مراقبة من الحكومة مراقبة شديدة ، أما الصحافة المصرية فهي على العكس - من اتجاه الأولي الثوري - تتطور في بطء وتعرض طائفة منوعة من الآراء الجديدة وهي على كل حال لا دينية في اتجاهها . . . » (٣)

(١) المائدة : ٥٠

(٢) د. سامي عزيز - الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي - ص/ ٢٢٤ - دار الكتاب العربي نقلاً عن د. السيد أحمد فرج - جذور العلمانية - ص/ ٦٣ - مرجع سابق .

(٣) د. محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ص / ٢١٧-٢١٨ - ط. التاسعة ١٩٩٢ - دار الرسالة السعودية .

وليس بغريب أن تكون الصحافة - آنذاك - لادينية في مصر ، فقد أنشأها سوريون مسيحيون « وفي مقدمتهم فارس نمر ، ويعقوب صروف ، وشاهين مكاريوس ، الذين أسسوا دار المقطم للصحافة ، وأسموها دار المقطم لأنه الجبل الذي قدت منه أحجار الأهرامات ليذكروا المصريين بمجد الفراعنة لا بمجد الإسلام ، وأصدر أصحاب دار المقطم ثلاث صحف كلها كانت تخدم أغراض الاستعمار السياسية والاجتماعية والثقافية ، وهي : مجلة المقتطف العلمية (١٨٨٥) ، ومجلة اللطائف الأدبية (١٨٨٦) ، وصحيفة المقطم السياسية (١٨٨٩) . . . وقد تربى أصحاب المقطم الثلاثة في أكبر مدرسة تبشيرية في الشرق في هذا الحين ، وهي الكلية الأمريكية في بيروت . . » . (١)

وفي مصر قامت الصحافة بخدمة المستعمر خدمة جليلة آنذاك ، وقد تم تركيز الاستعمار على أرض الكنانة لأنها تمثل في نظر المخططين إشعاعاً روحياً وثقافياً للعالم العربي . فإذا أمكن إفسادها ستسري العدوى تباعاً إلى بقية الجسد الإسلامي « لذلك لانعجب كثيراً من وجود ثلاث دور صحفية كبيرة لبنانية مسيحية مارونية في القاهرة ، وإن كان السؤال يظل باقياً : لماذا اختار أولئك المسيحيون القاهرة لتكون موضع نشاطهم ؟ أبتوجيه وتخطيط من الصليبية العالمية أم بدافع من صليبيتهم الذاتية ؟ وبطبيعة الحال لا يوجد فرق في النهاية بين هذا الوضع وذاك . . ولكن هناك دلائل كثيرة تدل على أن هناك اتفاقاً صليبياً عالمياً على جعل القاهرة مكان الأفكار الناشزة عن الإسلام والحركات المناوئة للإسلام وللدولة العثمانية كتشجيع (نازلي فاضل) على بث أفكارها التحررية في صالونها بالقاهرة ، بحضور اللورد كرومر ، وكصدور بعض النشرات السرية للقومية العربية المطاردة من قبل الدولة العثمانية من القاهرة ، وكإقامة جمال الدين الأفغاني في مصر فترة من الوقت ، فإذا لاحظنا هذه الدلائل كلها كان الأقرب إلى الحسبان أن يكون وجود هذه الدور الصحفية الثلاث : (دار الأهرام لآل تقلا - ودار الهلال لآل زيدان - ودار المقطم لآل صروف) نتيجة توجيه صليبي عالمي لا مجرد انبعاث صليبي ذاتي . . وأيا يكن المنبع فالمصب واحد ، والتخطيط واحد والأهداف واحدة » (٢)

---

(١) د. السيد أحمد فرج - جذور العلمانية - ص/ ٦٤ - مرجع سابق .

(٢) محمد قطب واقعنا المعاصر - ص٢٣٩/-٢٤٠ - ط. الثالثة ١٩٨٩ - مطبعة المدينة للنشر - السعودية .

وقد استطاعت الصحافة أن تفسد أخلاقيات المجتمع وأفكاره في تلك الحقبة من التاريخ - ولا زالت - وعلى سبيل المثال نشرت جريدة السياسة الأسبوعية بالقاهرة سنة (١٩٢٦) مقالاً ذكر فيه كاتبه : « أن بعض الفتيات التركيات يشبهن فتيات أوروبا ، وقد تلقى بعضهن العلم في الكلية الأمريكية - بالقسطنطينية - وذكرت واحدة منهن « أن المرأة التركية اليوم حرة ، فلن تسير في الطرقات في ظلام ، وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الانجليزيات نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأمريكية ، ونرقص ، وندخن ، ونسافر ، وننتقل بغير أزواجنا» ويعلق كاتب الجريدة . . . ولا يسع كل محب لتركيا إلا أن يغبطها على هذه الخطوات » (١)

وفي هذه الفترة نشطت حركة الترجمة ،ولكن لم يكن حظ الكتب العلمية إلا قليلاً ، وانصب الاهتمام على ترجمة مئات القصص والمسرحيات الغربية التافهة ، والكتب التي تحمل في طياتها أفكار العلمانية ومعتقداتها مع اهتمام وافر بنشر الكتب المؤيدة لنظرية داروين ، وقد استطاعت هذه المسرحيات والقصص أن تؤثر تأثيراً بالغاً في أخلاقيات الشباب وأن تصبغه بصبغة علمانية غربية في فترة وجيزة . (٢)

٣- التعليم :

ركز الاستعمار قواه الضخمة في مجال التربية والتعليم « مستهدفاً تحقيق مفهوم العلمانية بتشكيل نماذج من النخبة والمثقفين تتجاوز الدين أساساً ، ولا تقف عند اللغة العربية أو تاريخ الإسلام ، أو قيم القرآن ومنهجه الشامل ، وقد كانت مهمة التغريب مركزة أساساً على إنشاء مدارس الإرساليات ، والمدارس الأجنبية ، ومسابقة المدرسة الوطنية الإسلامية ، والقضاء عليها ، وإنشاء منهج تعليمي تغريبي خالص ،وقد اتسع نطاق المدرسة الأجنبية والتبشيرية ، ونقلت مناهجها إدارات التعليم الخاضعة في معظم أجزاء العالم الإسلامي للنفوذ الأجنبي . . وقد كان إلغاء تدريس الإسلام أساسياً ، وتدريس فلسفات الأديان البائدة منهجاً ، واستتبع

(١) د. علي جريشة ومحمد زيبق - أساليب الغزو الفكري - ص/ ٧٢ - مرجع سابق .

(٢) انظر محمد قطب - واقعنا المعاصر - ص/ ٢٣٥ وما بعدها - مرجع سابق .

ذلك نفوذ ثقافي واسع عمد إلى تشويه التاريخ ، وإثارة الشبهات حول الإسلام ، والقضاء على اللغة العربية . . » (١)

وقد ذكرت آنفاً (٢) طرفاً من أهمية إنشاء المدارس الأجنبية لغزو العالم الإسلامي في نظر المستعمر ، وأضيف هنا ما يقوله المستشرق الانجليزي (جب) في كتابه (إلى أين يتجه الإسلام) فقد لاحظ « أن النشاط التعليمي والثقافي - عن طريق المدارس العصرية والصحافة - قد ترك في المسلمين - من غير وعي منهم - أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد . . وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار . . . وأصبح الرجل من عامة المسلمين يرى أن الشريعة الإسلامية لم تعد هي الفيصل فيما يعرض له من مشاكل . . بينما أصبحت مصالحه المدنية وحاجاته الدنيوية هي أكثر ما يسترعي انتباهه ، وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة » . (٣)

ومن أجل أن يكون التأثير بالغاً في عقول النشيء فقد ركزت هذه المدارس الغربية على تربية الجيل الإسلامي منذ الصغر إلى الجامعة ، يقول المبشر (جون موط) : « إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً ، ومن أجل ذلك يجب حمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية » (٤)

ويقول : (هـ. دانتي) في كتابه عن مؤتمر المبشرين المنعقد في القدس سنة (١٩٣٥) : « كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب . . . وخصوصاً ما دام طفلاً ، وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحيـــــاة » . (٥)

---

(١) أنور الجندي - سقوط العلمانية - ص/ ٣١ - دار الكتاب اللبناني - بيروت .

(٢) في مبحث أسباب نشأة العلمانية (التبشير والاستشراق)

(٣) د. محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ص/ ٢١٨-٢١٩ . مرجع سابق .

(٤) (٥) د. عبدالستار فتح الله - الغزو الفكري - ص/ ٧٧ - الطبعة الخامسة ١٩٨٩ - دار الوفاء - مصر .

ولم تكن هذه مجرد أمنيات غربية ، وإنما استطاعوا أن يحققوها على أرض الواقع وبقوة ، فأنشأ اللورد كرومر كلية فكتوريا بالاسكندرية « التي قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط انجليزي ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربي في إدارة شئون المسلمين ، وليكونوا في الوقت نفسه على مضي الوقت أدواته في التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوروبي . . » . (١)

وقد صرح اللورد (لويد) ممثل بريطانيا في مصر عن هذا المخطط في خطبة ألقاها في كلية فكتوريا بالاسكندرية سنة (١٩٣٦) على الطلبة الخريجين قائلاً : « كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية ، بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ ، فيصيروا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا عليها . . » . (٢)

وقد صاحب هذه الحملة المنظمة قضية هامة ساعدت في إنجاح المدارس الغربية ، ألا وهي تحجيم المدارس الدينية والتقليل من أهميتها في مواكبة عجلة الحياة ففي مصر مثلاً « . . حاول محمد علي في أول الأمر أن يدخل العلوم الحديثة ضمن مناهج الأزهر ، إلا أنه خشى معارضة الأزهريين ، فقام على الفور بإنشاء نظامه التعليمي الحديث ، وهكذا انقسم التعليم في مصر إلى نظام ديني ونظام مدني حديث » . (٣)

ثم لما أتى عهد الخديوي إسماعيل أصدر قانوناً لإصلاح الأزهر بزعمه عام (١٨٧٢م) وحددت اختصاصات الأزهر بإحدى عشرة مادة فقط هي : (الفقه ، وأصول الدين ، والتوحيد ، والحديث ، والتفسير ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والمنطق) (٤) وبذلك تم وأد الأزهر ليثبت المستعمر ومحبوه أن التعليم الديني شيء والمدني شيء آخر .

---

(١) د. محمد محمد حسين - الإسلام والحضارة الغربية - ص/ ٥٠ - الطبعة التاسعة ١٩٩٣ - مطبعة المدني - القاهرة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) منير عطا الله - تاريخ التعليم في مصر - ص/ ٧٩ ، ١٠٥ - ط. ١٩٧٢- مصر .

(٤) المرجع السابق .

واستطاع الاستعمار الفكري بهذه الخطة (الفصل بين التعليم الديني والمدني) أن يكتسح غالبية أصقاع العالم الإسلامي ، وفي ذلك يقول (جب) : « إن تركيا قد انقلبت إلى بلد غربي كأعنف ما يكون الانقلاب ، وأما في شبه جزيرة العرب فإن النفوذ الغربي لم يستطع أن يضع قدمه بعد (١) ، وفي شمال أفريقيا بدأت حركة التغريب ، وهي ماضية في طريقها ، وإن كان أثرها أبرز في تونس ، أما في مصر فهي تتطور في هدوء بعيد عن العنف ، ولكنها تتقدم تقدماً واضحاً في هذا الطريق ، أما العراق وسوريا فهي تتبع خطوات مصر ، بينما تتبع إيران خطوات تركيا ، وإن كانت أكثر منها اعتدالاً وتوسطاً . . » (٢)

وهكذا ظهرت العلمانية في الأمة الإسلامية ضمن مخطط مدروس لنزع اعتقاد الأمة الإسلامية ، واعتزازها بالكتاب والسنة ، ولا عجب فقد قال (دنلوب) في يوم من الأيام : «متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في الحضارة» . (٣)



(١) ظهر كتابه سنة ١٩٣٢

(٢) د. محمد محمد حسين – الاتجاهات الوطنية – ص/ ٢١٩ – مرجع سابق .

(٣) أنور الجندي – اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار – ص١٤٢/ – دار الاعتصام .

الفصل الأول: العلمانية

المبحث السابع: حكم الإسلام في العلمانية

المبحث السابع

حكم الإسلام في العلمانية

لقد كان توحيد الله جل جلاله في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته أعظم حقيقة في الوجود الإنساني كله منذ أن خلق الله آدم عليه السلام مروراً بالرسل عليهم أفضل الصلاة والتسليم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فمن أجل توحيده جل وعلا أنزلت الكتب وأرسلت الرسل وجردت سيوف الحق ، وباع المؤمنون أنفسهم وأموالهم ، وفاصل الرسل عليهم السلام أقوامهم من أجل كلمة (لا إله إلا الله) هذه الكلمة العظيمة التي هي بحق شريعة ومنهج حياة متكامل ، من أجل ذلك رفض الإسلام العلمانية رفضاً تاماً لأنها تريد أن تفصل بين هذا الدين العظيم (الإسلام) وبين واقع الحياة ، فلا يُحَكَّم في مجال السياسة ولا الاقتصاد ولا الاجتماع ولا في غيرها من المجالات الإنسانية ، لذلك شدد الله جل وعلا في الدعوة إلى التوحيد وإلى مقاومة الشرك في العبادة قاصداً « رفع الازدواج والثنائية في تحديد مصير الإنسان وفي توجيهه ، كما قصد إلى المساواة بين الناس ، فليس بينهم معصوم سوى رسول الله ﷺ في تبليغ ما أمر الله بتبليغه إلى الناس ، والجميع بعد ذلك سواء في جواز الخطأ والصواب ، وفي تفكيرهم وسلوكهم وتصرفاتهم ومعنى ذلك أنه ليس هناك حكومة إلهية من مجموعة من الناس أيا كان إخلاصهم في العبادة لله ، وأياً كانت منزلتهم منه ، وإذا أخذت بتعاليم القرآن واتبعت مبادئه في سياستها فهي حكومة إنسانية تخضع للصواب والخطأ ، ولذا فعند النزاع في الأمر مع القائمين على شأن الحكومة الإسلامية ، فالقرآن يطلب العودة بالنزاع بين الطرفين : طرف الحاكمين ، وطرف المحكومين إلى كتاب الله وسنة رسول الله التي تعبر عما في كتاب الله توضيحاً أو تطبيقاً ؛ يقول الله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ❁ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ » . (١)(٢)

---

(١) د. محمد البهي – الإسلام في حل مشاكل المجتمعات – ص/ ٣٥-٣٦ . مرجع سابق .

(٢) سورة النساء : ٥٨-٥٩ .

فالطاعة لا تكون إلا لله ورسوله والانقياد كذلك ؛ والله جل جلاله له الحكم والأمر وليس لأهواء الناس وشهوات البشر . .

- قال تعالى : ﴿ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (١)

- ويقول تعالى : ﴿ ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ (٢)

- ويقول جل ذكره : ﴿ أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾ (٣)

- ويقول سبحانه : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (٤)

- ويقول تعالى : ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ (٥)

لقد كانت هذه الحقيقة واضحة في أذهان المؤمنين في السابق فالدين هو سيد الموقف ، والله تعالى هم الحكم ، وظلت الأمة على هذا التصور الواضح ، والعقيدة النقية ، حتى دخلت الأمة في الواقع المعاصر في دوامة تقليد الغرب ، والأخذ بنظمه فرددوا وراء الغرب (دع ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر) ، والحقيقة أن الدين الإسلامي يرفض هذا التقسيم ، فالجانب الديني لله تعالى والمدني كذلك ، فما لله لله وما لقيصر لله أيضاً !! وهذا ما فعله النبي ﷺ فقد أقام دولة متكاملة حُكِّم فيها شرع الله تعالى ، فكانت أسعد لحظات البشرية يوم أن كان الغرب يرسف في أغلال الجهل والتخلف والطغيان « . . ومن بعده أصر صحابته أن يقيموا حكم الإسلام وأن يتعبدوا الله بإقامة دولته ، فلم يتركوا السياسة لرجالها أو مؤسساتها ويقبعوا هم في المساجد يعتكفون ويصلون بل من المساجد مارسوا السياسة ، وقادوا الجيوش ، وفتحو العالم شرقاً

(١) المائـــدة : ٤٩-٥٠ .

(٢) الكهـف : ٢٦ .

(٣) الأنعـــام : ١١٤ .

(٤) المائــدة : ٤٤ .

(٥) آل عمران : ١٥٤ .



وغرباً حتى جاء حين لم يكن في العالم كله دولة تنتطح مع دولة الإسلام أو تتطاول عليها ، وقنن الفقهاء هذا النظام وسموه الخلافة ، أو الإمامة العظمى . . . وهكذا جعلوا للحكم الإسلامي وظيفتين : حراسة الدين ، وسياسة الدنيا بهذا الدين . . »(١)

إن محاولة العلمانيين - في العالم الإسلامي - الثورة على سلطان الدين ما هي إلا تقليد فاشل لأوروبا ، لأن البذرة التي بذرت هناك لا يمكن أن تصلح للزراعة هنا ، وإذا سلمنا جدلاً بأحقية السلطة المدنية - في الغرب - بالثورة على رجال الكنيسة ، فلا يمكن بأي حال من الأحوال التسليم بأحقيتها هنا ، إذ أننا لم نكن نعاني في يوم من الأيام من طغيان ديني أو وجود صكوك غفران ، وليس عندنا عشاء رباني أو خطيئة موروثة ، ولا يوجد عندنا صراع بين الدين والعلم ، كما يوجد عند الدين النصراني المحرف « وإن نظرة فاحصة في آية واحدة من القرآن الكريم ترينا أن مفهوم الدين في الإسلام يختلف اختلافاً كلياً عما عند الأوروبيين ، فليس الدين في الإسلام هو التوجيه الروحي فقط . . . بل تجاوزها إلى دائرة الأموال والتبادل التجاري والوفاء بالعهد وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ❁ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾(٢) . . فالآيات السابقة تشرح دستور الجماعة الإسلامية في قيامها وتكوينها ، والآيات فوق أنها تحدد العقيدة والوصايا الخلقية الفردية فإنها تقرر مبدأ التعامل ، ومبدأ القضاء ومبدأ الدولة نفسها وصلتها بالأفراد ، فالدولة عهد بين الأفراد بعضهم مع بعض . . »(٣)

فالإسلام إذاً دين ودولة ، كيف لا وقد جيش رسول الله ﷺ الجيش ، وجاهد في سبيل الله تعالى امتثالاً لأمر ربه جل وعلا بقوله : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾(٤)

---

(١) د. علي جريشة - دين ودولة - (ص٩٨/ -٩٩) - الطبعة الثانية ١٩٨٨ - دار الوفاء - مصر .

(٢) الأنعام : ١٥١-١٥٢

(٣) د. محمد البهي - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - ص/ ٢٠١ - الطبعة التاسعة - مكتبة وهبة - القاهرة.

(٤) التحريم : ٩

علاوة على أن الشريعة الإسلامية تتناول أحكام العبادات والمعاملات والسياسة الشرعية وغيرها ، هذه الشريعة الربانية المتكاملة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (١) ، وشهد لها البعيد قبل القريب ، والعدو قبل الصديق ، يقول الدكتور (شاخت) : « على أن الإسلام يعني أكثر من دين ، إنه يمثل أيضاً نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول : إنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معاً » . (٢)

ويقول الأستاذ (نلنيو) : « لقد أسس محمد في وقت واحد ديناً ودولة ، وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته » . (٣)

ويقول السير (توماس أرنولد) : « كان النبي في نفس الوقت رئيساً للدين رئيساً للدولة » (٤)

إذاً الإسلام لم يعرف في يوم من الأيام التفريق بين الدين والدولة ، أو بين الدين والعلم ، وإنما « الغلطة من الأصل هي محاولة وضع الإسلام وتطبيقاته على ميزان التجربة الأوروبية ، واستخدام المصطلحات الغربية ذات الدلالات المحلية البحتة كأنها اصطلاحات إنسانية وعالمية تصلح للتطبيق على أي شيء ، وفي أي مكان دون النظر إلى الفروق الجوهرية بين التجربة التي تمت في ظل الدين المزيف ، والتجربة التي تمت في ظل الدين الحق ، وبين الاصطلاحات التي صنعها البشر في ظروف معينة ، والمصطلحات التي أنزلها الله لتحكم الحياة . . » (٥)

وفي نهاية الأمر لا يمكن أن يلتقي الإسلام مع العلمانية لأن العلمانية إنما هي تنحية شرع الله من الأرض ، وإقصاؤه عن واقع الحياة « وهل تحمل الرسول ﷺ وأصحابه العنت والمشقة والجهاد ثلاثاً وعشرين سنة متوالية ، وهل نزل القرآن الكريم موجهاً وآمراً وناهياً طوال هذه

---

(١) المائدة : ٣

(٢) د. محمد الريس – النظريات السياسية الإسلامية – ص/ ١٤ – طبعة مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة .

(٣) المرجع السابق (ص/ ١٤، ١٥).

(٤) المرجع السابق (ص/ ١٤، ١٥).

(٥) محمد قطب – العلمانيون والإسلام – ص/ ٥٩ – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – دار الوطن – الرياض .

السنين من أجل أن يقول الجاهليون باللسان فقط . . . لا إله إلا الله ، ويقيموا الشعائر التي يمن دعاة العلمانية على الله أنهم يسمحون بها ؟! . . . وما الفرق بين قول قريش : يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونعبد آلهتك سنة !! وبين قول العلمانيين - لفظاً أو حالاً - نعبد الله في المسجد ونطيع غيره في المتجر أو البرلمان أو الجامعة ؟! أهو شيء آخر غير أن قسمة أولئك زمنية وقسمة هؤلاء مكانية أو موضوعية ؟ »(١)

إن التجربة العلمانية اليوم تشكو من الإفلاس الفكري في بيئتها الأصلية فضلاً عن ديار الإسلام « ففي ظلال المجتمع العلماني يتمزق الإنسان بناء على تمزق مصيره، وتزدوج شخصيته بسبب الثنائية التي اصطنعها بين المادة والروح . . لقد فتح ذلك الإنسان وعيه على حقيقة محزنة وهي أن ليس ثمة مصير موحد يتحقق وينتمي إليه ومن ثم غدت حياته مزقاً مبعثرة . . »(٢)

ثم إن الغربين اليوم يفهمون أزدواجيتهم وأزمتهم تماماً لكنهم غير قادرين على التماس الطريق ، يقول الأستاذ (جود) : « إن دين أوروبا اليوم هو المادية لا النصرانية ، لم يزل سائداً على عقلية انجلترا منذ قرون شره المال والتملك ، ويسميها (جون جبينتز) : « تلك الحضارة التي تعوزها الروح . . .

هذه الحضارة الغربية التي قامت على أساس المادية ، والتي جاءت العلمانية لتمثل حلقة من حلقاتها ، لا يمكن أن تكون المثل الأعلى الذي تتقبله الذات العربية الإسلامية ، وترضى به ، لأنها تعرف أنه يقوم على أساس امتهان الدين والأخلاق »(٣)

❖ ❖ ❖ ❖

(١) د. سفر الحوالي - العلمانية - (ص/ ٦٨٧-٦٨٨) - طبعة ١٩٨٧ - الدار السلفية - الكويت .

(٢) د. عماد الدين خليل - تهافت العلمانية - ص/ ٨١ وما بعدها - ط. ١٣٩٥هـ - بيروت .

(٣) أنور الجندي - سقوط العلمانية - (ص/ ١٣٧-١٣٨) باختصار - مرجع سابق .

الباب الأول

الفصل الثاني

المعاد الأخروي

الباب الأول

العلمانية والمعاد الأخروي

الفصل الثاني

المعاد الأخروي

المبحث الأول

تعريف المعاد الأخروي

الفصل الثاني
المعاد الأخروي

المبحث الأول
تعريف المعاد الأخروي

❖ تعريف المعاد لغةً - :

قال ابن فارس : (المعاد :كل شئ إليه المصير ، والآخرة معاد الناس ، والله تعالى المبدئ المعيد ، وذلك أنه أَبدأ الخلق ثم يعيدهم [1] .

وقال ابن منظور : (المعاد :المصير والمرجع . . . تقول :عاد الشئ يعود عوداً ومعاداً أي رجع ، وقد يرد بمعنى صار ، ومنه حديث معاذ :قال له النبي صلى الله عليه وسلم :أَعُدْت فتانا يا معاذ ؟ أي صرت [2] .

وقال الفيروز آبادي : (المعاد :الآخرة ، والحج ، ومكة ، والجنة ، وبكليهما فسر قوله تعالى " :لرادك إلى معاد "[3] ، والمرجع ، والمصير ، ورجع عَوداً على بَدْء ، وعَوْدَه على بَدئِه ، أي : لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه) [4] .

---

(١) أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٨١) -تحقيق :عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى - ١٩٩١م - دار الجيل - بيروت .

(٢) محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ٣/ ٣١٧ - دار صادر - بيروت .

(٣) سورة القصص - آية (٨٥) .

(٤) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - القاموس المحيط - ص :٣٨٦ -ط :الثانية - ١٩٨٧م - دار الرسالة - بيروت .

وقال الراغب : (والمعاد يقال للعَود ، وللزمان الذي يعود فيه ، وقد يكون للمكان الذي يعود إليه) [١] .

ونستخلص من هذه التعريفات للمعاد بأنه مصدر مأخوذ من العَود وهو مرجع الشئ إلى ما كان عليه في الأصل .

والأخروي :نسبة إلى الآخرة أي يوم القيامة حين يحاسب الناس على أعمالهم .

❖ تعريف المعاد اصطلاحاً - :

يطلق المعاد اصطلاحاً على الرجوع إلى الله عز وجل يوم القيامة وذلك بإعادة الأجساد إلى ما كانت عليه في الحياة الدنيا ورجوع الروح إليها .

قال الله تعالى : ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ [٢] .

قال ابن كثير في تفسير هذا : (أي إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك . .) [٣] .

وقال الله جل جلاله : ﴿كما بدأكم تعودون﴾ [٤] ؛ قال الإمام الشوكاني مفسراً : (المعنى : كما أنشأكم في ابتداء الخلق يعيدكم ، فيكون المقصود الاحتجاج على منكري البعث ، فيجازي المحسن بإحسانه ، والمسئ بإساءته ، وقيل كما أخرجكم من بطون أمهاتكم تعودون إليه كذلك ليس معكم شئ) [٥] .

---

(١) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن - ص ٣٥٢ -دار المعرفة - بيروت .

(٢) سورة القصص - آية ٨٥ .

(٣) إسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٨٨-٣٨٩ -ط :الثانية - ١٩٩٠م - دار الجيل - بيروت .

(٤) سورة الأعراف - الآية ٢٩ .

(٥) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ٢/ ١٩٩ -دار الفكر - بيروت .

وجاء من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : (من جعل الهموم هما واحداً هم المعَادِ كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا ؛ لم يبال اللهُ في أي أوديته هلك) [1] .

ومما سبق يتضح أن المعاد يقصد به رجوع الخلق إلى الله عز وجل يوم القيامة وبعثهم بعد مماتهم وعودة الأرواح إلى الأجساد ؛ ثم محاسبتهم فإما إلى نار وإما إلى جنة .

وللمعاد ألفاظ ومصطلحات أخرى كلها تؤدي إلى نفس المعنى ؛ كالبعث والحشر والنشور والجزاء والقيامة ؛ قال الله عز وجل عن البعث : ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب . . ﴾ [2] .

قال الإمام ابن كثير : (. . من البعث :وهو المعاد ، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة[3] .

وأما الحشر فقد قال تعالى : ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ [4] ؛ قال الألوسي مفسراً : (وحشرناهم :أي جمعناهم إلى الموقف من كل أوب بعد أن أقمناهم من قبورهم) [5] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب الهم في الدنيا ٢/ ١٣٧٥ –حديث رقم (٤١٠٦)وذكره السيوطي في الجامع الصغير وحسنه الألباني في صحيح الجامع)٢/ ١٠٦٤ –حديث رقم ٦١٨٩) .

(٢) سورة الحج – الآية ٥ .

(٣) إسماعيل بن كثير – تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٠١، مرجع سابق .

(٤) سورة الكهف – الآية ٤٧ .

(٥) محمود الألوسي ، روح المعاني ٨/ ٢٧٣ –ط :الأولى – ١٩٩٤م – دار الكتب العلمية – بيروت .

وأما النشور فقد قال الله تعالى : ﴿ ثم أماته فاقبره ❁ ثم إذا شاء أنشره ﴾ (١) ؛ قال السفاريني (وأما النشور فهو يرادف البعث في المعنى ، نشر الميت ينشر نشوراً :إذا عاش بعد الموت وأنشره الله أي أحياه ومنه قولهم :يوم البعث والنشور) (٢) .

وأما الجزاء فقد قال جل من قائل :﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾(٣). والمقصود يوم القيامة كما ذكر المفسرون(٤) .

وقال تعالى أيضاً : ﴿إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ (٥) .

وأما القيامة فقد قال الله تعالى : ﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ (٦) ، وقال جل من قائل : ﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ (٧) .

وهكذا نجد للمعاد مترادفات لفظية تؤدي إلى نفس المعنى وإن اختلفت ألفاظها .

---

(١)-سورة عبس - الآية (٢١-٢٢).

(٢) محمد بن أحمد السفاريني ، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥٨) -ط :الثانية - ١٩٨٥م - المكتب الإسلامي - بيروت .

(٣) سورة البقرة - الآية (٤٨) .

(٤) انظر تفسير القرطبي (١/ ٣٧٧)، وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي(١/ ٨٤) .

(٥) سورة التوبة - الآية (٩٥) .

(٦)س سورة البقرة - الآية (٨٥) .

(٧) سورة البقرة - الآية(١١٣) .

الفصل الثاني : المعاد الأخروي

المبحث الثاني : حكم المعاد وأدلته

المبحث الثاني

حكم المعاد وأدلته

يعتبر الإيمان باليوم الآخر (المعاد) هو الركن الخامس من أركان الإيمان الذي لا يتم إيمان العبد ولا تصح عقيدته بالله جل جلاله إلا به ، كما أن الإيمان به أمر معلوم من الدين بالضرورة؛ ومن أنكر ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وقد دل على ذلك الكتاب الكريم والسنة النبوية وهو مقتضى الأدلة العقلية كذلك .

والمتأمل في القرآن الكريم يجد الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر - ومجادلة المنكرين لذلك - كثيرة جداً وبأساليب متعددة لتكون أبلغ في التأثير وأقوى في الحجة .

حتى لقد أقسم سبحانه وتعالى بالرياح الذاريات والسحب المثقلات والسفن الجاريات والملائكة المقسمات على وقوع هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم ؛ فقال جل من قائل : ﴿والذاريات ذروا ❖ فالحاملات وقراً ❖ فالجاريات يسراً ❖ فالمقسمات أمراً ❖ إن ما توعدون لصادق ❖ وإن الدين لواقع ﴾ [١] ؛ قال الإمام الشنقيطي مفسراً:

(. . . والمقسم عليه بهذه الأقسام هو قوله : ﴿إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع ﴾ والموجب لهذا التوكيد هو شدة إنكار الكفار للبعث والجزاء) [٢] ا . هـ .

---

(١) سورة الذاريات - الآية (١-٦) .

(٢) محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان (١/ ٦٦١)-ط :الإفتاء - ١٩٨٣ م .

بل إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يقسم على ذلك زيادة في التأكيد والبيان ؛ فقال جل من قائل : ﴿ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه الحق وما أنتم بمعجزين﴾(١).

وقال تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ (٢) .

وقال جل من قائل : ﴿زعم الذين كفروا ألن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ (٣) .

بل إن الله رد على قسمهم الباطل - باستحالة البعث - بوعده الحق فقال تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٤).

قال الإمام الرازي مبيناً الفائدة من هذا القسم :

أحدها :أن يستميلهم ويتكلم معهم بالكلام المعتاد ومن الظاهر أن من أخبر عن شئ وأكده بالقسم فقد أخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد .

ثانيها :أن الناس طبقات :فمنهم من لا يقر بالشئ إلا بالبرهان الحقيقي ، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية نحو القسم ؛ فإن الإعرابي الذي جاء للرسول عليه السلام وسأله عن نبوته ورسالته اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم فكذا ها هنا . . .) (٥)

---

(١) سورة يونس - الآية (٥٣).
(٢) سورة سبأ - الآية(٣) .
(٣) سورة التغابن - الآية(٧) .
(٤) سورة النحل - الآية(٣٨) .
(٥) محمد بن عمر الفخر الرازي - التفسير الكبير(١٧/ ١١٠)-الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

❖ **الأساليب الواردة في القرآن الكريم لإثبات المعاد - :**

سلك القرآن الكريم مسالك متعددة في إثبات المعاد الأخروي حتى يقطع شبه المعاندين المنكرين ويزيد إيمان الموحدين المخلصين ، ولخطورة المسألة فقد ذكرت "الآخرة "في القرآن أكثر من مئة مرة لبيان أهمية الموضوع وعظيم شأنه ، وما أهتم القرآن بشئ وعرضه في شتى صوره وذكره المرة بعد المرة إلا لما له من شأن عظيم في العقيدة الإسلامية .

وفي ذلك يقول جل ذكره : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (1) ؛ ويقول تعالى : ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ (2) ؛ ويقول عظم سلطانه : ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾(3)؛ ومن أجل إثبات هذه الحقيقة العظيمة فقد تنوعت الأساليب في القرآن الكريم ومن هذه الأساليب :

١-الاستدلال بقضية خلق الإنسان وتحوله من طور إلى طور آخر وتذكيره بالنشأة الأولى ليستيقن النشأة الثانية .

وفي ذلك يقول تعالى : ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى ❖ ألم يك نطفة من مني يمنى ❖ ثم كان علقة فخلق فسوى ❖ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ❖ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ❖ ﴾ (4) .

---

(1) سورة آل عمران – الآية (٨٥).

(2) سورة النساء – الآية (٧٧) .

(3) سورة التوبة – الآية (٣٨) .

(4) سورة القيامة – الآية (٣٦-٤٠) .

ويقول تعالى : ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾ (١) .

ويقول جل من قائل : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ❖ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ❖ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ❖ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ❖ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ (٢) .

ويقول عظم سلطانه : ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ❖ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ❖ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ❖﴾ (٣) .

ويقول تعالى : ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ❖ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ❖﴾ (٤) .

والشاهد من الآيات واضح لكل ذي عينين فإن الله جل جلاله وهو الذي أنشأ الإنسان النشأة الأولى قادر على أن يعيده كما كان مرة أخرى ولا يعجزه ذلك جل وعلا .

---

(١) سورة الحج – الآية (٥) .

(٢) سورة المؤمنون – الآية (١٢-١٦) .

(٣) سورة يس – الآية (٧٧-٧٩).

(٤) سورة مريم – الآية (٦٦).

قال ابن القيم رحمه الله عند قول الله تعالى : ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب . . . الآية ﴾ [1] : ﴿يقول سبحانه :إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت ، والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى فهما نظيران في الإمكان والوقوع ؛ فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها ؟ !) [2] .

٢-الاستدلال بخلق السموات والأرض على بعث الموتى وإحيائهم من جديد :وقد وردت في هذا المقام آيات كثيرة في القرآن الكريم ؛ قال تعالى : ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ❖ رفع سمكها فسواها ❖ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شئ قدير❖ ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [5] .

والشاهد من الآيات الكريمات أن الله جل وعلا يذكر الناس بخلق السموات والأرض وأنها - على عظم خلقها وإتقانه - أكبر من خلق الناس وإعادتهم للحياة بعد مماتهم ، فمن هو الإنسان ذلك الكائن الصغير بجانب السموات العظيمة والأرض الشاسعة الممتدة ؟! ولا شك أن من خلق هذه المخلوقات العظيمة وأتقن صنعها قادر على خلق ما هو أدنى منها ؛ وهذا لا

(١) سورة الحج - الآية (٥).
(٢) ابن القيم الجوزية - إعلام الموقعين (١/ ١٤٠) -ط :دار الفكر - بيروت .
(٣) سورة النازعات - الآية (٢٧-٢٨) .
(٤) سورة الأحقاف - الآية(٣٣) .
(٥) سورة غافر - الآية (٥٧) .

يماري فيه إلا معاند مكابر أما أصحاب العقول والفطر السليمة فلا يشكون في هذا مثقال حبة من خردل .

٣-الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى - :

وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ [(١)] .

ويقول تعالى : ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ [(٢)] .

وقال تعالى :﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شئ قدير﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير﴾ [(٤)] .

قال الإمام ابن القيم عند قول الله عز وجل : ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة . . . الآية﴾ [(٥)] : (. . فدل سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذي استبعدوه ؛ وذلك قياس إحياء على إحياء ؛ واعتبار الشئ بنظيره ؛ والعلة الموجبة هي

---

(١) سورة الأعراف – الآية (٥٧) .

(٢) سورة فاطر – الآية (٩) .

(٣) سورة فصلت – الآية (٣٩).

(٤) سورة الروم – الآية (٥٠) .

(٥) سورة فصلت – الآية (٣٩).

عموم قدرته سبحانه ؛ وكمال حكمته ؛ وإحياء الأرض دليل العلة) [١] .

٤ -الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر :-

قال تعالى : ﴿أفرأيتم النار التي تورون ❁ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ [٢] .

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير هذه الآيات " :والجواب الذي لا جواب غيره ، أنت يا ربنا هو الذي أنشأت شجرتها ، ونحن لا قدرة لنا بذلك . فيقال :كيف تنكرون البعث وأنتم تعلمون أنّ من أنشأ شجرة النار وأخرجها منها قادر على كل شئ . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون خلق النار من أدلة البعث جاء موضحاً في (يس) في قوله تعالى : ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ❁ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون[٣] ؛ فقوله في آخر (يس) : ﴿توقدون ﴾ ؛ هو معنى قوله في الواقعة : ﴿تورون﴾ ، وقوله في آية (يس) : ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ﴾ بعد قوله : ﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ دليل واضح على أن خلق النار من أدلة البعث "[٤] .

---

(١) ابن القيم – إعلام الموقعين (١/ ١٣٩)، مرجع سابق .

(٢) سورة الواقعة – الآية (٧١-٧٢) .

(٣) سورة يس – الآية (٧٩-٨٠) .

(٤) أضواء البيان (٧/ ٧٩٥).

٥-الاستدلال بقصص الأمم السابقة وإن منهم من أماته الله ثم أحياه ليكون دليلاً حسياً على البعث :-

وقد وردت عدة قصص ذكرها الله جل جلاله في كتابه الكريم كقصة الصاعقة التي أماتت بني إسرائيل ثم بعثهم الله مرة أخرى لينظروا قدرة الله عليهم ؛ قال تعالى : ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ❖ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ (١) .

وكقصة الذي مر على قرية ، وذكره الله بقوله : ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير﴾ (٢) .

وكطلب إبراهيم من ربه جل وعلا أن يريه كيف يحيى الموتى فقال تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً وأعلم أن الله عزيز حكيم﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة – الآية (٥٥-٥٦).

(٢) سورة البقرة – الآية (٢٥٩) .

(٣) سورة البقرة – الآية (٢٦٠) .

وكقصة أصحاب الكهف الذين قال تعالى عنهم : ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ❖ فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عدداً ❖ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾ [١] .

إلى غير ذلك من القصص التي يوردها القرآن الكريم عن الأمم السابقة لتكون دليلاً حسياً على البعث .

وبالرغم من وضوح أدلة القرآن الكريم على هذا الأمر العظيم إلا أن كثيراً من الناس أبوا الإيمان به والانقياد لحكم الله جل وعلا ؛ فقال الله فيهم : ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ [٢] ؛ وقال جل من قائل : ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [٣] .

❖ الأدلة من السنة النبوية :-

أكدت الأحاديث النبوية الشريفة على أهمية اليوم الآخر في عقيدة الإنسان المسلم ففي حديث جبريل عندما جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : (. . فأخبرني عن الإيمان ، قال :أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ؛ قال : صدقت) إلى قوله عليه السلام : (. . فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) [٤] .

(١) سورة الكهف – الآية (١٠-١٢) .

(٢) سورة التغابن – الآية (٧) .

(٣) سورة الرعد – الآية (٥).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب الإيمان والإسلام والإحسان (١/ ٢٢٢) حديث :١ ، عن عمر بن الخطاب وأخرجه البخاري في كتاب الإيمان – باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام(١/ ١١٤) ح ٥ عن أبي هريرة .

وفي الحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا قال : (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ؛ وشتمني ولم يكن له ذلك ؛ أما تكذيبه إياي أن يقول :إني لن أعيده كما بدأته ؛ وأما شتمه إياي أن يقول :اتخذ الله ولداً ؛ وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد ﴾ [1] .

قال الإمام ابن حجر رحمه الله : (. . . والمراد به بعض بني آدم وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم من عباد الأوثان والدهرية ومن ادعى أن لله ولداً من العرب أيضاً ومن اليهود والنصارى) [2] .

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً وسوف ترد معنا في ثنايا الرسالة إن شاء الله تعالى .

❖ **دلالة العقل على المعاد - :**

خلق الله عز وجل الخلق وأكرمهم بنعمة العقل التي ميزتهم عن بقية المخلوقات ، ثم أكرمهم جل وعلا بإرسال الرسل ليدلوا العباد على الصراط المستقيم فبين العقل والدين الحق مساندة متبادلة يقول عنها الراغب الأصفهاني : (أعلم أن العقل لا يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لا يتبين إلا بالعقل :فالعقل كالأساس والشرع كالبناء ، ولن يغني أساس ما لم يكن بناء ؛ ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس ؛ وأيضاً فالعقل كالبصر ، والشرع كالشعاع ، ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر) [3] .

(١) أخرجه البخاري في الصحيح – كتاب التفسير – باب قوله : (الله الصمد) (٨/ ٧٣٩) ح ٤٩٧٥ عن أبي هريرة .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٤٠) .

(٣) الراغب الأصفهاني – تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين –(٥٩) – ط :١٣٢٥ هـ – طبعة مصطفى الكتبي – مصر .

ولو ترك العقل المتزن والفطرة السليمة على سجيتها لأدركت المحاسن والمساوئ ، ولأدرك العقل السليم أنه لا بد من معاد لهذا الإنسان ومجازاة المحسن بإحسانه والمسئ باساءته ، خاصة وأنه يشاهد المخلوقات وهي تخلق ثم تفنى ثم هي في حياتها على مشارب شتى فهذا أمين وهذا كذاب وذلك مظلوم وهذا ظالم ومن هنا يدرك العاقل أن هناك حياة أخرى غير حياتنا الدنيا يُقتصُ فيها للمظلوم من الظالم وإلا كانت الحياة عبثاً لا طائل من ورائه ؛ ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله):ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع وأن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص) [1] .

وعندما نقول أن العقل السليم لا بد أن يهتدي إلى وجوب المعاد لهذه الأجساد فالمقصود أنه يدرك ذلك على الجملة وأما تفاصيله فلا تعلم إلا بعد ورود الشرع كما أن الإنسان لا يؤاخذ بأعماله إلا بعد بلوغ الحجة الشرعية ، ولذلك قال ابن القيم : (والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالاً وأما تفصيلاً فلا يعلم إلا بالسمع) [2] .

وممن أدرك أمر المعاد في الجاهلية - على الإجمال - قس بن ساعده الأيادي خطيب العرب وشاعرها حيث قال في خطبته : (أيها الناس اسمعوا وعوا ؛ من عاش مات ؛ ومن مات فات ؛ وكل ما هو آت آت ؛ ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج ؛ ونجوم تزهر وبحار تزخر وجبال مرساة وأرض مدحاة وأنهار مجراة إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ؛ ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؛ أرضوا فاقاموا أم تركوا فناموا ، يقسم قس بالله قسماً لا أثم فيه أن لله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ؛ إنكم لتأتون من الأمر منكراً ثم أنشا بعد ذلك يقول :

---

(١) ابن قيم الجوزية - الفوائد - ص :١٤ -الطبعة الأولى - ١٩٨٣م - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) ابن قيم الجوزية - حادي الأرواح - (ص :٢٥٧) -دار الكتب العلمية - بيروت .

(١) في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر .

(٢) لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر .

(٣) ورأيت قومي نحوها تمضى الأكابر والأصاغر .

(٤) لا يرجع الماضي إليّ ولا من الماضين غابر .

(٥) أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر [1] .

يقول الشهرستاني في معرض ذكره لمن كان يؤمن بالمعاد من أهل الجاهلية : (. . ومنهم عامر بن الظرب العدواني كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصية طويلة يقول في آخرها : إني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ؛ ولا جائياً إلا ذاهباً ؛ ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء ؛ ثم قال :إني أرى أموراً شتى وحتى ؛ قيل له :وما حتى ؟ قال :حتى يرجع الميت حيا ويعود اللاشئ شيئاً ولذلك خلقت السموات والأرض . . .

ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى :كان يمر بالعضاة وقد أورقت بعد يبس فيقول :لولا أن تسبنى العرب لآمنت بمن أحياك بعد يبس سيحيى العظام وهي رميم ؛ ثم آمن بعد ذلك وقال قصيدته التي أولها :أمن أم أوفى . . ومنها :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر	ليوم الحساب أو يعجل فينقم

---

(١) أحمد الهاشمي – جواهر الأدب ١/ ٣٣٦ –ط :١٩٨٣م – دار الكتب العلمية – بيروت ، وانظر عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ١/ ٢٠٧ –ط :١٩٦٨م – دار الفكر للجميع – بيروت .

ومنهم علاف بن شهاب التميمي كان يؤمن بالله ويوم الحساب وفيه قال :-

ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة فأخذت منـــه خطة المغــتـال

وعلمت أن الله جاز عـبده يوم الحساب بأحسن الأعمال)[1]

والشاهد أن العقل السليم يشهد بوجود خالق لهذا الكون ، وأن الخلق لا بد أن يحاسبوا على أعمالهم بعد فنائهم من هذه الدنيا ، ولمكانة العقل في الإسلام فقد سلكت الآيات القرآنية التي تضمنت الحجاج عن مطالب العقيدة – وخاصة ما يتعلق باليوم الآخر – مسالك عقلية فجاءت أدلتها حاسمة قاطعة لكل أنواع الإنكار أو الشك والظن ؛ بل في الغالب ما تتعدد الأدلة الكثيرة على المطلب الواحد ويكون كل واحد منها مستقلاً في دلالته – كما عرضنا سابقاً في أنواع الاستدلالات الواردة في القرآن لإثبات المعاد – وذلك ليحصل بمجموعها زيادة يقين للقلب المؤمن ، والمتتبع للاساليب الواردة في القرآن الكريم لإثبات المعاد الأخروى يظهر له (استيفاء النصوص لأوجه الدلالة العقلية على امكان البعث ، سواء كان ذلك من جهة الاستناد الى وقوع البعث في هذه الدنيا ، وأن وقوعه يستلزم إمكانه ، او كان من جهة الاستناد الى وجود نظيره لأنه للنظير حكم نظيره ، أو كان من جهة الاستناد الى وجود ما يكون البعث اولى بالوجود منه .

فلا يمكن الاستدلال بحجة عقلية على البعث الا وقد جاءت بها النصوص على أتم وجه وهذا يبين معنى ما تقرر من اشتمال النصوص على الدلالة العقلية في جميع مسائل الاعتقاد التي يمكن ان يستدل عليها بالعقل)[2]

وفي نهاية المطاف تبقى أمور المعاد الأخروي من أهم مسائل العقيدة وركناً من أركانها الثابتة بآيات الكتاب الكريم ؛ وبأحاديث سيد المرسلين ؛ وبدلالة العقل المتزن والفطرة السليمة ؛ ولا يقبل إيمان مؤمن إلا بعد أن يقر بهذا الركن العظيم ؛ ومن أبى واستكبر فقد خرج من دين رب العالمين .

(١) محمد عبد الكريم الشهرستاني – الملل والنحل (٢/ ٦٨١- ٧٨٦) الطبعة الثانية – ١٩٩٢م – دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) د/ عبدالله القرني – المعرفة في الإسلام ص ٥٦٨ ط الأولى ١٤١٩ دار عالم الفوائد السعودية .

الفصل الثاني: المعاد الأخروي

المبحث الثالث : عقيدة اليهود والنصارى في المعاد الأخروي

المبحث الثالث
عقيدة اليهود والنصارى في المعاد الأخروي

اختلفت الملل والنحل في نظرتها للمعاد الأخروي وتشعبت بها الفلسفات ؛ وسنعرض هنا لعقيدة اليهود والنصارى لهذه المسألة العقدية حتى نتلمس أوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين العقيدة الإسلامية في هذه المسألة .

❖ **المعاد عند اليهود :**

مما لا شك فيه أن الديانة اليهودية التي أرسل الله عز وجل بها موسى عليه السلام قد اشتملت على وجوب الإيمان باليوم الآخر ، فقد كان أول وحي أوحاه الله تعالى لموسى قوله عز وجل : ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ❖ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ❖ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ❖ ﴾ (١) ؛ وأنزل الله عز وجل التوراة مشتملة على الشريعة والعقيدة كما قال تعالى : ﴿انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء . . . الآية ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين ﴾ (٣) .

(١) سورة طه - الآية (١٤-١٦) .

(٢) سورة المائدة - الآية (٤٤) .

(٣) سورة الأعراف - الآية (١٤٥) .

قال الشهرستاني : (وأنزل عليه الألواح على شبه مختصر ما في التوراة يشتمل على الأقسام العملية والعلمية قال عز ذكره " : وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة "إشارة إلى تمام القسم العملي "وتفصيلاً لكل شئ "إشارة إلى تمام القسم العلمي (، الشهرستاني - الملل والنحل (٢/ ٢٣١)، مرجع سابق .

وقص الله تعالى في كتابه الكريم قصة مؤمن من اتباع موسى عليه السلام فقال عنه : ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ❖ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ❖ ﴾ [1] .

ثم تعرضت التوراة – بعد ذلك بزمن – إلى التحريف والتبديل ولعبت بها أيدي المغيرين ؛ ومن يتأمل العهد القديم بأسفاره الخمسة يجد أنها خالية من الكلام على المعاد الأخروي والجنة والنار ؛ ولذلك يقول الدكتور دراز : (لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهده أية إشارة في أي مكان إلى حياة بعد الموت ، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان في أديانهم) [2] .

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي : (. . . إن الديانة اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار ، كما ينبئ بذلك القرآن الكريم ، ولكن أسفار العهد القديم التي بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ، ومن ثم لا نجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذي يقرره الإسلام) [3] .

ويذكر الشهرستاني أن من بين فرق اليهود فرقة السامرة : (وافترقت السامرة إلى دوستانية . . وإلى كوسانية ، والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة ؛ والكوسانية معناها الجماعة الصادقة ، وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها ؛ والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا) [4] .

---

(١) سورة غافر – الآية (٣٨-٣٩).

(٢) د /محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق في القرآن – ص :٢٨ ، ترجمة د /عبد الصبور شاهين – الطبعة الثالثة – ١٩٨٠م – مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٣) د /علي عبد الواحد وافي – الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام –ص : (٣٤).

(٤) الشهرستاني – الملل والنحل (٢/ ٢٤٣) ، مرجع سابق .

ومما يؤيد أن اليهود ذهبوا إلى إنكار البعث – في الغالب – إثبات الثواب الدنيوي ما ذكره ول ديورانت قائلاً) :لم يكن في هذا الدين – شريعة موسى – جحيم يخصص لعقاب المذنبين ولكن "شيول "أو "أرض الظلام "التي تحت الأرض لم تقل هولاً عن هذا الجحيم. . وكان يلقى فيها الموتى جميعهم الطيب منهم والخبيث !! . . على أن اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ؛ ولم يرد في دينهم شئ عن الخلود . . وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا . . . ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في الأرض) [1] ؛ وعلى ما في هذا الكلام من عموم فإنه يصدق على شريعة بني إسرائيل بعد التحريف ، أما قبل أن يدخلها التحريف فقد كانت عقيدة المعاد والجزاء واضحة كل الوضوح لإتباع رسالة موسى عليه السلام كما قال الله تعالى عن يوسف عليه السلام :﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ [2] .

وقد اعترف اليهود بخلو التوراة – أسفار موسى الخمسة – من الكلام حول البعث والمعاد ولكنهم يبررون ذلك ويدافعون عنه ؛ وفي معرض الدفاع عن ذلك يقول ابن كمونة اليهودي : (. . إن خلو التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى – يعني المعاد الأخروي – وخاطب به بني إسرائيل واستفاض فيهم ؛ فإن قيل فلم لم يكتبه في التوراة مصرحاً ؟! قيل :إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها ولا السؤال عنها ، بل ربما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها) [3] . . . ثم يدعي ابن كمونة اليهودي أن بني إسرائيل على معرفة بهذه العقيدة ولا تحتاج إلى ذكر أو تكرار فيقول :-)ولو كان مرضهم إنكار البقاء الأبدي للنفوس بعد الموت والثواب والعقاب فيه لكان قد كرر ذكره في التوراة للتأكيد والتقرير ، ولما لم يكن الأمر كذلك اقتنع باستفاضته بين

(١) ول . ديورانت – قصة الحضارة في العالم (٢/ ٣٤٥) ، نشر جامعة الدول العربية .

(٢) سورة يوسف – الآية (٣٧) .

(٣) سعيد بن منصور بن كمونة اليهودي – تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث –ص : ٤٠ –نشر دار الأنصار .

الأمة والتعريض به ؛ ولهذا كانت اليهود معتقدة ومقرة بالبعث والنشور للأموات وبقاء النفس بعد موت الأجساد . . .) [١] .

وللرد على ذلك نقول أن موسى عليه السلام واتباعه المخلصين كانوا يؤمنون بالمعاد ؛ كما قال تعالى عن سحرة فرعون بعد أن آمنوا : ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ❖ انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ❖ إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ❖ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ❖ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ [٢] . فهؤلاء المؤمنون قد تشربت أفئدتهم حب الآخرة وما عند الله ، ثم بعد ذلك بأزمان دخل التحريف إلى التوراة فحذف منها ما يدل على اليوم الآخر وأصبح تعلق اليهود بالدنيا واضحاً لا ينكر كما قال تعالى عنهم : ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾ [٣] .

وعلى ما سبق فمهما حاول اليهود أن يعللوا خلو التوراة الحالية من ذكر المعاد والآخرة فإنهم لن يوفقوا ؛ وسيبقى ذلك دليلاً على أن التوراة قد حرفت وبدلت ولعبت بها أيدي العابثين فحذفت منها أي إشارة إلى اليوم الآخر وكما قال تعالى : ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ [٤] .

---

(١) المرجع السابق – ص : (٤٢).

(٢) سورة طه – الآية (٧٢-٧٦) .

(٣) سورة البقرة – الآية (٩٦).

(٤) سورة آل عمران – الآية(٩٣).

❖ **المعاد عند النصارى - :**

يؤمن النصارى بالمعاد كما تبينه الأناجيل التي بين أيدينا – وإن كانت محرفة – واختلفوا في حقيقة المعاد (ففي النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان ، وقال إن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن الجهل ، وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم ، وأنكروا أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب) [1] .

ومنهم من قال بحشر الأبدان [2] ، وبالرجوع إلى الأناجيل نجدها تتحدث عن معاد الجسد كما جاء في انجيل متى : (ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم)[3] .

وواضح من النص أن الروح والجسد متلازمان في الثواب والعقاب يوم القيامة ؛ وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عند كلمة القيامة :-

(. . . تتضمن القيامة بحسب تعاليم الكتاب المقدس قيامة الأجساد وتغير هذه الأجساد وبقاؤها إلى الأبد . . . ويختلف ذلك عن عقيدة المصريين القدماء التي تقول بأن الـ "باء "أو الشخصية الهيولية للإنسان الميت كانت تقوم بزيارة جسم المحنط من وقت إلى آخر ، ويختلف هذا التعليم – قيامة الأجساد عند النصارى – عن الرأي الذي قال به الفيلسوف اليوناني "افلاطون "أن النفس هي الخالدة فحسب . . .) [4] .

---

(١) الشهرستاني – الملل والنحل (٢/ ٢٥١)، مرجع سابق .

(٢) انظر المرجع السابق (٢/ ٢٥١) .

(٣) انجيل متى (١٠/ ٢٨).

(٤) مجموعة من اللاهوتيين – قاموس الكتاب المقدس –(ص :٧٤٨) –الطبعة السادسة – ١٩٨١م – بيروت .

وجاء ذكر القيامة في انجيل لوقا : (. . إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجُدع العرج العمي فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك . لأنك تكافى في قيامة الأبرار) [١] .

وجاء ذكر النار في انجيل مرقس : (. . وإن أعثرتك يدك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة اقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم إلى النار التي لا تُطفأ . حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ) [٢] .

وفي انجيل متى وصف ليوم القيامة جاء فيه : (وللوقت بعد ضيق تلك الأيام ، تظلم الشمس ، والقمر لا يعطي ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع ؛ وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان [٣] آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها . . . وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده) [٤] .

ومما سبق من النصوص يتضح أن هناك اتفاقاً في أصل عقيدة البعث بين النصرانية والإسلام مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإسلام فصل تفصيلاً دقيقاً في هذه المسألة بينما هي عند النصارى – غالباً – تذكر بشئ من العموميات ؛ ولكن يبقى أن النصارى في اعتقادهم هذا أقرب في التصور إلى الإسلام من اليهود .

---

(١) انجيل لوقا (١٤/ ١٣) .

(٢) انجيل مرقس (٩/ ٤٣).

(٣) الله جل جلاله هو الذي يأتي على ظلل الغمام كما قال تعالى : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ . سورة البقرة :الآية (٢١٠) .

(٤) انجيل متى ٢٤/ ٢٩-٣٥ .



الباب الثاني

الحياة البرزخية وشبهات العلمانيين

الفصل الأول: الموت وشبهات العلمانيين

المبحث الأول: حقيقة الموت

المبحث الثاني: ملك الموت

المبحث الثالث: حقيقة الروح وماهيتها

المبحث الرابع: مستقر الأرواح بعد الموت

الفصل الأول: الموت وشبهات العلمانيين

المبحث الأول :حقيقة الموت

المبحث الأول: حقيقة الموت

الموت لغة:-

قال ابن منظور: « الموت: السكون؛ وكل ما سكن فقد مات. . وماتت النار موتاً: برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء. . وماتت الريح: ركدت وسكنت؛ قال:-

إني لأرجو أن تموت الريح فأسكن اليوم وأستريح. . » [1]

وقال ابن فارس: « الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء. منه الموت: خلاف الحياة. وإنما قلنا أصله ذهاب القوة، لما روي عن النبي ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا فإن كنتم لا بد آكليها فأميتوها طبخاً. . » [2].

وقال الفيروز آبادي: « مات يموتُ وَيُماتُ ويَميتُ فهو مَيْتٌ وَمَيِّتٌ: ضدُّ حيٍّ؛ ومات: سكن، ونام، وبلي. . » [3].

وهكذا تدور معاني الموت لغة حول الركود والسكون وذهاب القوة من الشيء وفنائه [4].

(١): جمال الدين ابن منظور-لسان العرب(٢/ ٩٢) مرجع سابق

(٢): أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٨٣) مرجع سابق

(٣): الفيروز آبادي القاموس المحيط ص٢٠٦ مرجع سابق

(٤) وانظر التعريفات للسيد الجرجاني ص٢١١ طبعة البابي الحلبي ١٩٣٨القاهرة، وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص١٧٧ مكتبة الحياة بيروت/ وانظر المعجم الفلسفي د. جميل صليبا (٢/ ٤٤١) دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ ، والمفردات للراغب الأصفهاني ص٤٧٩ ضبط محمد خليل الطبعة الأولى دار المعرفة بيروت.

الموت اصطلاحاً:-

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « الموت : انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهراً وباطناً ؛ والنوم انقطاعه عن ظاهره فقط . . »[1]

وقال القرطبي : « قال العلماء : - الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما ؛ وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار» [2] .

وهكذا تستمر الحياة ما تعلقت الروح بالبدن فإذا فارقتها حصل الموت ؛ وكما يقول الإمام الجويني : «والأظهر عندنا أن الروح أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة ؛ أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها ؛ فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة» [3] .

حقيقة الموت في التصور الإسلامي[4] :-

اتفقت الديانات قاطبة على حقيقة الموت وإن اختلفت فيما يكون بعد ذلك وكما يقول ول ديورانت : « إن الموت هو أصل الديانات كلها » [5] ؛ وقد اهتم الإسلام بهذه القضية اهتماماً بالغاً حيث وردت كلمة الموت ومشتقاتها في القرآن في مائة وخمسة وستين موضعاً تذكر

---

(١) ابن حجر العسقلاني فتح الباري (٢/ ٦٧)الطبعة السلفية دار المعرفة بيروت

(٢) محمد بن أبي بكر القرطبي-التذكرة (١/ ١٩) تحقيق محمود البسطويسي ط الأولى ١٩٩٧ دار البخاري السعودية ؛ وانظر جلال الدين السيوطي شرح الصدور ص١٨ ط الأولى ١٩٨٤ دار الرشيد سوريا .

(٣) إمام الحرمين الجويني ، الإرشاد ص٣٧٧ تحقيق د. محمود يوسف موسى وعبد المنعم علي ط١٩٥٠ مكتبة الخانجي مصر .

(٤) انظر الرازي الأربعين في أصول الدين ص٥٤ مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة .

(٥) ول ديورانت قصة الحضارة (٣/ ٦٨)نشر جامعة الدول العربية مطبعة مصر .



الناس بمصيرهم المحتوم وتحثهم على الاستعداد ليوم المعاد كما قال تعالى : ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [(١)]؛ ولا ينجو من هذا المصير أحد وإن عظمت رتبته وعلت منزلته كما قال جل ذكره : - ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ [(٧)] وقال تعالى : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[(٢)] وقوله تعالى : ﴿كل من عليها فان ❖ ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام﴾ [(٣)] ؛ ولا يستطيع أحد الهرب من هذا المصير كما قال تعالى : ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [(٤)]؛ والله تعالى قد أجل الأنفس لآجال مكتوبة فلا تتأخر عن هذه الأقدار ولا تتقدم كما قال جل ذكره : ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين﴾ [(٥)] ؛ وقال عز سلطانه : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[(٦)] ؛ وقال جل من قائل : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ [(٨)] ؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول : «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي

---

(١) آل عمران : ١٨٥

(٢) النساء : ٧٨

(٣) الرحمن : ٢٦

(٤) الجمعة : ٨

(٥) آل عمران : ١٤٥

(٦) الأعراف : ٣٤

(٧) الزمر : ٣٠

(٨) الأنبياء : ٣٤، ٣٥

الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»[1] ؛ وعن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة رضي الله عنها : (اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية ، فقال لها رسول الله ﷺ: «إنك سألت الله تعالى لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيء منها قبل حله ، ولا يؤخر منها يوماً بعد حله ، ولو سألت الله تعالى أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيراً لك»[2] والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كثيرة جداً في هذا الباب وكلها في إثبات هذه الحقيقة الخالدة ؛ وحتى يتأهب الإنسان لذلك الموقف العظيم .

❖ شبهات العلمانيين حول الموت والرد عليها:-

لا يكاد يقع خلاف في حصول ظاهرة الموت إذ أنها قضية حسية ؛ وإنما هناك من يشكك في حقيقته التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق السمعيات إذ هي من عالم الغيب ؛ وقد أثار بعض العلمانيين شبهة قديمة حول هذه القضية حيث تساءل حسن حنفي قائلاً : «هل الموت وجودي أم عدمي ؟[3] . . . وهل كل مقتول ميت ؟ . . »[4] والكاتب على عادته يطرح تساؤلاته بصورة تشكيكية معرضاً عن الأدلة الشرعية التي وردت في هذه المسألة والجواب في قوله تعالى : ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى (وهو العزيز الحكيم) (١٣/ ٣٦٨ ح٧٣٨٣)/ ومسلم في الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل (١٧/ ٦٠ ح٢٧١٧)

(٢) أخرجه مسلم في القدر ، باب بيان آن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر (١٦/ ٣٢٥ ح٢٦٦٣)

(٣) د. حسن حنفي – النبوة والمعاد ٤٢٩ مكتبة مدبولي القاهرة .

(٤) المصدر السابق

(٥) تبارك : ٢

وهذا دليل صريح على أن الموت أمر وجودي كالحياة لأنهما مخلوقتان؛ قال الإمام ابن كثير: « واستدل بهذه الآية من قال أن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق »[1] ، وبهذه الآية استدل الإمام أبو الحسن الأشعري حيث قال: « الموت أمر وجودي لقوله تعالى: خلق الموت والحياة؛ والعدم لا يخلق »[2] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة كقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[3] ؛ وقوله تعالى: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾[4] ؛ وقوله جل من قائل: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾[5] ؛ وغيرها من الآيات الدالة على هذه الحقيقة؛ فإن إضافة المجيء والحضور للموت دليل على وجوديته والأصل حمل كلام الشارع على ظاهره ما لم تقم قرينة صارفة؛ ولا قرينة هنا.

وأما من السنة فقد جاءت الأخبار الصحيحة على أنه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت؛ ويا أهل النار خلود فلا موت؛ وهذا صريح في كونه أمراً وجودياً وليس عدمياً؛ فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح[6] فيوقف بين الجنة والنار؛ فيقال: يا أهل الجنة:

---

(١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٢)

(٢) السفاريني لوامع الأنوار ص٢٣٦

(٣) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠

(٤) البقرة: ١٣٣

(٥) الجمعة: ٨

(٦) الأَمْلَحُ: الذي بياضه اكثر من سواده، وقيل هو النقي البياض.

انظر النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٤/ ٣٥٤ تحقيق محمود الطناحي نشر انصار السنة باكستان ، غريب الحديث لابن الفرج بن الجوزي ٢/ ٣٧١ تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية لبنان.

هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون [1] وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت . قال : ويقال : يا أهل النار ! هل تعرفون هذا؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم . هذا الموت؟ قال : فيؤمر به فيذبح ؛ قال : ثم يقال : - يا أهل الجنة خلود فلا موت . ويا أهل النار خلود فلا موت ؛ قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : « ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ وأشار بيده إلى الدنيا » [2] . وقد ذكر الحافظ عبدالغني ذلك على أنه من عقائد أهل السنة حيث قال : «ونؤمن بأن الموت يؤتى به يوم القيامة فيذبح» [3] ثم أورد هذا الحديث ، وقد رواه [4] الإمام الترمذي وقال عن هذا الحديث : «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا : نروي هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا يقال كيف وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه» [5] .

وإن قيل أنه في الدنيا عرض فلا دليل يمنع أن يكون يوم القيامة جسماً كما دل على ذلك الحديث الصحيح ؛ شأنه في ذلك شأن الأعمال التي يجعلها الله يوم القيامة أعياناً توزن بالميزان ؛ كما قال ابن القيم رحمه الله في نونيته : -

---

(١) قال الإمام النووي : يشرئبون : بالهمز ؛ أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي(شرح النووي على صحيح مسلم١٧/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (١٧/ ٢٦٩ ح٢٨٤٩).

(٣) عبدالغني المقدسي الاقتصاد في الإعتقاد ١٩٤ .

(٤) الإمام الترمذي الجامع الصحيح كتاب التفسير باب من سورة مريم (٥/ ٣١٥ ح٣١٥٦).

(٥) الجامع الصحيح للإمام الترمذي (٤/ ٦٩٢).

أو ما سمعت بذبحه للموت بيـن	**المنزلين كذبح كبش الضـان**
حاشـا لذا الملك الكريـم وإنمـا	**هـو موتنا المحتوم للإنسان**
والله ينشىء منه كبشاً أملحـاً	**يـوم المعاد يرى لنا بعيان**
ينشىء من الأعراض أجساماً كذا	**بالعكس كل قابل الإمكـان**
أفما تصدق أن أعمال العبـاد	**تحط يوم العرض بالميـزان [1]**

قال المازري : « الموت عند أهل السنة عرض يضاد الحياة ، وقال بعض المعتزلة ليس بعرض ، بل معناه عدم الحياة ، وهذا خطأ لقوله تعالى : ﴿خلق الموت والحياة﴾ ؛ فأثبت الموت مخلوقاً » [2] .

فلا خلاف بين سلف الأمة وأئمة أهل السنة في كون الموت شيئاً موجوداً ؛ وإن وقع خلاف في هل هو عرض أو جسم؟ وأما ما نقله المازري عن أهل السنة ففيه نظر إذ يريد به تعريف الموت عند الأشاعرة ، أما أهل السنة والجماعة والذين هم على مذهب السلف فإنهم يقررون أن الموت أمر وجودي فقد قال السفاريني : - «الذي نذهب إليه أن الموت أمر وجودي وأنه جسم لا عرض» [3] .

ولا يتوقف الدكتور حنفي عند التشكيك في حقيقة الموت وإنما يتجاوز ذلك إلى التشكيك في كون الموت إنما يقع بأجل سابق حيث يقول : « . . وإذا كان التصديق بالموت يقع عند البعض بالحس والمشاهدة دونما حاجة إلى نص فإنه عند البعض الآخر هو فراغ الآجال كما هو في النص» [4] ؛ وإذا تجاوزنا عما في هذه العبارة من ركاكة واضطراب إذ الموت يقع بالحس والمشاهدة عند جميع الخلق ؛ فإننا لا نستطيع أن نتجاوز تشكيكه في أن الموت إنما هو بالأجل

---

(١) محمد خليل هراس- شرح القصيدة النونية (٢/ ٤٣٤).

(٢) صحيح الإمام مسلم بشرح النووي(١٧/ ٢٦٩).

(٣) السفاريني - لوامع الأنوار ٢/ ٢٣٦ .

(٤) د . حسن حنفي - النبوة والمعاد ص ٤٢٩ .

المقدر كما جاءت بذلك النصوص القطعية كقوله تعالى : ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ وقوله تعالى : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ وغيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى ؛ ولا خلاف بين أهل الإسلام في هذه القضية ؛ قال الإمام الغزالي : «إن من قتل ينبغي أن يقال إنه مات بأجله ، لأن الأجل عبارة عن الوقت الذي خلق الله تعالى فيه موته ؛ سواء كان معه ضرر فيه ، أو كسوف قمر ؛ أو نزول مطر ؛ لأن كل هذه عندنا مقترنات وليس مؤثرات »[1] .

وقال إمام الحرمين : « إن كل من يقتل فقد مات بأجله ؛ والمعني بذلك أن الذي قتل قد علم الله تعالى في أزله مآل أمره ، وما علم أنه كائن فلا بدّ أن يكون . . . ومن علم الله تعالى أنه يقتل فإنه يقتل لا محالة . . . وقد شهدت آي من كتاب الله تعالى على أن كل هالك مستوف أجله ، منها قوله تعالى : ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ »[2] .

وبهذا الرأي قال القاضي عبدالجبار من المعتزلة حيث ذكر : « أن من مات حتف أنفه مات بأجله ، وكذا من قتل فقد مات بأجله أيضاً ، ولا خلاف في هذا ، والدليل عليه أن الأجل ليس المراد به هنا إلا وقت الموت ، وهما قد ماتا جميعاً في وقت موتهما »[3] .

وبهذا القول قال أهل السنة والجماعة ؛ قال الإمام ابن كثير مفسراً قول الله تعالى : ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾[4] : «تضمن هذا أن القتل

---

(١) الإمام الغزالي -الاقتصاد في الاعتقاد ص١٨٧ مكتبة الجندي القاهرة

(٢) إمام الحرمين الجويني- الإرشاد إلى قواطع الأدلة ٣٦٢-٣٦٣ تحقيق د/ محمد يوسف ط١٩٥٠ مكتبة الخانجي

(٣) القاضي عبد الجبار الهمذاني شرح الأصول الخمسة ص٧٨٢ تعليق الإمام أحمد بن الحسين تحقيق د/ عبدالكريم عثمان الناشر مكتبة وهبة - القاهرة

(٤) آل عمران : ١٥٧



في سبيل الله والموت أيضاً وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه ؛ وذلك خير من البقاء في الدنيا وجميع حطامها الفاني ، ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمصيره ومرجعه إلى الله عز وجل فيجزيه بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ؛ فقال تعالى : ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ [1] »[2] .

ورغم كل الحقائق الحسية والشرعية في حتمية الموت والرجوع إلى دار القرار فإنه لا زال هناك من يشكك بهذه الحقيقة ولا زال يبحث هؤلاء عن تفسيرات لما أسموه (ظاهرة الموت) ؛ هؤلاء الذين قال عنهم الأستاذ وحيد الدين خان : « إن الذين لا يؤمنون بالعالم الثاني - الآخرة- يحاولون بدافع الغريزة أن يجعلوا من هذا الكون عالماً أبدياً لأفراحهم ولذلك بحثوا كثيراً عن أسباب (الموت) حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع هذه الأسباب ، من أجل تخليد الحياة ؛ ولكنهم أخفقوا إخفاقاً ذريعاً ، وكلما بحثوا في هذا الموضوع رجع إليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت ؛ وأنه لا مناص منه »[3] .

لقد فشلت كل الشبهات التي تدور حول حقيقة الموت ، واخفقت كل البحوث العلمية التي استهدفت جعل الموت أمراً غير يقيني ، وبقيت حقيقة الموت ماثلة للعيان ؛ هذه الحقيقة التي قال عنها عالم من أبرز علماء الغرب في القرن العشرين : « إن الإنسان لن يصيبه التعب في البحث عن الخلود ؛ ولكنه لن يظفر به ؛ لأنه مرتبط بقوانين معينة لتركيبه العضوي ، ولكنه قد ينجح في تأخير وربما في قلب التقدم الذي لا يلين للزمن الفسيولوجي ، ولكن إلى حد ما . . إلا أن الإنسان لن يستطيع بحال أن يتغلب على الموت »[4] .

---

(١) آل عمران : ١٥٨

(٢) الإمام ابن كثير - تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٩) دار المعرفة - بيروت طبعة ١٩٨٢ .

(٣) وحيد الدين خان- الإسلام يتحدى ص١١١ ترجمة ظفر الإسلام خان .

(٤) الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ص٢٠٩ تعريب شفيق أسعد فريد ط الرابعة ١٩٨٥ مكتبة المعارف بيروت ، وانظر كذلك مونتير لان -الموت والحياة ١٩٤٢ منشورات غاليمار بيروت .

الفصل الأول: الموت وشبهات العلمانيين

المبحث الثاني: مـلك المـــوت

المبحث الثاني : ملك الموت

ملك الموت في العقيدة الإسلامية:-

من المعلوم أن من أركان الإيمان الإيمان بالملائكة كما قال تعالى : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . .﴾[1] الآية ؛ فقد جعل الله عز وجل من صفات أهل الإيمان تصديقهم بالملائكة ؛ وقرنه بوجوب التصديق به عز وجل مما يدل على أهمية هذا الركن العظيم ومنزلته العالية في العقيدة الإسلامية .

وكما قال تعالى : ﴿. . . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . . .﴾ [2] الآية ؛ وكما جاء في الحديث الصحيح في قصة سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان فقال : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتومن بالقدر خيره وشره »[3] .

وقد ورد ذكر بعض هؤلاء الملائكة الكرام في القرآن الكريم بأعيانهم كما قال تعالى : ﴿قل من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ ؟[4] .

وهذا الملكان الكريمان من الملائكة المقربين لله رب العالمين جل وعلا ؛ كما جاء أيضاً ذكر مالك عليه السلام خازن النار وذلك في قوله تعالى : ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾[5] وهذا في وصف حال أهل النار أعاذنا الله منها ، وكذلك جاء ذكر ملك

---

(١) البقرة: ٢٨٥ .
(٢) البقرة: ١٧٧ .
(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان(١/ ٢٢٢ ح ٨).
(٤) البقرة: ٩٨ .
(٥) الزخرف: ٧٧ .

الموت في القرآن وذلك في قوله تعالى : ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾ [1] ، وورد في السنة ذكر رضوان عليه السلام خازن الجنة . فيجب الإيمان بهؤلاء الملائكة على وجه التفصيل بأعيانهم ، والإيمان بباقي الملائكة على وجه الإجمال

وملك الموت موكل بقبض الأرواح عند انتهاء آجالها بإذن الله عز وجل كما قال تعالى في الآية السابقة . وهذا الاعتقاد من أصول عقيدة أهل السنة وسلف الأمة وقد قال الإمام أحمد في رسالته في السنة إلى مسدد بن مسرهد : «والإيمان بملك الموت يقبض الأرواح » [2] ؛ وقال الإمام الطحاوي : «ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين » [3] .

وقال جمال الدين الغزنوي : - «ملك الموت الذي يقبض الأرواح حق لقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ [4] » [5] .

شبهات العلمانيين حول ملك الموت والرد عليها:-

لم تسلم هذه العقيدة من شبهات العلمانيين مع كونها ثابتة ثبوتاً قطعياً في القرآن الكريم ؛ فليس ملك الموت عند العلمانيين سوى «صورة فنية تعبر عن هموم الإنسان نحو الموت » [6] كما أنها تعبير عن (العظمة والهيبة والخشية والفزع والرغبة في الإطمئنان والتخفيف من ألم الموت) [7] ؛ فهذه حقيقة ملك الموت في نظر الكاتب حسن حنفي ، بينما هو في نظر الكاتب نصر أبو زيد عبارة عن (تصورات أسطورية) [8] ثم تهكم برب العالمين في موطن آخر فقال :

(١) السجدة : ١١
(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٤)
(٣) ابن أبي العز - شرح الطحاوية ص٣٩٠
(٤) الأنعام : ٦١
(٥) جمال الدين الغزنوي أصول الدين ص٢١٤ تحقيق د/ عمر الداعوق ط١٩٩٨ - دار البشائر / بيروت .
(٦) حسن حنفي - النبوة والمعاد ص٤٣٩ .
(٧) المرجع السابق ص٤٣٧ .
(٨) د/ نصر أبوزيد نقد الخطاب الديني ص ٣٨ .



«ما زال الخطاب الديني يتمسك بوجود القرآن في اللوح المحفوظ اعتماداً على فهم حرفي للنص وما زال يتمسك بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه ومملكته وجنوده الملائكة»[1].

ولا شك أن هذا الأسلوب الساخر الذي يتحدث به الكاتب لا يصدر عن انسان يؤمن رب العالمين فان الله عز وجل قد اخبرنا عن عرشه سبحانه وعن جنوده، وغير ذلك من قضايا الاعتقاد، والمسلم يؤمن بذلك ويسلم به لانه من امور الغيب التي لا تعرف باجتهاد العقل.

وأما ما يتعلق بمسالة «ملك الموت» والذي هو أحد أفراد الملائكة فانه قد ورد في القرآن الكريم ايات كثيرة تتحدث عنه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ملك الموت﴾؛ وفي إضافة وإسناد الفعل له في قوله تعالى: ﴿يتوفاكم﴾ دليل على أنه ملك مخلوق كسائر الملائكة كجبريل وميكائيل عليهما السلام؛ فالقول بأنه صورة فنية هو من باب تعطيل النصوص وإبطال مدلولات ألفاظها؛ وليس هذا من باب التأويل الذي قد تكون له شبهة يعذر بها قائلها.

وأما القول بأن الإيمان بالملائكة ومنهم ملك الموت (تصورات أسطورية) فهذا تكذيب صريح للقرآن ومضاهاة لقول المشركين في القرآن: ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ [2] وقولهم: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾ [3]

وأما قول حسن حنفي: «وإذا كان ملك قابضاً لأرواح البشر بالرغم من صعوبة من أن يتم ذلك كله في وقت واحد وفي مكان واحد لعديد من الناس يموتون في وقت واحد في أماكن مختلفة...»[4]. فشبهة داحضة إذ أنه إن لم يكن ذلك مستحيلاً -وهو ما لا يدعيه حسن حنفي- فهو في حيز الإمكان؛ وإذا ثبت أنه من الممكنات لا من المستحيلات فلا معنى لادعاء صعوبة حدوث ذلك فليس هناك دليل عقلي يمنع من ذلك؛ بل هذا واقع في الحس والمشاهدة؛ والوقوع دليل الإمكان ففي استطاعة السلطان مثلاً أن يصدر أمره إلى جنده بكلمة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المؤمنون: ٨٣.

(٣) الفرقان: ٥.

(٤) حسن حنفي – النبوة والمعاد ٤٣٩.



واحدة أن يقضوا على من بأيديهم من الأسرى فيتم له ذلك في ساعة واحدة وإن اختلفت أماكنهم وكثر أسراهم؛ فكيف وقد قام الدليل من القرآن على أن هناك ملائكة كثيرين يتوفون الأنفس كما قال تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ [1]؛ وقال تعالى: ﴿توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ [3]؛ وقال جل من قائل: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ [4]؛ وكقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا آنفسكم..﴾ [5]؛ فيحتمل أن ملك الموت يقبض بعض الأرواح ومعه ملائكة آخرون يأتمرون بأمره في قبض الأرواح الأخرى، اوانهم يقبضون الأرواح ثم تسلم الى ملك الموت الذي هو رئيس ملائكة القبض المباشرين، كما انه قد يراد بملك الموت اسم جنس، وليس الخلاف في اي ذلك مراد، وانما الخلاف في دعوى الاستحالة او انكار وجود ملك للموت يقوم بقبض الأرواح.

قال الإمام القرطبي: «اعلم أن التوفي مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم يدع منه شيئاً؛ فتارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك؛ وتارة إلى أعوانه من الملائكة لأنهم قد يتولون ذلك أيضاً؛ وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفي على الحقيقة كما قال عز وجل: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [6] وقال: ﴿وهو الذي أحياكم ثم يميتكم﴾ [7] وقال: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم﴾ [8] فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره» [9].

---

(١) النحل: ٣٢ .

(٢) الأنعام: ٦١ .

(٣) النحل: ٢٨ .

(٤) الأنفال: ٥٠ .

(٥) الأنعام: ٩٣ .

(٦) الزمر: ٤٢ .

(٧) الحج: ٦٦ .

(٨) الملك: ٢ .

(٩) محمد بن أبي بكر القرطبي: التذكرة (١٠٨/١) ط الأولى ١٩٩٧ - دار البخاري.

على أنه لو قيل أن ملك الموت في قوله تعالى : ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ [1] اسم جنس مضاف إلى الموت فيفيد العموم فيكون المعنى قل يتوفاكم ملائكة الموت التي وكلت بقبض أرواحكم كما دلت عليه الآيات الأخرى كما في قوله تعالى : ﴿توفته رسلنا﴾ لكان لهذا القول وجه ؛ وقد قال تعالى : ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ [2] أي جاء ربك والملائكة صفاً صفاً ؛ ولهذا قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ (الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة . . .) [3] ؛ فقوله : ظاهر هذه الآية دليل على أنه ليس هناك نص قطعي .

وعلى كل فالمقطوع به أن هناك ملك أو ملائكة موكلون بقبض الأرواح وانتزاعها من الأجساد عند انتهاء آجالها بإذن الله عز وجل وهو الذي يتوفاها كما قال تعالى : ﴿الله الذي يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [4] .

وليس ملك الموت أو ملائكته (صورة فنية) أو (تصورات أسطورية) .

وأما ما أورده حسن حنفي في تصوير ووصف ملك الموت في جسمه وطوله وضخامته . . . الخ قاصداً بذلك إثبات (الأساس الإنساني في نشأة الأسطورة) [5] حول الموت ؛ فهذا إنما هو من باب دفع الحق بالباطل إذ أنه لا دليل على أكثر ما أورده في وصف صورة ملك الموت لا من القرآن ولا من السنة الصحيحة ؛ بل أكثر ذلك من الروايات الإسرائيلية التي يوردها علماء التفسير من باب الإستئناس بها ؛ فاحتجاج الكاتب واستدلاله

(١) السجدة : ١١ .

(٢) الفجر ٢٢ .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٧) دار المعرفة .

(٤) الزمر : ٤٢ .

(٥) حسن حنفي المعاد : ٤٣٨ .



بهذه الإسرائيليات ليثبت بطلان حقيقة ملك الموت هو خروج عن المنهج العلمي والدراسة الموضوعية التي تقتضي التمحيص بين الحق والباطل؛ وإثبات الحق وإبطال ما سواه لا أن يدفع الحق ويؤخذ بجريرة الباطل.

ونحو هذه الشبهة قوله عن ملك الموت: ﴿ولما كان للموت خشية ورهبة فإن ملاك الموت يظهر بصورة حسنة للمؤمن، وبصورة كريهة للكافر كما أن ملك الموت يرق مع المؤمن في قبض روحه بينما يعنف مع الكافر وكأن الحساب قد بدأ من قبل وكأن الحكم بالثواب والعقاب قد صدر قبل الاتهام وقبل الدفاع وقبل الشهود وقبل المحاكمة) [1].

والجواب على هذه الشبهة من وجوه:-

❖**الوجه الأول:** أنه رد صريح للنصوص القرآنية القطعية وتعطيل لمدلولاتها كمثل قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ [2]؛ فالآية نص قطعي على أن الظالم في غمرات الموت تخرج روحه على هذه الحال المذكورة في الآية؛ وهي حال سوء وعذاب ولا يمكن تأويل الآية على أي وجه من الوجوه؛ فقوله تعالى: ﴿في غمرات الموت﴾ أي سكراته؛ وقبل تحقق الوفاة والخروج من الدنيا؛ وقوله: ﴿والملائكة﴾ الواو حالية أي حال كون الملائكة باسطوا أيديهم لإخراج الروح من الجسد؛ وقوله: ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ أي: يوم انتزاع الروح.

قال ابن أبي العز الحنفي عن هذه الآية: (ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها ووصفها بالإخراج والخروج والإخبار بعذابها ذلك اليوم﴾ [3].

---

(١) المرجع السابق ٤٣٩ .

(٢) الأنعام: ٩٣ .

(٣) ابن أبي العز الحنفي شرح الطحاوية ٣٩٣ .

وكذلك قول الله تعالى : ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون❁ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ (١).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : (وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم ؛ وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها ، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم) (٢).

كما دل القرآن على أن حال المؤمن على خلاف ذلك فهو في حال الاحتضار وخروج الروح تقول له الملائكة : سلام عليكم ؛ كما في قوله تعالى : ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ (٣) ؛ وكما في قوله تعالى : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة❁ ارجعي إلى ربك راضية مرضية❁ فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ (٤).

❁**الوجه الثاني**: كما أن في هذه الشبهة رد لما ثبت في السنة من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد بعد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : «استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها

(١) النحل : ٢٨ ، ٢٩ .
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٧) دار المعرفة .
(٣) النحل : ٣٢ .
(٤) الفجر : ٢٨ .



النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان -قال- فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتي ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال فتعاد روحه، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول؛ ربي الله،

فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ.

فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت.

فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة. فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد البصر، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

-قال- وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتي يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه

الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا. فيستفتح فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾[1].

فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين الأرض السفلى، فيطرح روحه طرحاً، ثم قرأ ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[2] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه

فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري.

فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري.

فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة»[3]

---

(١) (الأعراف/ ٤٠).

(٢) (الحج/ ٣١).

(٣) أحمد (٤/ ٢٨٧ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦) وأبوداود (٤/ ٢٣٩- ٢٤٠ / ح ٤٧٥٣ و٤٧٥٤) في السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، والنسائي في الجنائز باب المسألة في القبر(٤/ ٩٧) دار الكتب العلمية وابن ماجة (١/ ٤٩٤ / ح ١٥٤٨) في الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر. والطيالسي (ص١٠٢ ح٧٥٣) دار المعرفة والآجري في الشريعة (ص٣٦٧-٣٧٠) تحقيق الفقي والحاكم (١/ ٣٧-٤٠) وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وأقره الذهبي والبيهقي في عذاب القبر (ح٣٠).

قال ابن أبي العز : «وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث وله شواهد من الصحيح»[(١)]

فهذا الحديث الصحيح صريح في دلالته على الحالة التي يكون عليها الإنسان حال الإحتضار وانتزاع الروح ؛ فالاستبشار حال المؤمن ؛ والخوف والجزع حال الظالم ؛ وهذا الحديث هو بيان وتفسير للآيات السابق ذكرها .

❖ **الوجه الثالث:** أن النصوص الشرعية لا تأتي بما تحيله العقول ؛ وقد تأتي بما تحار به العقول ، وليس هناك دليل عقلي يمنع من اعتقاد حصول هذه الحالة للميت عند الاحتضار إذ هذا كله في دائرة وحيز الإمكان العقلي ؛ ولم يستطع صاحب هذه الشبهة أن يقيم الدليل العقلي على الاستحالة فوجب التسليم للنصوص .

❖**الوجه الرابع:** ان هذا ليس من باب الحكم والفصل بين العباد الذي يكون يوم القيامة بعد السؤال وطلب الشهود وإصدار الحكم ؛ وإنما هذا كحال العقوبة والجزاء الذي يكون في الدنيا فكما فإن الله عز وجل قد يجازي المؤمن في الحياة الدنيا جزاء حسناً وحياة طيبة كما في قوله تعالى : ﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة﴾[(٢)] وقوله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾[(٣)] الآية .

ويجازي الظالم في حياته الدنيا جزاء سيئاً كما في قوله تعالى : ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[(٤)] ، وهذه هي سنة الله الجارية في الخلق كما قال تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾[(٥)] .

---

(١) ابن أبي العز الحنفي شرح الطحاوية ٣٩٨ .
(٢) النحل : ٩٧
(٣) النور : ٥٥ .
(٤) طه : ١٢٤ .
(٥) غافر : ٥١ .

ومن ذلك ما تحقق للنبي ﷺ وأتباعه من نصر وتمكين في الأرض؛ وهزيمة لأعدائه وذل وصغار كما جاء في الحديث: «وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري» [(١)]، وكل ذلك هو في الحياة الدنيا وليس من باب الفصل والقضاء بين العباد الذي يكون في الآخرة، فما يحدث للمحتضر عند الموت من تكريم أو إهانة هو من جنس ما يحدث من جزاء في الحياة الدنيا؛ لا من جنس العقوبة والجزاء الأخروي.

❖ **الوجه الخامس:-** أنه على فرض أن ذلك من الجزاء والعقاب الأخروي فإنه من العدل والحكمة الإلهية؛ إذ أن الله عز وجل عليم بكل ما يفعله العباد قبل أن يفعلوه فلا يحتاج إلى طلب شهود؛ وتوجيه اتهام؛ وإنما أقام الله ذلك في الفصل بين العباد يوم القيامة تأنيباً للظالمين وزيادة في تعذيبهم إذ أقام عليهم شهوداً من أنفسهم لتزداد حسرتهم ويمقتوا أنفسهم ولمقت الله أشد من مقتهم أنفسهم، لا على أن الله إنما أقام الشهود ليثبت شيئاً لا يعلمه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولم يقف سيل الشبهات عند هذا الحد، فهذا أحد المشككين يقول: « حتى أخبار موسى ولقائه بملك الموت . . فهذه الأحاديث نقول مشوهة من العهد القديم الذي نالته يد التحريف مراراً وتكراراً» [(٢)] والرد أن لطم موسى عليه السلام لملك الموت ففقأ عينه ثابت في السنة الصحيحة وليس نقلاً مشوهاً عن العهد القديم كما يدعي البنا؛ فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:-

(أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه . .) [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير باب وقيل في الرماح(٦/ ٩٨).

(٢) جمال البنا- نحو فقه جديد (ص٢٤٩-٢٥١) باختصار دار الفكر الإسلامي القاهرة.

(٣) أخرجة البخاري في الجنائز باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها (١/ ٤١٠ح١٣٣٩) وفي الأنبياء باب وفاة موسى (٢/ ٤٧٨ ح٣٤٠٧)، ومسلم في الفضائل باب من فضائل موسى (١٥/ ١٨٥)ح٢٣٧٢).

قال الإمام المقدسي : - (ونؤمن بأن ملك الموت أرسل إلى موسى عليه السلام فصكه ففقأ عينه كما صح عن رسول الله ﷺ، لا ينكره إلا ضال مبتدع راد على الله ورسوله) [١] .

وقال الإمام النووي : (قال المازري : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكر تصوره، قالوا : كيف يجوز على موسى فقأ عين ملك الموت؟ قال : وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة، أحدها : أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه السلام قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما يشاء، ويمتحنهم بما أراد . . . أو أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها؛ فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين؛ واختاره المازري والقاضي عياض [٢] .

فقول القائل أن هذه أحاديث مشوهة من العهد القديم قول عار عن الصحة جملة وتفصيلاً، بل يكفي في هذا الحديث أن أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما - وهما أصح كتابين على وجه الأرض بعد كتاب الله عز وجل- ليكون دليلاً على ثبوت هذه العقيدة التي ارتضاها واعتنقها أهل السنة والجماعة؛ ولاعبره بعد ذلك لمن خالف كائناً من كان .

❖ ❖ ❖

---

(١) عبدالغني المقدسي - الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٩٣) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٨٦)، وانظر فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٢- ٤٤٣) وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٢٧٨) .

الفصل الأول: الموت وشبهات العلمانيين

المبحث الثالث : حقيقة الروح وماهيتها



المبحث الثالث
حقيقة الروح وماهيتها [1]

تعريف الروح في اللغة :

قال ابن منظور : (قال أبوبكر الأنباري : الروح والنفس واحد ؛ غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثه عند العرب وتأويل الروح مابه حياة النفس) [2]

وقال ابن حزم : (والروح والنفس شيء واحد ، قال رسول الله ﷺ لبلال لما نام عن الصلاة ، إن أرواحنا كانت بيد الله عز وجل فردها إذ شاء -أو كما قال عليه السلام- وقال له بلال ذلك الحين : (أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك يا رسول الله) فلم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ) [3]

وفي الإصطلاح:

قال الجرجاني : (هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني ؛ نازل من عالم الأحد تعجز العقول عن إدراك كنهه . .) [4]

وقال الجويني : (الروح أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة أجرى الله العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة باستمرار العادة) [5]

---

(١) انظر في اختلاف الناس في هذه المسألة المقالات للأشعري (٢٨/ ١)

(٢) ابن منظور لسان العرب (٢/ ٤٦٢) دار صادر ١٩٩٠ .

(٣) الدرة فيما يجب اعتقاده ابن حزم الأندلسي (٢١٨) تحقيق د/ أحمد الناصر مكتبة التراث مكة المكرمة .

(٤) التعريفات للجرجاني (ص٩٩) طبعة البابي الحلبي ١٩٣٨ مصر .

(٥) إمام الحرمين الجويني الإرشاد (٣٧٧) .

والروح سر إلهي تعجز العقول عن إدراك كنهه وحقيقته وماهيته ولذلك قال تعالى بعد أن سأل اليهود رسول الله ﷺ عنها : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [١].

فقطع القرآن الطريق على كل من أراد معرفة حقيقتها إلا أنه لا خلاف بين أهل العلم والإيمان وأتباع الرسل على أنها مخلوقة أودعها الله عز وجل هذا الجسم الإنساني.

قال ابن القيم : (أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يعلم بالإضطرار من دينهم أن العالم حادث وأن معاد الأبدان واقع وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له ؛ وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهي القرون المفضلة على ذلك. من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة) [٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (روح الآدمي مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف ، وكذلك أبومحمد ابن قتيبة قال في كتاب اللفظ لما تكلم عن الأرواح قال : النِّسم : الأرواح ؛ قال : وأجمع الناس على أن الله تعالى هو فالق الحبة وبارىء النسمة أي : خالق الأرواح) [٣].

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

(٢) ابن القيم الجوزية الروح (ص٣٤٨) تحقيق يوسف بدوي ط الأولى ١٩٩٣ دار ابن كثير بيروت.

(٣) انظر الروح (ص٣٥١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢١٦).

ولا يلزم من عدم معرفة حقيقة الروح نفيها وعدمها ؛ قال الحافظ ابن حجر : (لا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه . . . وقد سكت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق ، وقد تنطع قوم فتباينت أقوالهم)[1].

والأدلة على كونها مخلوقة كثيرة منها :

١- قوله تعالى : ﴿الله خالق كل شيء﴾[2] ؛ قال ابن أبي العز : (فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما ؛ ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى فإنها داخلة في مسمى اسمه . . . فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق ؛ ومعلوم قطعاً أن الروح ليس هي الله ولا صفة من صفاته ؛ وإنما هي من مصنوعاته)[3].

٢- قوله تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾[4].

والإنسان هو الجسد والروح[5] ؛ فدل ذلك على أنه لم يكن قبل خلق الإنسان له روح مخلوقة .

٣- وقال تعالى : يخاطب عبده زكريا : ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾[6].

٤- قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[7] ؛ قال القرطبي في هذه الآية : (دليل على خلق الروح ؛ أي هو أمر عظيم وشأن كبير

(١) ابن حجر فتح الباري (٨/ ٤٠٣)

(٢) الرعد : ١٨ والزمر : ٦٢ .

(٣) ابن أبي العز شرح الطحاوية (ص٣٩١) ، وانظر الروح لابن القيم (ص٣٥٤) فعنه نقل ابن أبي العز .

(٤) الدهر : ١ .

(٥) انظر المصدر السابق .

(٦) مريم : ٩ .

(٧) الإسراء : ٨٥ .



من أمر الله تبارك وتعالى ؛ مبهماً له وتاركاً تفصيله ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها ؛ وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى ؛ وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز) [1]

وفي شرح جوهرة التوحيد : - (فالخوض في بيان حقيقتها (أي الروح) مكروه لعدم التوقيف في ذلك ، لكن كلام الجنيد يدل على الحرمة حيث قال : الروح شيء استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحد من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر من أنها موجودة ؛ قال تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ وفي ذلك إظهار لعجز المرء حيث لم يعلم حقيقة نفسه التي بين جنبيه مع القطع بوجودها) [2] .

(٥) قوله ﷺ : «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف» [3] ؛ والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة [4] .

وقد تأول بعض أهل البدع كما ذكر ابن القيم [5] قوله تعالى : ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [6] وقوله تعالى : ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ [7] ، فزعموا أن هذه الآيات دليل على أنها ليست مخلوقة وهو تأويل باطل ترده الأدلة السابقة وهي قطعية في دلالتها ؛ ويجاب أيضاً بأن (المضاف إلى الله نوعان :

---

(١) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٢٤) .

(٢) البيجوري - شرح جوهرة التوحيد ١٦٤ دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) مسلم في البر والصلة باب الأرواح جنود مجندة (١٦/ ٢٨٤ ح ٢٦٣٨) .

(٤) انظر الروح لابن القيم ٣٤٩ .

(٥) انظر الروح ٣٤٩ .

(٦) الحجر : ٢٩ .

(٧) السجدة : ٩ .



- صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها . . .

- والثاني : إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ؛ لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز بها المضاف عن غيره) [1] .

ومعلوم أن الروح تقوم بالبدن وتخالطه فيستحيل أن يحل القديم بالحادث أو شيء من الخالق بالمخلوق فثبت بذلك أن الروح مخلوقة ؛ وقد جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للصحابة عندما ناموا عن الصلاة : «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء » [2] ، فالروح (توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال وهذا شأن المخلوق المحدث) [3] .

وقد قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [4] : (النفخ إجراء الريح في الشيء ، والروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم ، وحقيقته إضافة خلق إلى خالق فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً . .) [5]

وقد خلق الله عز وجل الأرواح للبقاء فلا يلحقها الفناء وإنما تفنى الأجساد وتبقى الأرواح حتى يبعث الله الأجساد يوم القيامة فترجع كل روح إلى جسدها ؛ قال الغزالي : (هذه الروح لا تفنى البتة ولا تموت ؛ بل تتبدل بالموت حالها فقط ؛ ويتبدل منزلها فترتقي من منزل إلى منزل) [6] .

---

(١) ابن أبي العز- شرح الطحاوية ٣٩٢ .

(٢) البخاري في مواقيت الصلاة باب الأذان بعد ذهاب الوقت (٢/ ٦٦ ح ٥٩٥).

(٣) شرح الطحاوية ٣٩٢ وانظر الروح ٣٥٨ .

(٤) الحجر : ٢٩ .

(٥) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤).

(٦) الإمام أبوحامد الغزالي- الأربعين في أصول الدين ٢٠٩ .

وعلى هذا أجمع السلف ؛ كما دلت عليه النصوص من أن الروح تخرج عند فناء الجسم ولا تفنى بفنائه بل هي إما في نعيم أو في عذاب حتى تعود إلى الجسم ؛ كما قال تعالى عن نفس المؤمن : - ﴿يا أيتها النفس المطمئنة❖ ارجعي إلى ربك راضية مرضية❖ فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . .﴾[2] .

قال ابن القيم بعد هذه الآية : - «وهذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت ؛ والصواب أن يقال : موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها ؛ فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت ؛ وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار ؛ بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب . . . كما صرح بها النص إنها كذلك حتي يردها الله في جسدها . . . »[3] .

وقال السفاريني :

وإن أرواح الورى لم تعدم مع كونها مخلوقة فاستفهم

وقال ابن مانع في شرحه للبيت : (وحاصل ذلك أنه ذكر مسألتين عظيمتين : الأولى أن الروح مخلوقة وقد اتفقت الأمة وأئمتها على ذلك كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ؛ الثانية : أنه لا يلحقها فناء ولا عدم لأنها خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان ، وقد دلت علي هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقتها لأبدانها إلى أن يرجعها الله إليها ؛ ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب)[4] .

---

(١) الفجر : ٢٧-٣٠ .

(٢) آل عمران : ١٦٩ .

(٣) ابن القيم الروح (ص١١٧) وانظر شرح الطحاوية ٣٦٥ .

(٤) شرح العقيدة السفارينية محمد بن عبدالعزيز بن مانع (ص٣١٠) تحقيق أشرف عبدالمقصود مكتبة أضواء السلف السعودية ، وانظر كذلك اظن حجر-فتح الباري (٨/ ٤٠٤)، وشيخ الإسلام ابن تيمية- الفتاوى (٤/ ٢٧٩) .

شبهات وردود حول حقيقة الروح:-

وإذا كان للروح حقيقة ثابتة كما جاء في النصوص القرآنية والنبوية وكما أجمع عليه السلف؛ فإنها ليست كذلك في نظر الدكتور حسن حنفي بل هي شيء غامض عنده حيث يقول :- « . . فالقتل تغيير في البنية وحدوث خلل فيها واضطراب في نظامها؛ ولما كان تحديد القتل بهذا المعنى يحيل إلى الروح جاز التساؤل عن الروح حتى لا يتم تعريف شيء وهو القتل بشيء آخر أغمض منه وهو خروج الروح . . . هناك إذا تصوران للروح مادي وصوري وكلاهما ظن؛ قد توجد بالأمر والخلق؛ وقد توجد تدريجياً؛ وكلاهما أيضاً ظن »[1] .

وهذه العبارة صريحة في نفي الكاتب للحقيقة القرآنية عن الروح؛ إذ أن القول بأن كلاً القولين ظن تشكيك لما ثبت في الأدلة الشرعية عن وجود الروح وثبوتها، ولعل السبب الذي يدفع الكاتب إلى هذا التشكيك هو محاولته نفي حياة البرزخ التي هي حياة الأرواح في حال انفصالها عن الأجساد إذ هذه الحياة هي من أصعب القضايا الغيبية على عقل الكاتب حيث حاول نفيها وإثبات أنها خيال شعبي حيث يقول : « إن حياة القبر فيما يبدو هي حياة متوسطة بين الموت الأول والحياة الثانية استمرار للحياة الأولى في القبر قبل أن يموت الإنسان ميتة ثانية هي الميتة الدائمة حتى يوم البعث ويوم الحساب وتسمى حياة البرزخ . . . ومع أنه لفظ قرآني إلا أن استعماله كثر عند الصوفية في وصفهم لعوالم الروح . . . ثم تحول بعد ذلك إلى موضوع مستقل يعمل فيه الخيال الشعبي بحرية تامة بصرف النظر عن علم أصول الدين) [2] .

فحتى يتوصل الكاتب إلى نفي حياة البرزخ التي عجز عقله عن التسليم بها؛ قام بالتشكيك في المحور والأساس الذي تقوم عليه هذه الحياة وهو إثبات عالم الأرواح .

---

(١) د/ حسن حنفي- النبوة والمعاد ٤٢٨ .

(٢) المرجع السابق ٤٤٠ .

وواضح أن الكاتب يحاول الإيهام بأن وصف عالم الأرواح إنما كثر في كتب الصوفية ليتجاوز بذلك الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي وصفت حال الأرواح في عالم البرزخ والتي جمعها أئمة الحديث في كتب السنة والاعتقاد وهي متواترة تواتراً معنوياً.

ومعلوم أن المنهج العلمي والموضوعية تقتضي من الكاتب أن يناقش الأدلة الصحيحة الواردة في هذه المسألة؛ إذ هي موطن البحث والاستدلال وأما الأساطير والخيال الشعبي فليس هو موطن نزاع إذ لا خلاف بين أهل العلم على رد وترك ما لا يثبت بالأدلة الشرعية الصحيحة التي حاول الكاتب تجاوزها لعجزه عن تأويلها.

وما قاله الكاتب هنا أكده في موضع آخر من كتبه فصرح بنفي الروح حيث يقول: (.. ليس هناك شيء اسمه النفس والبدن فالإنسان وحدة واحدة، أما ما يحدث بعد الموت فإن كل ذلك تصوير فني ومجاز عن عالم الأمل الذي يعيشه الإنسان ثقة منه في عالم أفضل) [1].

ولا يمكن القول بأن هذه نزعة عقلية دعت الكاتب إلى نفي الروح إذ أثبتها كافة المتكلمين من الأشعرية والمعتزلة بل وأثبتها كذلك الفلاسفة [2]، وإنما هذه نزعة مادية تشك في كل ما لا يقع في دائرة المادة وما لا يمكن إخضاعه للحس والتجربة؛ وهذا ظاهر في كثير من آرائه التي يحاول فيها تفسير الأشياء تفسيراً مادياً؛ ولهذا لا يرى الموت واقعاً بالقضاء وإنما (بأسبابه المباشرة مثل المرض؛ ويمكن الإقلال منه بالقضاء على الأمراض) [3].

---

(١) د/ حسن حنفي- اليمين واليسار في الفكر الديني (ص٢٨).

(٢) انظر أبوالحسن الأشعري- المقالات (١/ ٢٨).

(٣) د/ حسن حنفي- اليمين واليسار في الفكر الديني (ص٢٨).

الفصل الأول: الموت وشبهات العلمانيين

المبحث الرابع :مستقر الأرواح بعد الموت

المبحث الرابع

مستقر الأرواح بعد الموت

ومستقر الأرواح هو المكان الذي تستقر فيه الأرواح بعد مفارقتها الأبدان إلى وقت بعثها وإعادتها إلى الأبدان يوم القيامة بعد النفخ في الصور في يوم النشور؛ والذي دل عليه القرآن والسنة النبوية الصحيحة هو أن الأرواح في عالم البرزخ؛ وهي الدار التي بين الدارين والحياة بين الحياتين الأولى والآخرة؛ ثم هي في هذه الدار البرزخية على منازل متفاوتة أعظم التفاوت.

فمنها أرواح هي في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء؛ كما ثبت في حديث الإسراء الصحيح حيث رأى النبي ﷺ الأنبياء والرسل. وقد ثبت في الصحيح أن أخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند موته: «اللهم الرفيق الأعلى» (١) وما زال يكررها حتى قبض عليه السلام؛ ومعلوم أن جسده الشريف في قبره ﷺ؛ وإنما روحه الزكية الطاهرة مع الرفيق الأعلى (٢)

ومنها: أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت؛ وهي أرواح الشهداء إلا من حبسه الدين، وقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة. ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (٣). قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم

---

(١) أخرجه البخاري- كتاب الرقاق- باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (١١/ ٣٥٧ ح ٦٠٢٨).

(٢) انظر الروح لابن القيم (ص١٤٠).

(٣) آل عمران: ١٦٩ .

في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) (١).

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلماوجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد قال : فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (٢)(٣).

وأما أرواح باقي المؤمنين فهي كطير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى الأجساد يوم القيامة كما في الحديث (إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسمه يوم يبعثه) (٤).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة با بأن أرواح الشهداء في الجنة (٤٦/ ١٣ ح ١٨٨٧

(٢) آل عمران (١٦٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٦)، وأبوداود في كتاب الجهاد باب في فضل الشهادة (٣/ ١٥ ح ٢٥٢٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٧) من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) مالك في الموط كتاب الجنائز باب جامع الجنائز (١/ ٢٤٠ح٤٩)، وأحمد (٣/ ٤٥٥)، والترمذي في فضائل الجهاد باب ثواب الشهداء (٤/ ١٥١ح١٦٤١) وقال حسن صحيح والنسائي في الجنائز باب أرواح المؤمنين (٤/ ١٠٨ح٢٠٧٣) وابن ماجة في الزهد باب القبر والبلى (٢/ ١٤٢٨ح٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك.



ففارقت أرواح الشهداء أرواح باقي المؤمنين في كونها تسرح في الجنة حيث تشاء وتأوي إلى قناديل في شجر الجنة جزاء لسعيها ورواحها في سبيل الله في الحياة الدنيا .

وقد أشار الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى إلى الفرق بين حياة الشهداء في الجنة وحياة غيرهم من المؤمنين فقال : (والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين :

أحدهما : أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد أو هي الطير التي تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد ، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ .

والثاني : أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت له في حقه مثل ذلك فإنه جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة ، وروي يعلقون بفتح اللام وضمها فقيل : إنهما بمعنى ، وأن المراد الأكل من الشجر ، قال ابن عبدالبر وقيل : رواية الضم معناها الأكل ، ورواية الفتح معناها التعلق ، ذكره ابن الجوزي ، وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم في الأكل والله أعلم)[1] .

وكذلك تحبس أرواح المؤمنين عن الجنة بالدين كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ صلى على جنازة -وفي رواية صلى الصبح- فلما انصرف قال : أههنا من آل فلان أحد؟ قالوا : نعم ، قال : «إن فلاناً -لرجل منهم- مأسور بدينه عن الجنة- (وفي رواية محتبس على باب الجنة في دين عليه) فإن شئتم فافدوه وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله»[2] .

---

(١) ابن رجب الحنبلي- أهوال القبور (ص٢٧٣) تحقيق محمد الفتيح ط الأولى ١٩٩٠ مكتبة دار التراث المدينة المنورة .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١١ ، ١٣ ، ٢٠) ، وأبوداود (٣/ ٢٤٦) ، والنسائي (٧/ ٣١٥) ، والبيهقي في السنن (/ ٧٦ ٦) ، والطيالسي في المسند(ص ١٢١ ح ٨٩٢) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥) ، وصححه ووافقه الذهبي ، والحديث صححه الألباني في أحكام الجنائز (ص١٥) .

ومن الأرواح ما مستقرها سجين كما جاء في حديث كعب بن مالك مرفوعاً : (. . . ونسمة الكافر في سجين)[1] .

ثم بين منازل هذه الأرواح وتلك منازل متفاوتة بحسب تفاوت أحوالها في الدنيا فمنها : ما هي إلى منازل أرواح المؤمنين أقرب ؛ ومنها ما هي إلى منازل أرواح الكفار أقرب والمرء مع من أحب .

قال الإمام البيهقي بعد أن أورد الأحاديث الواردة في هذه المسألة (. . . ولأهل الجنة منازل ودرجات ، وكذلك أهل النار أحوالهم فيما يعذبون به مختلفات ، وعلى ذلك يحمل ما روينا في أنواع الثواب والعقاب ، فيصنع بقوم هكذا ، وبقوم كذلك . لا أن شيئاً من هذه الأخبار يخالف صاحبها خلاف تناقض ، ولكن أحوالهم تختلف في أنواع ما يجزون به من الثواب والعقاب)[2] .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :-(ومنهم من يكون محبوساً في الأرض ، لم تصل روحه إلى الملأ الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضية ، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا ، والنفس التي لم تكسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه ، بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك .

كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة علي محبة الله عز وجل وذكره ، والتقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها ، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما تقدم في الحديث ويجعل روحه -يعني المؤمن- مع النسم الطيب أي الأرواح الطيبة المشاكلة

---

(١) البيهقي في البعث والنشور (ص١٥٣ح٢٠٤) .

(٢) الإمام أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي- إثبات عذاب القبر- (ص٨٤) مكتبة التراث الإسلامي القاهرة .

فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها واخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك)[1] .

ولهذا ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما أسري به وجد آدم في سماء الدنيا وأرواح أهل السعادة عن يمينه، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، فإذا نظر إلى أهل السعادة ضحك، وإذا نظر إلى أهل الشقاوة بكى[2]؛ وفي هذا دليل على أن أرواح المؤمنين مع بعضها في نعيم الجنة عن يمين آدم عليه السلام، وأن أرواح الكفار في العذاب متلاحقة بأشكالها وأجناسها؛ ولا يقتضي ذلك أن يكون كل جنس من هذه الأجناس مع بعضها في منزلة واحدة، لما ثبت في الأحاديث السابقة من تفاوت المنازل تفاوتاً عظيماً بحسب تفاوت أصحابها في الحياة الدنيا في قربهم وبعدهم من الله عز وجل.

وقد قال الإمام مالك :- (بلغني أن الأرواح تسرح حيث شاءت)[3]. ولعل الإمام مالك رحمه الله أراد روح المؤمن.

وقال الإمام أحمد: (أرواح الكفار في النار؛ وأرواح المؤمنين في الجنة)[4].

---

(١) ابن القيم الروح ٢٩٤

(٢) عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال :- فُرِجَ سقف بيتي وأنا بمكة- فذكر الحديث وفيه- فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، عن يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم من أهل الجنة، والأسودة التي عن الشمال أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى. . .)، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/ ٤٥٨ح٣٤٩)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (١/ ١٤٨ح١٦٣)، والأسودة: هي الأشخاص من كل شيء (الفتح).

(٣) ابن القيم الروح: ٢٤٤، وابن حجر- فتح الباري (٣/ ٢٤٣).

(٤) مسائل عبدالله (١٤٥)، وابن أبي يعلى طبقات الحنابلة (١/ ١٨١)، وابن القيم في الروح (٢٤٤).

وروي محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه قال -بعد أن ذكر حديث البخاري ومسلم الآنف والذي فيه أن أرواح المؤمنين عن يمين آدم في نعيم وسرور، وأرواح أهل الشقاء عن شماله- قال إسحاق: (وعلى هذا أجمع أهل العلم) [1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار، تنعم أرواح المؤمنين، وتعذب أرواح الكافرين إلى أن تعاد في الأبدان) [2].

وقال ابن القيم: (ليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد؛ بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض... ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأناً غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة، وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذه ونعيم، وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن...) [3].

وهذا هو القول الجامع للأدلة القرآنية والنبوية في هذه المسألة التي وإن حارت فيها العقول، إلا أنها لا تحيلها بل هي في حيز الإمكان وطريق معرفتها هو السمعيات وما جاءت به الرسل عن الله، شأن هذه الحياة البرزخية شأن الحياة الأخروية وليس للعقل إلا التسليم والتصديق والانقياد.

---

(١) وقال ابن حزم (وهو قول جميع أهل الإسلام) - الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٢٤)، وانظر للإمام الشوكاني- بحث في مستقر أرواح الأموات (مخطوط) نقلاً عن د/ عبدالله نومسوك-منهج الإمام الشوكاني في العقيدة (ص٧٩١) ط الأولى ١٩٩٤ دار القلم الرياض.

(٢) شيخ الإسلام- مجموع الفتاوى (٤/ ٣١١).

(٣) ابن القيم الروح (٢٩٥).



❖ شبهات العلمانيين حول مستقر الأرواح بعد الموت والرد عليها:

لا يختلف موقف العلمانيين من هذه القضية عن مواقفهم من كل قضايا الغيب وما يسمونه عالم الميتافيزيقيا (فالعبارات الميتافيزيقية خلو من المعنى، مع تحديد الميتافيزيقيا بأنها البحث في أشياء لا تقع تحت الحس لا فعلاً ولا إمكاناً، لأنها أشياء بحكم تعريفها لا يمكن أن تدرك بحاسة من الحواس) كما يقول الدكتور زكي نجيب محمود [1]؛ والذي أغرق في نفيه لعالم الغيب فشبهه بالأساطير قائلاً: (وإذا كانت العبارات الميتافيزيقية رموزاً فارغة خالية من الدلالة والمعنى، إذا كانت العبارات الميتافيزيقية كلاماً لا ينفع السامع شيئاً لأنه لا يدل على شيء، فكيف وقع هذا الوهم العجيب؟ كيف تمت هذه الأسطورة الكبرى؟ فامتلأت الكتب بها واشتد الجدل بين أصحابها؟...) [2].

ونتيجة لهذا الانحراف الفكري والعقائدي في الموقف من قضايا الغيب -ومنها الروح- جاء من يقول: (تصور العرب المقابر مجتمع أرواح وبقيت فكرة تخيل الروح على شكل طير حتى بعد الإسلام، فقد جاء في أسباب النزول للسيوطي حول نزول الآية ١٦٩ من سورة آل عمران: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ ما يلي: روى أحمد وأبوداود والحاكم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر...) [3].

فما ورد في هذه القضية من الأحاديث الصحيحة عن أرواح الشهداء وإنها في أجواف طير خضر في الجنة ليست سوى امتداد للخيال العربي في الجاهلية كما يقول الكاتب عويدات!!

---

(١) د/ زكي نجيب محمود- موقف من الميتافيزيقيا (ص١١٠) الطبعة الثالثة ١٩٨٧، دار الشروق مصر.

(٢) المرجع السابق (ص١٠٤).

(٣) حسين العودات الموت في الديانات الشرقية (ص١٥٤)، ط الثانية ١٩٩٢ دار الأهالي دمشق.

وما حياة البرزخ وما فيه من نعيم أو عذاب للأرواح سوى بقايا العقائد القديمة في حياة القبر كما هو الحال في تاريخ البشرية عند بناة الأهرام كسكن للموتى كما صرح بذلك الدكتور حسن حنفي حيث يقول : - (البرزخ إذن هو الحياة المتوسطة بين الموت والبعث تتراءى فيه أحوال القيامة قبل البعث ، تعرض النار على الكفار . ولكن لماذا لا تعرض الجنة أيضاً على المؤمنين لينعموا بريحها ويتنشقون نسيمها كما يتألم الكفار من لهيب النار ؟ وهل في القبر زمان ، فيعرض فيه الموتى على النار صباحاً ومساءً؟ وكيف تعرض النار على الكفار والجنة على المؤمنين ، والحساب لم يتم بعد ، ولم يحدث دفاع ، ولم ينطق حكم ، ولم يوقع جزاء؟ ربما هي بقايا العقائد القديمة في حياة القبر كما هو الحال في تاريخ البشرية عند بناة الأهرام كسكن للموتى وتحنيط الأجساد ووضع الطعام والشراب والحلى معه حتى تنعم الروح حين تعود إلى الجسد . وربما هي رغبة في قهر الموت واستمرار الحياة تخفيفاً لآلام القبر وحرصاً على راحة الميت وما زالت ذكراه حية في الأذهان ، والدموع في الأجفان ، رغبة في الاتصال ، إذ لا تعقل هذه الفجوة بين الموت والبعث بين الفناء والخلود) (١) .

وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه وإن شكك فيه الدكتور حسن حنفي ؛ إذ لا يعقل أن تحدث هذه الفجوة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ؛ فلا بد من حياة البرزخ ، وطريق بين الحياتين ؛ وليس مع هؤلاء الذين يحاولون نفي عالم الأرواح والحياة البرزخية ما يمكنهم التمسك والاحتجاج به ؛ إذ ليس وجود الحياة مما يحيله العقل ؛ بل هو ممكن عقلاً ؛ وإذا كانت الحياة الأولى الدنيوية تحققت فعلاً ؛ فلا مانع من إمكان وقوع الحياة البرزخية فالوقوع دليل الإمكان ؛ والقول بأن الألفاظ الميتافيزيقية وهي الألفاظ التي تدل على ما وراء عالم الطبيعة ألفاظ خالية لا معنى لها هو قول سوفسطائي يعبث أول ما يعبث به في اللغات قبل الأفكار والعقائد ؛ إذ لا خلاف في أن هناك ألفاظاً تدل على معان وليست هي مما يقع تحت الحس

---

(١) د/ حسن حنفي-النبوة والمعاد- (ص٤٤١) .

والمشاهدة ؛ كلفظ العلم مثلاً ؛ بل وأسماء الله عز وجل فإن هذه الأسماء دالة على معان وإن كانت مسمياتها لا تقع في دائرة المحسوسات .

وإذا ثبت لنا بالدليل العقلي أنه بالإمكان ثبوت الحياة البرزخية وأنه ليس هناك دليل عقلي يحيل ذلك؟ وإذا كان القياس على هذه الحياة الدنيا كاف في إثبات إمكان وقوع الحياة الآخرة -ومن باب أولى الحياة البرزخية- فإنه قد تواتر عن الرسل إخبارهم عن وقوع هذه الحياة بعد الموت حتى أصبحت من العقائد التي أجمعت عليها الديانات السماوية ؛ وعرفها العرب في الجاهلية قبل الإسلام لكونهم على بقايا من دين أبيهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

ومن ثم لا يصلح الاستدلال على بطلان هذه العقيدة بحجة أن الأمم القديمة قبل الإسلام تعرفها ؛ لأن ذلك من الأصول التي أجمع عليها الرسل قاطبة ؛ كإثبات وجود الله وقيام الساعة ؛ والجنة والنار .

كيف وقد أثبتت الدراسات العلمية الوضعية إمكانية بقاء الأرواح بعد موتها ، كما يقول الأستاذ وحيد الدين خان : (أثبتت البحوث الروحية الحياة بعد الموت على المستوى التجريبي والمعملي . إن الأمر الذي يدفعنا إلى إبداء مزيد من الإعجاب بهذه البحوث هو أنها لا تثبت (بقاء محضاً) لروح ما ، بل إنها تثبت أيضاً بقاء الشخصيات التي كنا نعرفها بذاتها قبل أن تموت ! !

إن هناك خصائص كثيرة يتمتع بها الإنسان من قديم الأزمان ، ولكنا لم نلق الضوء عليها إلا حديثاً ، ومن هذه الخصائص (الرؤيا) التي تعد من أقدم مميزات الجنس البشري ، والحقائق المثيرة التي كشفها علماء النفس عن هذه الميزة لم يكن قدماؤنا على علم بها .

وهناك مظاهر أخرى درسناها أخيراً ، وأجرينا بحوثاً وإحصاءات في مختلف أنحاء العالم حولها ، وجاءت البحوث بنتائج غاية في الأهمية .

ومن هذه البحوث ما نسميه (بالبحوث الروحية) وهي فرع من علم النفس الحديث، وهدفها محاولة الكشف عن المميزات الإنسانية غير العادية، وقد أقيم أول معهد لإجراء هذا النمط من البحوث عام (١٨٨٢م) في إنكلترا، وبدأ علماء هذا المعهد عملهم سنة (١٨٨٩م) بعد أن قاموا بمسح واسع النطاق على (١٧) ألفاً من المواطنين، ولا يزال هذا المعهد موجوداً باسم (جمعية البحوث الروحية) وقد انتشرت الآن معاهد كثيرة في مختلف بلدان العالم، وأثبتت هذه المعاهد بعد بحوثها وتجاربها الواسعة النطاق أن الشخصية الإنسانية تواصل بقاءها بعد فناء الجسد المادي في صورة غريبة. . .

وقد ألقى (البروفسور دوكاس) وهو أستاذ الفلسفة بجامعة براون، ضوءاً على الجوانب النفسية والفلسفية من مسألة الحياة بعد الموت، في الباب السابع عشر من كتابه. والدكتور دوكاس لا يؤمن بالحياة بعد الموت كعقيدة دينية، وإنما وجد -أثناء بحوثه- شواهد كثيرة اضطر -على أثرها- أن يؤمن بالحياة الآخرة، مجردة عن قضايا الدين، وهو يكتب في آخر الباب السابع عشر من كتابه قائلاً: « ولقد قام رهط من أذكى علمائنا وأكثرهم خبرة بمطالعة الشهادات المتعلقة بالمسألة، وفحصوها بنظرة نقد ثاقبة، وقد توصلوا آخر الأمر إلى أن هناك شواهد كثيرة تجعل فكرة (بقاء الروح) نظرية معقولة، وممكنة الحدوث. . . وهم يرون أنه لا يمكن تفسير تلك الشواهد إلا على هذا النحو. ومن هؤلاء الكبار الذين قاموا بهذه البحوث نستطيع أن نذكر: الأساتذة (ألفريد راسل واليس)، و(السير وليام كروكس)، و(ف. و. ه. مايرز)، و(سيزار لومبرازو)، و(كميل فلاماريون)، و(السير أوليفر لوج)، و(الدكتور ريتشارد هوجسن)، و(المسترهنري سيدويك)، و(البروفيسور هيسلوب) ».

ويستطرد الدكتور دوكاس قائلاً: (ويتضح من هذا أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت -التي يؤمن بها الكثيرون منا كعقيدة دينية- ليس من الممكن أن تكون واقعاً فحسب، وإنما لعلها هي الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة، التي يمكن إثباتها بالدليل التجريبي. ولو صح هذا فمن الممكن أيضاً أن نجد معلومات قطعية في هذا الموضوع)[١].

---

(١) وحيد الدين خان- الإسلام يتحدى (ص١٤٤-١٤٨) وما بعدها تعريب ظفر الإسلام خان، بتصرف.



هذه شهادات اناس من غير المسلمين بناء على دراسة واستقراء لما يمكن ان يقع تحت التجربة ، ولكن تبقى مسألة الروح سراً خارج ادراك البشر لهذه الحقيقة ، لان الروح لا تدخل تحت التجربة كالمحسوسات .

وهناك جوانب من هذه الدراسات تتعارض مع العقيدة الاسلامية ، وليس الغرض تصحيح كل ما تقوله هذه الدراسات وانما الغرض بيان ان بعض من لايؤمن بالدين يقر ببقاء الروح بناء على دراسات تجريبية اقتنع بها .

ونحن لا نحتاج الى الاستشهاد بغير ادله الكتاب والسنة وانما يأتي هذا من باب الرد على المخالف بأقوال من خارج المحيط الاسلامي .



الباب الثاني

الحياة البرزخية وشبهات العلمانيين

الفصل الثاني

عذاب القبر ونعيمه

١ - المبحث الأول: تعلق الروح بالبدن في القبر

٢ - المبحث الثاني: سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه

المبحث الأول

تعلق الروح بالبدن في القبر

والمراد في تعلق الروح بالبدن أي عودتها إليه بعد الموت وقبل البعث ؛ وقد ثبت بالنصوص أن للروح تعلقاً ببدن صاحبها بعد موته ؛ وأنها لا تنقطع علاقتها بالبدن انقطاعاً كلياً إذ أن للروح الإنسانية خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام :

(أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث : تعلقها به في حال النوم ، فلها به تعلق من وجه ، ومفارقة من وجه.

الرابع : تعلقها به في البرزخ ، فإنها وإن فارقته ، وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة ، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم ، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه ، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً ، فالنوم أخو الموت ، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة) [١].

وقد ثبت عن النبي ﷺ عن طريق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ما يدل على عودة الروح إلى البدن بعد الموت ؛ فمن ذلك : حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل وفيه إنه صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن والعروج فيها إلى السماء ثم قال عليه

(١) ابن أبي العز- شرح الطحاوية (ص٣٩٩) تحقيق الألباني.

السلام : - « حتى ينتهوا بها إلى السماء ، فيستفتحون له ، فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها ، إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك؟ فيقول ربي الله . .)[٢] .

ثم ذكر عليه الصلاة والسلام قبض روح الكافر وانتزاع الملائكة لروحه الخبيثة ثم قال عليه السلام : (حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾[٢] ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ : ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[٣] ، فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك؟ فيقول : هاه ، هاه ، لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول : هاه ، هاه ، لا أدري ، فينادي مناد من السماء : أن كذب ، فافرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه)[٤] .

فقوله عليه الصلاة والسلام عن المؤمن : (فتعاد روحه إلى جسده) دليل على أن الروح ترجع إلى البدن في القبر ؛ وكذلك قال عليه الصلاة والسلام عن روح الكافر مثل ذلك ؛ فهذا نص واضح في هذه المسألة .

---

(١) الحديث سبق تخريجه

(٢) الأعراف : ٤٠

(٣) الحج : ٣١

(٤) الحديث سبق تخريجه

قال الحافظ محمد بن إسحاق بن مندة عن هذا الحديث : - (هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء وكذلك رواه عدة عن الأعمش وعن المنهال بن عمرو والمنهال أخرج عنه البخاري ما تفرد به . وزاذان أخرج عنه مسلم . وهو ثابت على رسم الجماعة . وروى هذا الحديث عن جابر وأبي هريرة : وأبي سعيد . وأنس بن مالك . وعائشة رضي الله عنهم)[1] أهـ.

وقال الإمام البيهقي : (هذا حديث كبير صحيح الإسناد رواه جماعة من الأئمة الثقات)[2]

وقال الإمام ابن القيم عن هذا الحديث : -(هذا حديث ثابت مشهور مستفيض ، صححه جماعة من الحفاظ ، ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه ، بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول ، وجعلوه أصلاً من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ، ومساءلة منكر ونكير ، وقبض الأرواح وصعودها بين يدي الله تعالى ، ثم رجوعها إلى القبر . . . وقد جمع علي الدارقطني طرقه في مصنف مفرد)[3].

وقال الإمام القرطبي عن حديث البراء الطويل : (وهو حديث صحيح له طرق كثيرة)[4]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال ، وسؤال البدن بلا روح قول قالته طائفة من الناس ؛ وأنكره الجمهور ، وقابلهم آخرون فقالوا : السؤال للروح بلا بدن ؛ وهذا قاله ابن مرة وابن حزم وكلاهما غلط ، والأحاديث الصحيحة ترده ، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص)[5].

---

(١) الحافظ ابن مندة كتاب الإيمان (٢/ ٩٦٥) تحقيق د/ علي الفقيهي ط الثالثة ١٩٨٧ مؤسسة الرسالة بيروت .

(٢) البيهقي- إثبات عذاب القبر(ح رقم ٢٠).

(٣) ابن القيم - الروح (ص١٤٦).

(٤) القرطبي -التذكرة (١/ ١٩١).

(٥) ذكره ابن القيم في الروح (ص١٥١).

ومن الأدلة كذلك على تعلق الروح بالبدن في القبر حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قال : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ؛ وأبشري بروح وريحان ؛ ورب غير غضبان ، قال : فيقول ذلك حتى تخرج .

ثم يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : من هذا؟ فيقولون : فلان بن فلان ؛ فيقولون : مرحباً بالنفس الطيبة ؛ كانت في الجسد الطيب ؛ ادخلي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، فيقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى .

وإذا كان الرجل السوء قال : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة ؛ وأبشري بحميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج ، فيقولون ذلك حتى تخرج .

ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال : من هذا؟ فيقولون : فلان ؛ فيقولون : لا مرحباً بالنفس الخبيثة ، كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة ، فإنها لن تفتح لك أبواب السماء ، فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر .

فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ماقيل له في الحديث الأول ، ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ماقيل في الحديث الأول)[1] .

قال الحافظ أبو نعيم : (هذا حديث متفق على عدالة ناقليه)[2] ووجه الشاهد في الحديث أن الرجل الصالح يجلس في قبره غير فزع ولا خائف وهذا دليل على عودة روحه إلى جسده . وكذلك قوله (فتصير إلى القبر) وهو واضح الدلالة .

---

(١) ابن ماجة في الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له (٢/ ١٤٢٣ح٤٢٦٢)، وأخرجه أحمد في المسند (/ ٣٦٤ ٢)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ح٤٤).

(٢) ابن القيم- الروح (ص١٤٨).

ومن الأدلة كذلك على عودة الروح إلى الجسد في القبر حديث أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : - «إن العبد إذا وضع في قبره فإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل في محمد . فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله مقعدك من الجنة . قال رسول الله ﷺ فيراهما كلتاهما أو قال جميعاً . قال : وذكر لنا أنه قال : يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم القيامة . ثم رجع إلى حديث أنس بن مالك قال : وأما الكافر أو المنافق فيقال : ما كنت تقول . فقال : ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت . ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة يسمعها من يليه غير الثقلين) [1] .

ووجه الشاهد فيه قوله عليه السلام (فيقعدانه) والإقعاد للميت بروحه وجسده إذ أن الروح وحدها في حالة يقظة فلا يفهم من قوله (يقعدانه) إلا أن المقصود هو الميت في قبره بعد أن عادت إليه روحه .

ومن الأدلة كذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (دخلت علي يهودية فقالت : أطعميني أعاذك ا الله من فتنة الدجال ، ومن فتنة القبر ، قالت : فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ ، فقلت يا رسول الله ، ما تقول هذه اليهودية ، قال رسول الله ﷺ ما تقول : قالت : قلت ، تقول : أعاذك الله من فتنة الدجال ، ومن فتنة القبر ، فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مداً يستعيذ من فتنة الدجال ومن فتنة القبر ، ثم قال : أما الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته الدجال ، وسأحذر كموه تحذيراً لم يحذر نبي أمته ، إنه أعور ، وإن الله ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن ، وأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون ، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ، فيقال له : فيم كنت؟ فيقول في

---

(١) أخرجه ابن مندة في الإيمان (٢/ ٩٦٦ح١٠٦٦) ، وأصله في البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر (٣/ ٢٣٢ح١٣٧٤) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (١٧/ ٢٩٥ح٢٢٧٠) .



الإسلام، فيقال: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فآمنا وصدقنا، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول؟ ما ينبغي لأحد يراه في الدنيا، ثم يفرج له فرجة . . . قبل الجنة فينظر إلى ما فيها من زهرتها وما فيها، فيقال له: ها هنا مقعدك. ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعاً مشعوفاً، فيقال له: فيم كنت، فيقول: لا أدري، فيقال ما هذا الرجل. فيقول: سمعت الناس يقولون، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى ما فيها من زهرتها وما فيها فيقال: انظر ها هنا إلى ما صرف الله عنك. ويفرج له فرجة إلى النار فينظر إليها. يحطم بعضها بعضا، فيقال: هذا مقعدك. ثم يقال له: على الشك كنت. وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله)[1] .

ووجه الدلالة قوله عليه السلام: - «فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف . . . وقوله: وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعاً مشعوفا . . . ».

قال ابن القيم رحمه الله: (. . وهذا عود غير التعلق الذي كان لها في الدنيا بالبدن، وهو نوع آخر، وغير تعلقها به حال النوم، وغير تعلقها به وهي في مقرها، بل هو عود خاص للمساءلة)[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في جوابه عن هذه المسألة: (بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن)[3] .

---

(١) أخرجه ابن مندة في الإيمان (٢/ ٩٦٧ح١٠٦٧) قال د. فقيهي إسناده صحيح وهو في المسند.

(٢) ابن القيم- الروح (١٥١).

(٣) شيخ الإسلام مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢) وانظر (٤/ ٢٦٢-٢٧٠، ٢٨٢-٢٩٩)، وانظر الروح (ص١٥٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : - (. . وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور، كقوله : «إنه ليسمع خفق نعالهم»، وقوله : «تختلف أضلاعه لضمة القبر»، وقوله : «يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق» وقوله : «يضرب بين أذنيه»، وقوله : «فيقعدانه». وكل ذلك من صفات الأجساد) [1].

❖ شبهات العلمانيين حول تعلق الروح بالبدن في القبر والرد عليها:-

حاول حسن حنفي -كعادته- أن يشكك في إمكانية عودة الروح إلى البدن بعد الموت حيث عقد لهذه المسألة مبحثاً بعنوان : (هل تعود الروح؟) وجاء فيه : - (ولكن افتراض حياة في القبر يتطلب عودة الروح إلى الجسد. فهل تعود الروح إلى الجسد بعد مفارقته؟ وماذا تفعل الروح إذا عادت ولم تجد جسداً مواري في التراب كما هو الحال في الغريق الذي طواه اليم أو الجسد الذي أكله السبع أو الذي مزقته السيوف إرباً إرباً أو الذي حرقته النار فصار رماداً؟ أين تعود الحياة؟ هل تعود الأجزاء إلى الجسد حتى يكتمل ثم يعود إليه الروح أم تعود الروح إلى الأجزاء المتبقية؟ وماذا لو كان الجزء المتبقي هو اليد أو الإصبع دون القلب أو الرأس أو اللسان؟) [2]

ثم يقول الكاتب كذلك : (ولماذا تعود الروح إلى القبر بالذات حيث يرقد الجسد وهي ليست في حاجة إليه وقد كان يمكن للمساءلة والعذاب أن تتما خارج القبر؟ قد يكون الأمر كله مجرد خيال شعبي يقوم على شدة الارتباط بالموتى الأعزاء وكما ظهر في تاريخ الفكر البشري ابتداء من عبادة الموتى وأرواح الأسلاف وإعادتها وزيارتها ثم بناء الأهرامات وتحنيط الجثث والإعداد للحياة الأخرى باعتبارها استمراراً للحياة الدنيا. وقد تكون حياة القبر المرحلة الثالثة في تاريخ البشرية، مرحلة متوسطة بين الموت والحياة حتي تأتي مرحلة رابعة وأخيرة تكون الكلمة فيها للعلم) [3] .

(١) ابن حجر العسقلاني- فتح الباري (٣/ ٢٣٥) وانظر (١١/ ٣٦٦).

(٢) د/ حسن حنفي-النبوة والمعاد ٤٤١ .

(٣) المرجع السابق .

والجواب على هذه الشبهة من وجوه:-

الأول:- إن تعلق الروح بالبدن هو في حد ذاته في حيز الإمكان؛ ولا يحيله العقل؛ بغض النظر عن الحالة التي يكون عليها البدن؛ فإذا تقرر ذلك لم يبق سوى التسليم للنقل؛ إذ المسألة من قضايا الغيب ولا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق السمع؛ فإذا ثبت الدليل النقلي وجب القول به واعتقاد ما دل عليه؛ وقد جعل الله عز وجل أول صفات المؤمنين أنهم (يؤمنون بالغيب) [١٨]؛ ولولا أهمية الإيمان بالغيب وأنه الأصل الأول الذي ينبني عليه الاعتقاد كله لما كان هناك اختبار وابتلاء للعقول لمعرفة من ينقاد منها ومن لا ينقاد لقول المعصوم عليه الصلاة والسلام.

قال الإمام الباقلاني: (ويجب أن يعلم أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر. . . ورد الروح إلى الميت عند السؤال؛ كل ذلك حق وصدق يجب الإيمان به والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل بالعقل. .) [١].

الثاني:- أنه ثبت بالدليل النقلي عودة الروح إلى البدن بعد الموت كما في الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها آنفاً.

الثالث:- أنه إذا جاز تعلق الروح بالبدن وبعث الأجساد بعد فنائها وانعدامها وذلك يوم القيامة؛ يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ فمن باب أولى جواز تعلق الروح بالبدن بعد الموت مباشرة في الحياة البرزخية؛ إذ كلاهما عودة للروح بعد مفارقتها للجسد بعد الموت؛ وكانت الحياة البرزخية أولى لأنها بعد الموت مباشرة؛ وقبل أن تبلى الأجساد وتضل في التراب؛ فمن جوز عودة الروح إلى الأبدان يوم القيامة لزمه أن يجوز عودة الروح إلى البدن في الحياة البرزخية.

---

(١) البقرة: ٣ .

(٢) الإمام الباقلاني- الإنصاف (ص٥١) ط الثانية ١٩٦٣ مؤسسة الخانجي- القاهرة.

الرابع:- إن الروح تفارق البدن في حال النوم مفارقة جزئية، ويظل لها تعلقاً به كما قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى﴾[1]، وكان رسول الله ﷺ إذا استيقظ يقول: - «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[2].

فإذا جاز في النوم مفارقة الروح للبدن ثم عودتها إليه فجائز حدوث ذلك بعد الموت، إذ الموت أخ النوم، ولا يحتج بأن عودتها في الحياة الدنيا تقتضي حياة لأن عودتها أيضاً بعد الموت تقتضي حياة أخرى غير أنها حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل.

الخامس: - أن النائم يشعر في حال نومه، وقد يتلذذ أو يتعذب مع أنه قد فارقته الروح؛ ومات الموتة الصغرى ولا يقال بأن مفارقة الروح له مفارقة جزئية وأنه يظل هناك تعلقاً وارتباطاً بين الروح والبدن في حال النوم. ومن ثم يحصل له شعور في حال نومه؛ لأننا نقول أيضاً بأنه بعد الموت تبقى علاقة وارتباط جزئي يحصل الشعور والتلذذ أو الخوف.

قال الشيخ جمال الدين الغزنوي: (ورجوع الحياة إلى الميت في القبر كلها أو بعضها بقدر ما يعقل السؤال ويفهم ويتلذذ بالإكرام إن كان مؤمناً؛ ويتألم بالعذاب إن كان كافراً؛ لقوله تعالى: ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾[3]..)[4]. فلا يترتب على عودة الروح إلى البدن بعد الموت وتعلقها به ما يترتب على عودتها للنائم من الحياة الكاملة.

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب مايقول إذا نام (١١/ ١١٣ ح ٦٣١٢)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء باب ماذا يقول عند النوم وأخذ المضجع (١٧/ ٥٤ ح ٢٧١١).

(٣) غافر: ٦١.

(٤) جمال الدين الغزنوي أصول الدين (ص٢١٥) تحقيق عمر الداعوق الطبعة الأولى ١٩٩٨ دار البشائر لبنان.

وقال الإمام ابن حجر في رده على هذه الشبهة : - (وجوابهم : أن ذلك غير ممتنع في القدرة، بل له نظير في العادة، وهو النائم، فإنه يجد لذة وألماً لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يدرك ألماً أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يدرك ذلك جليسه، وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله، والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت إلا من شاء الله) [1]

السادس : - أما بالنسبة لمن مات وتقطعت أجزاء جسمه فلم يرد فيه نص صريح ؛ إذ أن الأدلة إنما هي فيمن يموت ويقبر ؛ ولا مانع عقلاً من أن يحدث الله لما سوى هؤلاء حياة برزخية خاصة ؛ قال الإمام البيهقي : - (وإعادة الروح في جزء واحد، وسؤال جزء واحد، وتعذيب جزء واحد، مما يجوز في العقل، وليس في تفرق الأجزاء استحالة ما وردت به الأخبار في عذاب القبر، وهو كما شاء الله، ولمن شاء الله، وإلى ما شاء الله، نعوذ بالله من عذاب الله . .)[2].

يقول ابن القيم رحمه الله : - (إنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لا نشعر بها لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود، فهذا المغمي عليه والمسكوت والمبهوت[3] أحياء وأرواحهم معهم ولا نشعر بحياتهم، ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل في الجمادات شعوراً وإدراكاً تسبح ربها به، وتسقط الحجارة من خشيته[4]، وتسجد له الجبال

(١) ابن حجر العسقلاني فتح الباري (٣/ ٢٣٥) وانظر كذلك ابن حزم في الفصل في الملل والنحل (٤/ ٦٧).

(٢) الإمام البيهقي- الاعتقاد (ص٢٢٤) تحقيق أحمد عصام الكاتب دار الآفاق بيروت.

(٣) المبهوت : هو الذي أخذ بغتة، القاموس المحيط(بهت).

(٤) قال تعالى : ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾ البقرة : ٧٤ .



والشجر [1]، وتسبحه الحصى والمياه والنبات، قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [2].

وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل [3]، وسمعوا حنين الجذع اليابس في المسجد [4]، فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور فالأجسام التي كانت فيها الروح والحياة أولى بذلك) [5].

وقال الإمام النووي: وكون الميت قد تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو الحيتان، أو فقد شيء من جسمه لا يمنع ذلك من إحياء جزء من أجزائه وإيصال العذاب إليه [6].

ثم ان القوانين التي تحكم المادة هي من صنع الله عز وجل والارتباط بين الروح والجسد مما لا يستطيع الانسان ان يحيط به والذي يزعم أنه قد احاط به فإنه جاهل.

---

(١) قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء۩﴾ (الحج: ١٨).

(٢) الإسراء: ٤٤.

(٣) روى البخاري بسنده إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: «حي على الطهور المبارك والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». صحيح البخاري، كتاب المناقب، علامات النبوة في الإسلام، (٦/ ٥٨٧ ح ٣٥٧٩).

(٤) روى البخاري بسنده إلى جابر بن عبدالله قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت»، صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٦/ ٦٠١ ح ٣٥٨٣).

(٥) الروح (ص١٩٨-٢٠٠) بتصرف.

(٦) الإمام النووي شرح صحيح مسلم (١٧/ ٢٠١).

ونضرب مثالاً واحداً نبين فيه ان هناك حالة تخالف قاعدة مسلّمة عند جميع البشر ولا نستطيع لها تعليلاً.

فالقاعدة ان الانسان لو وضعناه في غرفة محكمة ومنعنا عنه دخول الهواء لاختنق لأن الانسان يعيش على الأكسجين، وهاهو الجنين يبقى قرابة خمسة أشهر في بطن أمه ولايصل إليه هواء ومع هذا فإنه لايختنق!!

وهذا يدل على ان القوانين التي تحكم الانسان في مراحل وجوده تختلف بعضها عن بعض.

فاذا اختلف حال الانسان وهو في بطن امه عن حاله بعد الولادة دل على ان حال الانسان بعد الموت له حال آخر.

فزعم أن تفرق البدن يتعذر معه عودة الروح زعم باطل لأنه حكم على حياة لا نعرف عنها شيئاً إلا بالخبر؛ والذي اخبر هو الله عز وجل خالق الانسان هو على كل شيئ قدير.

الفصل الثاني : عذاب القبر ونعيمه

المبحث الثاني : سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه

سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه

من أصول العقيدة الإسلامية الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين، فمن نجا من عذاب القبر فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج من السؤال في قبره فما بعده أشر منه؛ وذلك قوله ﷺ: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج فما بعده أشر منه»[(١)].

وإذا قبر الميت وتولى عنه أصحابه، فإنه يسأل في قبره؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت، أو قال أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان، فيقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهليه إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزاله فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي- كتاب الزهد (٤/ ٥٥٣ ح ٢٣٠٨) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة في الزهد باب ذكر القبر والبلى (٢/ ١٤٢٦ح ٤٢٦٧)، وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٣٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٨٣ح ١٠٧١) قال حسن غريب والآجري في الشريعة ص ٣٦٥، وابن أبي عاصم (٢/ ٤٠٢ ح ٨٦٤، وحسنه الألباني في المشكاة (١/ ٤٧) وقال: هو على شرط مسلم.

قال الحكيم الترمذي [1] : (وسميا منكراً ونكيراً لأن صفتهما لا تشبه خلق الآدميين ، ولا خلق الملائكة ، ولا خلق الهوام ، بل هما خلق بديع ليس في خلقتهما أنس للناظرين إليهما ، جعلهما الله تعالى تكرمة للمؤمن ليثبته ، وتبصرة وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب) [2] .

وقد ثبت سؤال الملكين للميت في قبره من خلال الأدلة القرآنية والنبوية ؛ فمن أدلة القرآن في ذلك :-

قول الله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ [3] ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يفسر هذه الآية ؛ فعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾» [4] .

قال الرازي : (. . المشهور أن هذه الآية وردت في سؤال الملكين في القبر ، وتلقين الله تعالى المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال ، وتثبيته إياه على الحق . . . والمراد من الباء في قوله تعالى : ﴿بالقول الثابت﴾ هو أن الله تعالى إنما ثبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الحياة الدنيا على هذا القول ، ولهذا الكلام تقرير عقلي وهو : إنه كلما كانت المواظبة على الفعل أكثر

---

(١) أبوعبدالله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي المحدث صاحب التصانيف توفي سنة٣١٨هـ ، طبقات السبكي (٢/ ٢٤٥) ، كشف الظنون (١/ ٩٣٨) ، لسان الميزان (٥/ ٣٠٨) .

(٢) الحكيم الترمذي نوادر الأصول (ص٣٢٣)   ، وانظر إرشاد الساري للقسطلاني (٢/ ٤٦٣) .

(٣) إبراهيم : ٢٧ .

(٤) أخرجه البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر (٣/ ٢٣١ ح ١٣٦٩) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه (١٧/ ٢٩٧ ح ٢٨٧١) .

كان رسوخ تلك الحالة في العقل والقلب أقوى، فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لا إله إلا الله وعلى التأمل في دقائقها وحقائقها أكمل وأتم، كان رسوخ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت أقوى وأكمل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا ثبته الله عليها في قبره ويلقنه إياها..)[1].

وفي قوله تعالى: - ﴿ويضل الله الظالمين﴾ قال البيضاوي يعني أن الكفار إذا سئلوا في قبورهم قالوا: لا ندري وإنما قالوا ذلك لأن الله أضلهم..)[2].

وقد وردت أحاديث كثيرة في إثبات سؤال الملكين للميت في قبره منها: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل وفيه قال ﷺ عن روح المؤمن: - (... فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك فيقول: ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الثياب طيب الريح فيقول له: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: فمن أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: يا رب أقم الساعة أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي..).

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (١٩/ ١٢٢) المطبعة البهية القاهرة.

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (٣/ ١٦٠) دار صادر بيروت، وانظر محمود الألوسي-روح المعاني (١٣/ ٢١٧)، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

ثم قال ﷺ عن روح الكافر : (. . . فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقال له : من ربك؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولون له : ما دينك؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولون له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فينادي مناد من السماء : أن كذب فأفرشوه من النار وألبسوه من النار . وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول أنا عملك الخبيث . فيقول : رب لا تقم الساعة)[1] .

ومنها حديث أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال أبو سعيد ولم أشهده من النبي ﷺ في حائط بني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة -قال كذا كان يقول الجريري- فقال : (من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل أنا . قال : فمتى مات هؤلاء؟ قال : ماتوا في الإشراك . فقال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار ؟ قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال»)[2] .

ومنها حديث أسماء بنت أبي بكر رضي عنها وعن أبيها فقد قالت في حديث الكسوف : «فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما من شيء كنت لم أره إلا قد

---

(١) الحديث سبق تخريجه وهو عند أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧) وابن مندة في الإيمان (٢/ ٩٦٤ح١٠٦٤) .

(٢) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه (١٧/ ٢٩٤ ح٢٨٦٧) .

رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، لقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل -أو قريباً من- فتنة الدجال. لا أدري أيتهما قالت أسماء. يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن -أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء- فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا. فيقال له: نم صالحاً، فقد علمناك كنت لموقناً، وأما المنافق -أو المرتاب، لا أدري أي ذلك قالت أسماء- فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»[(١)].

ومنها حديث أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه و إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله. فيقال له انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ماكنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[(٢)].

والأحاديث المثبتة لسؤال الملكين في القبر وعذابه ونعيمه كثيرة جداً ومتواترة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[(٣)].

وقال الإمام ابن القيم: (.. وأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ)[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء باب من لم يتوضأ إلا من الغي المثقل (١/ ٢٨٨-٢٨٩ ح ١٨٤)، ومسلم في الكسوف باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف (٦/ ٢٩٧ح٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر (٣/ ٢٣٢ ح ١٣٧٤).

(٣) الفتاوى (٤/ ٢٨٥، ٢٨٧)

(٤) الروح لابن القيم ١٥٥ .

وقال الإيجي: (الأحاديث الصحيحة الدالة عليه رَأى عذاب القبر -أكثر من أن تحصى..)[1].

وعلى ذلك أجمعت الأمة المحمدية؛ قال الإمام أبو الحسن الأشعري: (وأجمعوا على أن عذاب القبر حق؛ وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته)[2].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: (... والإيمان بملك الموت يقبض الأرواح؛ ثم ترد في الأجساد في القبور، فيسألون عن الإيمان والتوحيد)[3].

وقال الإمام أبوحنيفة: (سؤال منكر ونكير حق كائن في القبر)[4].

وقال الإمام عبدالغني المقدسي: (والإيمان بعذاب القبر حق واجب، وفرض لازم... وكذلك الإيمان بمساءلة منكر ونكير)[5].

وقال الإمام الطحاوي: (وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)[6].

---

(١) عبدالرحمن بن أحمد الإيجي المواقف في علم الكلام (ص٣٨٢) مكتبة المتنبي القاهرة، وسعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد (٥/ ١١٢)، تحقيق د/ عبدالرحمن عميرة- عالم الكتب بيروت.

(٢) أبو الحسن الأشعري رسالة إلى أهل الثغر (ص١٥٩) تحقيق عبدالله الجنيدي نشر مركز البحث العلمي المدينة المنورة ١٤١٣هـ. وانظر مقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٦).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٤).

(٤) الفقه الأكبر ٣٠٦.

(٥) عبدالغني المقدسي الاقتصاد في الاعتقاد ١٧٢.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٦.

وقال أبوالمعين النسفي : (أثبت جمهور الأمة عذاب القبر للكافرين ولبعض العصاة من المؤمنين ، والإنعام لأهل الطاعة في القبر ، وسؤال منكر ونكير لورود الدلائل السمعية في ذلك . .) .

ثم ذكر الأدلة في ذلك [1] .

وقال إمام الحرمين : (باب جمل من أحكام الآخرة المتعلقة بالسمع ؛ فمنها إثبات عذاب القبر ، ومساءلة منكر ونكير ، والذي صار إليه أهل الحق إثبات ذلك ، فإنه من مجوزات العقول ، والله مقتدر على إحياء الميت ، وأمر الملكين بسؤاله عن ربه ورسوله ؛ وكل ما جوزه العقل وشهدت له شواهد السمع لزم الحكم بقبوله . .) [2] .

(١) أبو المعين النسفي تبصرة الأدلة (٢/ ٧٦٣) تحقيق كلود سلامة نشر المعهد العلمي الفرنسي دمشق .

(٢) إمام الحرمين الجويني-الإرشاد (ص٣٧٥) وينظر في ذلك ابن جرير ، الطبري التبصير في معالم الدين (ص٢١٢) تحقيق على الشبل دار العاصمة السعودية ، وشرح الشريف الجرجاني على مواقف الإيجي (٧/ ٣١٧) مطبعة السعادة ١٩٠٧ القاهرة ، الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٣٠) ، والدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ٢٨٤ ، وأصول الدين للغزنوي الحنفي (ص٢١٦) ، والإنصاف للباقلاني (ص٥١) .

❖ **شبهات العلمانيين حول سؤال الملكين للميت في قبره وعذاب القبر ونعيمه والرد عليها :-**

لم تسلم عقيدة سؤال الملكين للميت في قبره وعذاب القبر ونعيمه من تشكيك أهل الشك والريب ، تارة بدعوى أنها تصورات اسطورية كما يرى الدكتور نصر أبوزيد حيث يقول : (ما زال الخطاب الديني يتمسك بالدرجة ذاتها من الحرفيه بالشيطان والجن والسجلات التي تدون فيها الأعمال والأخطر من ذلك تمسكه بحرفيه صور العقاب وعذاب القبر ونعيمه . . . وذلك كله من تصورات اسطورية) (١) ؛ بينما يرى الدكتور اسماعيل منصور أنه لا دليل من القرآن أو السنة على عذاب القبر أو نعيمه حيث يقول : (. . . الآيات القرآنية الكريمة ليس فيها بالفعل ما يثبت أو يشير إلى عذاب القبر أو نعيمه بلا جدال) (٢) ؛ ويقول أيضاً : (لا أساس من الصحة لهذا الأمر -عذاب القبر ونعيمه- في كتاب الله لا من قريب ولا من بعيد) (٣) . وأما الأحاديث فهي في نظره ما هي إلا (روايات كاذبة مفتراة ابتدأها جهلة أو مغرضون ورددها بعدهم سذج أو واهنون ثم ركبت لها بعد ذلك أسانيد مفتراه يثق بها الناس (السلاسل الذهبية) حتى تصل إلى الصحابة) (٤) .

وقد جعل كتابه كله -وهو في مجلدين ضخمين- في نفي هذه القضية ، ولم يسلم الصحيحان على جلالة قدرهما من التشكيك والطعن فيهما حيث زعم أن ورود الأحاديث فيهما (لا يحقق لها إلا بداية الاعتبار التي تجعلها صالحة لأن ينظر في متنها بعد ذلك ليعرف ما إذا كان صحيحاً أو غير صحيح) (٥) ؛ كما زعم(إن رواية الحديث عموماً لا تقوى بذاتها على إثبات حكم شرعي بأي حال وهذا مسلم به في منهاجنا القائم على اختصاص القرآن الكريم وحده بذلك) (٦) .

(١) د/ نصر أبوزيد نقد الخطاب الديني ص ٣٨ .

(٢) د/ اسماعيل منصور شفاء الصدر بنفي عذاب القبر (٢/ ٦) ط الأولى ١٩٩٦م .

(٣) المرجع السابق (ص١٤) .

(٤) المرجع السابق (ص١٤) .

(٥) المرجع السابق (٢/ ١٠٨) .

(٦) المرجع السابق (٢/ ١٤٧) .



بل إن علماء الحديث عنده (. . . مغرضين، وأصحاب هوى، غير أمناء فيما يقولون على وجه العموم)[1].

وقال عن حديث البراء بن عازب المشهور في إثبات عذاب القبر ونعيمه: (هذه الرواية هي أقوال مجمعة من هنا وهناك، وبأسلوب وعظي يقوم على التأليف المحض والاختراع المباشر، بهدف تخويف الناس من القبر وما فيه حتى يقلعوا عن المعاصي (ويتوبوا عن الكفر) وليس هذا بمحمود في الدين، ولا بمقبول في الشرع بأي حال؛ لأن الكذب كذب ولو كان بحسن نية، أو لسلامة قصد. .)[2]. وحجته في رد الرواية أن القرآن خلا من ذكرها، ولماذا كان محلها في المقبرة وفي جنازة أحد الصحابة وليس في المسجد كما يقول[3]!!.

ولما أتى على رواية زيد بن ثابت التي أخرجها الإمام مسلم «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها. .)[4] قال: (. . ورودها في صحيح مسلم. . لا يعطيها دليلاً لقوة الإثبات لما أتت به من فتن، وإن كان يعطيها -فحسب- صلاحية وضعها تحت منظار البحث العلمي الدقيق؛ ما دام أصحاب الحديث قد ارتضوها من حيث الشكل (السند) باتصال سلسلة الرواة الموثوق بهم (عندهم) كما يشهدون. . . . لكننا لعدم ثقتنا فيما يقولون (لكونهم دائماً مغرضين) أردنا أن ندرس سلسلة السند (أيضاً) حتى نعلم الحقيقة، فدرسناها فوجدنا العجب العجاب، وتأكد لدينا - من جديد- أن هؤلاء مغرضون تماماً. . .)[5].

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٢٩) وانظر (٢/ ١٢٣).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٣) المرجع السابق (٢٥٢-٢٥٣).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) المرجع السابق (١/ ١٢٣).



وأما حديث أنس الذي رواه البخاري ومسلم «إن العبد إذا وضع في قبره؛ وتولى عنه أصحابه. . .»[1] فيقول عنه: (هذه الرواية -مثل ما سبق من الروايات- مليئة بالخرافات، والأخطاء الشرعية والركاكة التعبيرية بحيث لا يمكن -على الإطلاق- أن يصح قولها من النبي ﷺ بأي حال. .)[2].

وأما رواية ابن ماجة عن أبي هريرة «إن الميت تحضره الملائكة. . .»[3] فقد قال: - (هذه الرواية -وهي كما سبقها من روايات مليئة بالأكاذيب والركاكة والسخف. . . وحقيقة الأمر أنها وعظية سخيفة صدرت من مختل مجرم ألصقها بسند مقبول (لدى بعض أهل العلم) في زمانه حتى يحسبوها قد رويت فعلاً بهذا السند؛ وما هي إلا مقولة خيالية، من مقولات الأدب الشعبي (الأسطوري) التي يتناقلها العوام السذج، دون أن يعرفوا لها مصدراً، أو يعقلوا لها مغزى. .)[4].

ولا يعتبر الدكتور اسماعيل منصور بدعاً في هذه الطريقة من الطعن في الأحاديث بدعوى معارضتها للقرآن الكريم فقد وافقه في هذه الطريقة قوم أخرون منهم جمال البنا الذي تقدم قوله عن الأحاديث التي تتحدث عن الغيبيات فقال:

(وعرض الأحاديث على القرآن سيؤدي إلى التوقف أمام الأحاديث التي جاءت عن المغيبات بدءاً من الموت حتى يوم القيامة والجنة والنار فهذه مما استأثر الله بعلمها. . . ويدخل في الغيب التنبؤ بما سيحدث قبيل الساعة مما يسمونه (الفتن) ويدخل فيها المهدي، والدجال، وما إلى ذلك كله؛ والأحاديث التي تتحدث عن الفتن والمهدي والدجال؛ ثم الموت وعذاب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) د/ اسماعيل منصور شفاء الصدر بنفي عذاب القبر (٢/ ١٤٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) المرجع السابق (٢/ ٢١٣).



القبر، فالحشر والنشر والجنة والنار تجاوز المئات إلى الألوف؛ ونحن نطويها دون حساسية أو أسى. . .)[1].

ولا يختلف الدكتور حسن حنفي كثيراً في إيراده للشبهات التي تخص سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه؛ إذ أن هذه العقيدة -عنده- تصادم مسلمات العقل، كما أنها تعتمد على الأحاديث الضعيفة التي لا تصلح لإقامة الدليل على هذه العقيدة كما يدعي، فالدكتور يشكك في إمكان الجواب في القبر فيقول:

(وإذا ما عادت الروح إلى أجزاء الجسد وليس جله فكيف تتكلم أجزاء الجسد التي دفع الله بالحياة فيها؟ كيف يتكلم القلب وحده بلا لسان وشفتين؟ هل هناك لغة غير منطوقة بلا لسان وصوت وفم وبلا عقل وذهن وإدراك؟)[2].

ثم يشكك في أهمية هذا السؤال قائلاً: - (. . والآن لماذا يسأل الملكان والميت الحي يجيب؟ وهل يقتصر دور الإنسان وهو في هذه الظروف غير العادية على الإجابة؟ إن السؤال أقوى من الجواب، والجواب مشروط بالسؤال. السؤال يدل على قوة السائل في حين أن الإجابة تدل على ضعف المجيب. لذلك كان السؤال والجواب أقرب إلى الاستجواب كما يتم في أقسام الشرطة لتحرير المحاضر أو في أجهزة المخابرات للتعرف على الجناة. وهل هناك تسجيل للحساب وهل هناك اعتراضات وشهود ؟! هل هناك تسجيل وتدوين ؟! مناقشة وردود واعتراضات؟ وما الهدف من السؤال وكل الإجابات معروفة سلفاً قد تم تدوينها في صحائف الأعمال في الدنيا وتعرض على الإنسان في الآخرة فيأتيها المؤمن بيمينه والكافر بشماله؟ فإذا كان حساب المناقشة وطلب العلية أهم من حساب العرض الإخباري الخالص يكون سؤال الملكين في القبر أهم من الحساب الختامي. ولماذا حساب المناقشة المبدئي والله

---

(١) جمال البنا، نحو فقه جديد (ص٢٤٩-٢٥١) باختصار دار الفكر الإسلامي القاهرة.

(٢) د/ حسن حنفي-النبوة والمعاد- ٤٤٩ .

وملائكته يعلمون الرد، وكل شيء لديهم في لوح محفوظ؟ لماذا السؤال والإجابة عليه معروفة سلفاً ومدونة في صحائف الأعمال؟ ألا يعرف الملكان الإجابة قبل السؤال؟)[1]

ثم يستهزيء ويسخر من الملكين بدعوى أن ذلك يخالف عدل الله عز وجل قائـــلاً :- (. . فالأسئلة كلها عقائدية حول الله والرسول والدين وليست أسئلة عملية حول تطبيق الشريعة أو حقوق الإيمان وواجبات المكلف والأعجب من ذلك كله عدم تساوي الأسئلة من حيث الصعوبة بين المؤمن والكافر. فتعطى الأسئلة السهلة للمؤمنين والصعبة للكافرين حتى تسهل إجابة الفريق الأول وتصعب إجابة الفريق الثاني محاباة وتحيزاً وهو ما يناقض أبسط قواعد العدل وتكافؤ الفرص)[2].

ثم يكمل قائلاً :- (وهل من العدل أن يعطى المؤمنون أسئلة سهلة في موضوعات واضحة في مدة طويلة مع مساعدة الملكين لهم ومعاملتهم الرقيقة معهم في حين يعطى الكافرون أسئلة صعبة في موضوعات غامضة وفي مدة قصيرة ودون مساعدة وفي معاملة غليظة؟ وكيف لا تكون الأسئلة واحدة لكل من المؤمنين والكافرين. . .)[3].

ثم يدعي أنه لا توجد أخبار وأحاديث صحيحة في هذه القضية؛ وإنما جاءت من الأخبار الضعيفة فيقول: (والحقيقة أن كل هذا الوصف إنما يأتي من الروايات والأخبار الضعيفة التي لم تعتمد عليها كتب العقائد المتقدمة بل امتلأت بها الشروح المتأخرة مستمدة مادتها من تآليف مستقلة عن علم أصول الدين بعد أن أصبح موضوعاً مستقلاً تكثر فيه التآليف في فترات الانحطاط تعويضاً عن مآسي العصر وأحزان الزمان وهزائم المجتمعات وانهيار الدول. فتنشأ

---

(١) المرجع السابق (٤٥٠-٤٥١).

(٢) المرجع السابق ٤٥٢ .

(٣) المرجع السابق ٤٥٢ .



الأخرويات كتعويض عن الدنيويات وكانتصار للروح بعد هزيمة البدن، وكأمل في المستقبل بعد ازدياد الكرب في الحاضر. كلها روايات وأخبار لا تتوافر فيها شروط التواتر وفي مقدمتها الاتفاق مع العقل والحس ومجرى العادات بل ولا حتى ترتقي إلى أخبار الآحاد. وهي على هذا النحو لا تعطي اليقين النظري أو العملي. لم يرد منها شيء في أصل الوحي الأول وهو القرآن. وليس في الحديث الصحيح كل هذه التفصيلات النظرية..)(١).

ثم يتساءل الكاتب عن عذاب القبر مشككاً في صعوبة وقوعه على الجسد إذا اختفى كلاً أو جزءاً فيقول في ذلك: (فإذا ما ثبت عذاب القبر حرفياً وشيئياً هل يكون بالجسد أم بالروح أو بالروح والجسد أم بالشخص؟ فإذا كان في الجسد فهل يجوز العذاب في أجزائه إن استحال الكل؟ ما دام الله قادراً على كل شيء فإن النعيم والعذاب يكونان في الأجزاء كما يجوزان في الكل بقدرته.... ولكن كيف يجوز تعذيب من اختفى جسده كلاً وجزءاً سواء أكله السبع أو طواه اليم أو حوله الحريق إلى رماد؟ وكيف يعذب الجماد بلا حياة؟ وما الفائدة من العذاب ما دام لا يوجد إحساس بالألم؟ فإن صعب الحل يكون العذاب للأرواح والأجساد معاً بعد أن تعود الأرواح إلى الأجساد. وهنا أيضاً تنشأ صعوبة احتمال غياب الأجساد في بطن السبع أو في أعماق اليم أو بين ألسنة النيران فلا تجد الأرواح ما تحل فيه وتعود إليه وكأن الأجساد شرط وجود الأرواح. وهل يجوز تعذيب شخص في شخص آخر، تعذيب الإنسان مأكولاً أو مهضوماً في بطن السبع؟ وما الفائدة وألم الافتراس قد تم، وأصبح الإنسان عصارة معدية لا تتألم كإنسان، وإن تألمت فإن آلامها ستصيب السبع من معاصي الذي في بطنه؟)(٢).

(١) المرجع السابق (٤٦١-٤٦٢).

(٢) المرجع السابق ٤٦٩ .



كل هذه الشبه والتساؤلات أوردها الكاتب ليصل إلى أن عذاب القبر تصور شعبي ، فالعذاب في نظره هو شعور الإنسان بالفعل القبيح ، والنعيم هو شعور الإنسان بالرضا وبأداء الرسالة ؛ يقول الكاتب : - (عذاب القبر إذن هو تصور شعبي للظلام والهواء الراكد الساكن والرائحة العفنة والوحدة والعزلة والوحشة ، يعبر عن تجربة إنسانية فعلية في الشاهد يسقطها الإنسان على الغائب . فلا يعرف الموت إلا قياساً على الحياة . إن إثبات عذاب القبر كواقعة شيئية تسبب رد فعل في إنكاره أيضاً كواقعة شيئية . وإذا قام الإثبات على الرواية والسمع فإن الإنكار يقوم على المعارض العقلي ، والعقل في النهاية أساس النقل . فالميت لا حياة له وبالتالي لا تعذيب له . ولم ير أحد عذاب القبر ، أو آثار التعذيب على جثة إذا ما فتح القبر . ولم تسمع أصوات الأنين أو تأوهات الألم . وأين يقع العذاب إذا ما تحولت الجثة إلى عظام بالية أو انقطعت إلى أجزاء في أجواف السباع وحواصل الطيور وأقاصي التخوم ومدارج الرياح ؟ وبين الإثبات والنفي للواقعة الشيئية هناك إثبات الدلالة التي لا يمكن نفيها . فالعذاب هو شعور الإنسان بالفعل القبيح وتأنيب الضمير ، والنعيم هو شعور الإنسان بالرضا وبأداء الرسالة . العذاب والنعيم يشيران إلى تجربة الإنسان في النقص والكمال ، في الفشل والنجاح ، في الإحباط والتحقق) [1] .

وهكذا نجد أن شبه العلمانيين حول نفي سؤال الملكين في القبر وعذابه ونعيمه تعود إما : -

١- إلى ادعاء عدم وجود أدلة من القرآن أو السنة .

٢- أو وجود أدلة غير أنها تعارض القرآن ، ومن ثم يجب تقديم القرآن عليها .

٣- أو أنها تعارض ما تقرره الأدلة والبراهين العقلية ؛ ومن ثم فكل ما جاء من الأحاديث فهو قصص وأساطير شعبية .

---

(١) المرجع السابق (٤٧٧-٤٧٩) .

والجواب على هذه الشبه مايلي:-

أما الإدعاء بأنه لم يرد في هذه المسألة دليل قرآني صريح -كما يزعم الدكتور اسماعيل منصور- فادعاء باطل إذ أن عذاب القبر قد ثبت بآيات قرآنية كثيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : - (الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن وهو غلط بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن وبين النعيم والعذاب في البرزخ) [1]. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن أياته تستكبرون﴾ [2].

فقوله تعالى : ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ دليل على وقوع الجزاء عقب الموت مباشرة [3].

قال ابن حزم عن هذه الآية : (. . وهذا قبل القيامة بلا شك، وإثر الموت، وهذا هو عذاب القبر . .) [4].

قال البيهقي : (فحكم عليهم بضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم حين تتوفاهم وإن كنا لا نشاهده؛ وبما تقول لهم الملائكة عند الموت فهم باسطوا أيديهم وإن كنا لا نسمعه؛ وعلى آل فرعون بعرضهم على النار غدواً وعشياً ما دامت الدنيا وإن كنا لا نقف عليه) [5].

---

(١) ابن تيمية- الفتاوى (٤/ ٢٦٣).

(٢) الأنعام: ٩٣ .

(٣) انظر شيخ الإسلام-الفتاوى (٤/ ٢٦٧)، وانظر تفسير الرازي (١٣/ ٩٠) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٨١).

(٤) ابن حزم الفصل (٤/ ٦٧).

(٥) اثبات عذاب القبر وسؤال الملكين- الإمام البيهقي (ص٨٦).



وقال ابن حجر : (وهذا وإن كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة)[1] .

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى : ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾[2] ، وهي دليل ظاهر على وقوع العذاب في الحياة البرزخية قبل قيام الساعة .

قال ابن كثير : (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور)[3] .

وقال الرازي : - (فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة وذلك يدل على عذاب القبر في حق هؤلاء ، وإذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم لأنه لا قائل بالفرق)[4] .

ففي هذه الآية دليل على وقوع العذاب بآل فرعون في الدارين البرزخية والآخرة ، إذ العطف في قوله تعالى : ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقتضي المغايرة ؛ وإن ما قبل قيام الساعة عذاب آخر وليس ذلك سوى عذاب القبر[5] .

قال ابن حجر : « قال القرطبي : الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر » .[6]

---

(١) ابن حجر فتح الباري (٣/ ٢٣٣) .

(٢) غافر : (٤٥-٤٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٨١) ، وانظر شرح الطحاوية ٣٩٦ .

(٤) تفسير الرازي (٢٧/ ٧٤) .

(٥) انظر عبدالرحمن الإيجي -المواقف ٣٨٢ ، والتفتازاني في شرح المقاصد (٥/ ١١٣) ، والباقلاني في الإنصاف : ٥١ ، وجمال الدين الغزنوي أصول الدين (ص٢١٥) .

(٦) ابن حجر فتح الباري (٣/ ٢٣٣) .

ومن الأدلة القرآنية كذلك قوله تعالى في قوم نوح عليه السلام : ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ [(١)] .

ووجه الاستدلال في الآية أن (الفاء) في قوله (فأدخلوا) الأصل فيها أنها تفيد التعقيب المباشر بلا مهلة ، ولا قرينة صارفة عن هذا الظاهر ، فدل ذلك على أن قوم نوح قد أدخلوا العذاب بعد هلاكهم مباشرة وهذا العذاب إنما هو عذابهم في حياة البرزخ وقبل يوم القيامة [(٢)] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ [(٣)] ؛ وظاهر هذه الآية أن هذا العذاب إنما هو بعد الوفاة مباشرة .

وأما الآيات الدالة على النعيم في الحياة البرزخية فكقوله تعالى : ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ [(٤)] .

وكقوله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [(٥)] .

وذلك الجزاء إنما هو لهم بعد موتهم مباشرة وقبل يوم القيامة . قال ابن كثير : (يخبر الله تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون) [(٦)] .

---

(١) نوح : ٢٥ .

(٢) انظر سعد الدين التفتازاني- شرح المقاصد (٥/ ١١٣)

(٣) الأنفال : ٥٠ - ٥١

(٤) البقرة : ١٥٤

(٥) آل عمران : ١٦٩

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧) وانظر تفسير الرازي (٩/ ٨٩)

فهذه بعض الآيات الظاهرة في دلالتها على إثبات عذاب ونعيم القبر؛ فإذا ضم ظواهر هذه الآيات بعضها إلى بعض أفادت القطع والعلم اليقيني.

وأما محاولة تأويل هذه الآيات عن ظاهرها فتحريف مخالف للغة العربية التي نزل بها القرآن، وتلاعب بالآيات حسب الأهواء التي لا ضابط لها، ولا تلتزم بقواعد الفهم الصحيح الذي تقوم على تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسيره بالسنة الصحيحة إذ هي البيان لما أشكل من ألفاظه، أو تشابه من آياته، ثم تفسيره بلغة العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، وأعلم الناس بهذا القرآن ومعانيه هم الصحابة رضي الله عنهم الذين تلقوا القرآن وأخذوه عن النبي ﷺ بألفاظه ومعانيه؛ فقولهم مقدم على قول كل أحد ممن بعدهم.

وقد ثبت عنهم رضي الله عنهم أنهم فسروا هذه الآيات على ظاهرها؛ ولم يتأولوها على خلاف ما دلت عليه، فلا عبرة بتأويل من جاء بعدهم؛ بل ذلك من تحريف الكلم عن مواضعه تحريفاً معنوياً كما فعل المبطلون.

وأما الأحاديث التي أثبتت هذه العقيدة فكثيره جداً وقد ذكرنا في بداية المبحث طرفاً منها ونذكر الآن طرفاً آخر من هذه الأحاديث.

فمنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير» ثم قال «بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» ثم قال «أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» [1].

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (١/ ٣١٧ ح ٢١٦)، ومسلم في الإيمان باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٣/ ٢٥٧ح٢٩٢).

وعنه رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلم السورة من القرآن يقول قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[1] .

ومنها حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : (خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً ، فقال : يهود تعذب في قبورها)[2] .

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت علي عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور ، يعذبون في قبورهم . قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما ، فخرجتا ودخل علي رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم ، فقال : صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم ، ثم قالت فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»[3] .

وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال . اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد ، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بيني وبين

---

(١) مسلم (٥/ ١٢٤ ح٥٩٠) في المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر (٣/ ٢٤١ ح ١٣٧٥) ، ومسلم في صفة الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧/ ٢٩٥ ح٢٨٦٩) .

(٣) أخرجه مسلم في المساجد باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (٥/ ١١٩ ح٥٨٦) .

خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»[1].

ومنها حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى. قال فقال عمر: فو الذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ. قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض، وانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني الله حقاً. قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً»[2].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[3].

ومنها حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من

---

(١) رواه البخاري (١١/ ١٧٦ح ٦٣٦٨) في الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، وباب الاستعاذة من فتنة الغنى، وباب التعوذ من فتنة الفقر، ومسلم (٥/ ١٢١ ح٥٨٩) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر الفتن.

(٢) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (/ ٢٩٩ ١٧ح٢٨٧٣).

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٤٣ ح ١٣٧٩) في الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وفي بدء الخلق، وفي الرقاق، ومسلم (٤/ ٢٩٢ ح٢٨٦٦) في الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

عذاب القبر أو من عذاب النار» قال حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت. وفي رواية «وقه فتنة القبر وعذاب النار»[(١)].

ومنها حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمدلله لا إله إلا الله وحده لا شريك له» قال أراه قال فيهن «له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبور»، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً «أصبحنا وأصبح الملك لله»[(٢)].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[(٣)].

فهذه عشرة من الأحاديث الصحيحة التي أخرجها البخاري ومسلم عن ثمانية من الصحابة الكرام عن رسول الله ﷺ في مواضع مختلفة؛ فمنها ما هو من باب الأخبار عن عذاب القبر، ومنها ما هو من باب الأمر بالاستعاذة من ذلك العذاب في الصلاة على الميت؛ وكذا في أدبار الصلوات الخمس؛ وقد أجمع الفقهاء على استحباب هذه الاستعاذة ومشروعيتها؛ وكل هذا دليل على تواتر هذا الخبر تواتراً معنوياً، وهذه الأحاديث التي أوردناها هي بعض من الأحاديث الصحيحة الكثيرة في هذا الموضوع التي أفردها بعض

---

(١) أخرجه مسلم في الجنائز باب الدعاء للميت في الصلاة (٧/ ٤٣/ ٤٤ح٩٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (١٧/ ٦٥ ح٢٧٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥/ ١٢١ح٥٨٨).

العلماء بالتصنيف كما فعل الإمام البيهقي في كتابه (إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين)، ولا يمكن رد هذه الأخبار بأي حال من الأحوال أو التشكيك في ثبوتها عن النبي ﷺ إلا إذا جاز رد الأخبار التي جاءت في بيان عدد الصلوات والركعات وكيفياتها؛ وباقي فرائض الإسلام؛ إذ أن الذين نقلوا لنا هذه هم الذين نقلوا لنا تلك.

قال ابن القيم: (الأخبار الواردة في عذاب القبر والشفاعة والحوض، ورؤية الرب تعالى، وتكليمه عباده يوم القيامة، وأحاديث علوه سبحانه فوق سماواته على عرشه، وأحاديث آيات العرش، والأحاديث الواردة في إثبات المعاد، والجنة والنار، ونحو ذلك مما يعلم بالاضطرار أن رسول الله ﷺ جاء بها، كما يعلم بالاضطرار أنه جاء بالتوحيد وفرائض الإسلام وأركانه، وجاء بإثبات صفات الرب تبارك وتعالى، فإنه ما من باب من هذه الأبواب إلا وقد تواتر فيه المعنى المقصود عن النبي ﷺ تواتراً معنوياً، لنقل ذلك عنه بعبارات متنوعة، من وجوه متعددة، يمتنع في مثلها عادة التواطؤ على الكذب عمداً أو سهواً.

وإذا كانت العادة العامة والخاصة المعهودة من حال سلف الأمة وخلفها تمنع التواطؤ في الاتفاق على الكذب في هذه الأخبار، ويمتنع في العادة وقوع الغلط فيها، أفادت العلم اليقيني، فكل عالم بهذه الأحاديث، وطرقها ونقلها وتعددها، يعلم علماً يقينياً لا شك فيه، بل يجد نفسه مضطرة إلى ثبوتها أولا، وثبوت مخبرها ثانياً، ولا يمكن دفع هذين العلمين عن نفسه.

العلم الأول: - ينشأ من جهة معرفته بطرق الحديث وتعددها وتباين طرقها، واختلاف مخارجها، وامتناع التواطؤ زماناً ومكاناً على وضعها.

العلم الثاني: - ينشأ من إيمانه بالرسالة وأن الرسول صادق فيما يخبر به... ولهذا كان جميع أئمة الحديث الذين كان لهم لسان صدق في الأمة قاطعين بمضمون هذه الأحاديث، شاهدين بها على رسول الله ﷺ، جازمين بأن من كفر بها أو أنكر مضمونها فهو كافر...

وإذا كان أهل أهل الحديث عالمين بأن رسول الله ﷺ قال هذه الأخبار، وحدث بها في الأماكن والأوقات المتعددة، وعلمهم بذلك ضروري، لم يكن قول من لا عناية له بالسنة والحديث : (إن هذه أخبار آحاد لا تفيد العلم) مقبولاً . .)[1].

والإخبار عن سؤال الملكين للميت في قبره، والنعيم والعذاب في القبور ثابت في القرآن والأحاديث الصحيحة -التي يحاول المشككون ردها بحجة أنها أحاديث أحاد- والقرآن والخبر الصحيح شيء واحد؛ كما قال ابن حزم رحمه الله : (والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهما شيء واحد، في باب وجوب الطاعة لهما؛ قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[2]،[3].

ولو لم يكن في أحاديث عذاب القبر ونعيمه سوى أنها ثبتت في الصحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول[4] لكان ذلك كافياً في إثباتها، كيف وقد أوردها أصحاب السنن والمسانيد وغيرهم من أهل الحديث رحمهم الله جميعاً من طرق كثيرة تبلغ حد التواتر.

وقال السيوطي في ذكر الأحاديث الواردة في عذاب القبر : (وقد تواترت الأحاديث بذلك مؤكدة، من رواية أنس، والبراء، وتميم الداري، وبشير بن الكمال، وثوبان، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن رواحة، وعبادة بن الصامت، وحذيفة، وضمرة بن حبيب، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن

---

(١) محمد بن الموصلي- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (٢/ ٣٥٥-٣٦٣) مكتبة الرياض الحديثة السعودية بتصرف.

(١) الحجر : ٩ .

(٣) ابن حزم الأندلسي الأحكام في أصول الأحكام (١/ ٩٨) تحقيق احسان عباس.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن). الفتاوى(١٨/ ٧٤).

العاص، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، وأبي رافع، وأبي سعيد الخدري، وأبي قتادة، وأبي هريرة، وأبي موسى، وأسماء، وعائشة، رضي الله عنهم أجمعين)[1]؛ ثم ساق ألفاظ حديث كل واحد منهم وأكثرها في الصحيحين، والسنن.

ولا يشكك في مثل هذه الأحاديث إلا جاهل، ولا يطعن بأهل الحديث الذين رووها إلا زنديق؛ قال الإمام أحمد وقد ذكر عنده رجل يطعن في أهل الحديث فقال: (زنديق، زنديق، زنديق) ونفض يده[2]؛ إذ أن الذين نقلوا هذه الأحاديث هم الذين نقلوا لنا القرآن؛ وأحكام الشريعة كلها، فمن طعن بهم واتهمهم جميعاً بعدم الأمانة فقد قطع الطريق بيننا وبين رسول الله ﷺ، إذ هم الواسطة الذين حفظ الله بهم الدين.

وأما دعوى أن هذه الأحاديث تعارض ظاهر القرآن فدعوى باطلة، بل هي موافقة لما جاء في القرآن؛ ومبينة له، ولهذا لم يظهر هذا التعارض لسلف الأمة وعلمائها الذين عنوا ببيان النصوص؛ وجمع ما تعارض منها في ظاهره، ولو وجدوا تعارضاً لتكلموا عليه، فلما لم يكن شيء من ذلك ثبت أن دعوى التعارض إنما هي أوهام وخيالات يدعيها من هو في العربية كالأعجمي والعامي، وليس لمثل هذا أن يتكلم في هذا الباب، وكيف يدَّعى التعارض بين هذه الأحاديث والآيات القرآنية والصحابة رضي الله عنهم يستدلون بها على تفسير هذه الآيات مما يدل على تطابقها وعدم معارضتها للنصوص القرآنية.

---

(١) جلال الدين السيوطي شرح الصدور (ص١٥٩) وانظر عبدالغني المقدسي الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٧٢-١٧٤).

(٢) قال أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة). انظر المنتقى من منهاج الاعتدال محمد بن عثمان الذهبي ص ١٠.

وأما دعوى معارضة عذاب القبر ونعيمه للمعقول فالجواب عليه من وجوه:-

الأول:- أن هذه المسألة هي من قضايا الغيب التي لا يمكن أن تدركها الحواس وإنما الطريق إلى إدراكها هو الطريق إلى معرفة ما وراء المادة كوجود الله عز وجل وملائكته واليوم الآخر والجنة والنار، وقطب الرحى في هذه الأمور قائم على تصديق الرسول بما أخبر به من قضايا الغيب؛ فمن آمن بنزول الملك والوحي من السماء على النبي ﷺ؛ لزمه الإيمان بكل ما أخبر به إذ الجميع من باب واحد، هو الباب الذي جعله الله أول طريق للإيمان وأخص وصف للمؤمنين حيث قال عز وجل :- ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾ [(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :- (وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب... ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار..) [(٢)].

الثاني:- أن هذه العقيدة يثبتها عامة المتكلمين وأكثر المعتزلة؛ فقد قال القاضي عبدالجبار المعتزلي عن عذاب القبر: (أما ثبوته يدل عليه: قوله تعالى: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾ فالفاء للتعقيب من غير مهلة؛ وإدخال النار لا وجه له إلا التعذيب، وذلك في القبر عقب الموت كما تفيده الفاء...) [(٣)].

ومعلوم مدى غلو المعتزلة في تقديس العقل؛ خاصة في باب الاعتقاد فلو كان إثبات عذاب القبر فيه شبهة تعارض مع المعقول لبادروا إلى إنكاره؛ فدل ذلك على أن هذه المسألة هي من الممكنات والجائزات العقلية باتفاق أصحاب المدرسة النقلية والعقلية.

---

(١) البقرة: ٢ - ٣

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٢٣٣).

(٣) عبدالجبار بن أحمد- شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٠) تحقيق عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة مصر.

الثالث:- أن ما يقع في القبر من نعيم أو عذاب إنما هو في الحياة البرزخية ؛ ولا تستطيع قدرات الإنسان في الحياة الدنيا أن ترى أو تحس بما يجري خارج نطاق قدراتها في هذه الدنيا فضلاً عن الحياة البرزخية فهي عاجزة عن رؤية الروح وإدراك حقيقتها ، وعاجزة عن رؤية الذرة والميكروبات التي قد تقضي على الإنسان ؛ ومع ذلك لا يستطيع بحواسه الطبيعية أن يدركها فمن باب أولى ما وراء ذلك .

قال الغزالي : - (إن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت ، أما ترى أن الصحابة رضوان الله عليهم كيف كانوا يؤمنون بنزول الوحي وما كانوا يشاهدونه ؛ ويؤمنون بأنه صلى الله عليه وسلم يشاهده ، فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة ؛ والوحي أهم عليك ؛ وإن كنت آمنت به ، وجوزت أن يشاهد النبي ﷺ ما لا تشاهده الأمة فكيف لا يجوز هذا في الميت) [1] .

وقال البيهقي : - (وفي كل ذلك دلالة لمن آمن بالله ورسوله محمد ﷺ على جواز تعذيب من انتقضت بنيته في رؤيتنا أو صار رميماً في أعيننا عذاباً يسمعه من أراد الله سبحانه أن يسمعه دون من لم يرد ، ويشاهده من أراد الله تعالى أن يشاهده دون من لم يرده فقد سمع رسول الله ﷺ أصوات من يعذب منهم ولم يسمعها من كان معه من أصحابه ، ورأى حين صلى صلاة الخسوف من يجر قصبه في النار ، ومن يعذب في السرقة ، والمرأة التي كانت تعذب في الهرة وقد صاروا في قبورهم رميماً في أعين أهل زمانه ، ولم ير من صلى معه من ذلك ما رأى ، وقد رأى رسول الله ﷺ في خبر صحيح عنه في منامه -ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحي- جماعة يعذبون في مواضع متفرقة في جرائم مختلفة ولعلهم صاروا رميماً في قبورهم في أعيننا) [2] .

---

(١) الإمام الغزالي-إحياء علوم الدين (٤/ ٥٠٠) دار المعرفة بيروت .

(٢) الإمام البيهقي إثبات عذاب القبر (٩٧-٩٨) .



في قبورهم في أعيننا) [٢].

الرابع:- أنه إذا كانت العقول لا تحيل بقاء الحياة مع الاحتراق بالنار كما هو حال أهل النار يوم القيامة -وهذا مجمع عليه- فكذلك لا يمكن للعقول أن تحيل عذاب ونعيم القبر للميت؛ بل الكل في دائرة الممكنات العقلية لا المستحيلات.

قال الإمام ابن جرير الطبري في رده على من أنكر عذاب القبر ونعيمه: « أفشاهدتم جسماً حياً له حياة لا تفارقه الحياة بالاحتراق بالنار؟ فإن زعموا أنهم قد شاهدوا ذلك وعاينوه، أكذبتهم المشاهدة مع ادعائهم ما لا يخفى كذبهم فيه.

وإن زعموا أنهم لم يعاينوا ذلك ولم يشاهدوه. قيل لهم: أفتقرون بأن ذلك كائن، أم تنكرونه؟ فإن زعموا أنهم ينكرونه خرجوا من ملة الإسلام بتكذيبهم محكم القرآن. وذلك أن الله تعالى ذكره قال فيه: ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ [١]. فإن قالوا: بل نقر بأن ذلك كائن.

قيل لهم: فما أنكرتم من جواز وجود العلم وحس الألم واللذة مع فقد الحياة؟ وإن لم تكونوا شاهدتم ولا عاينتم عالماً ولا حاساً إلا حيا له حياة، كما جاز عندكم وجود الحياة في جسم تحرقه النار، وإن لم تكونوا عاينتم جسماً تتعاقبه الحياة مع احتراقه بالنار.

فإن قالوا: إنما أجزنا ما أجزنا من بقاء الحياة في الجسم الذي تحرقه النار في حال إحراقه النار، تصديقاً منا بخبر الله -جل ثناؤه.

قيل لهم: فصدقتم بخبر الله -جل ثناؤه- بما هو ممكن في العقول كونه أو بما هو غير ممكن فيها كونه؟

---

(١) ابن جرير الطبري- التبصير في معالم الدين- (٢١٠-٢١١).

فإن زعموا أنه -تعالى ذكره- أخبر من ذلك بما تصدقه العقول. قيل لهم: فإذ كان خبره بذلك خبراً يصدقه العقل -وإن لم تكونوا عاينتم مثله- فأجيزوا كذلك أن عذاب الله -تعالى ذكره- ألماً ولذة وعلماً في جسم لا حياة فيه، وإن لم تكونوا عاينتم مثله فيما شاهدتم، ولا صح بذلك عندكم خبر عن الله -تعالى ذكره- أو عن رسوله ﷺ، كما كان غير محال عندكم في العقل وجود الحياة في جسم قد أحرقته النار قبل مجيء الخبر به.

وإن كان الخبر قد حقق صحة كون ذلك حتى يصح به عندكم خبر من الله أو من رسوله عليه الصلاة والسلام [1].

والقول في سؤال الملكين وفتنة منكر ونكير كالقول في عذاب القبر ونعيمه، إذ هو منه وداخل في بابه ودليله.

قال ابن جرير في الرد على من أنكر ذلك: - (والمسألة على من أنكر منكراً ونكيراً... كالمسألة على من أنكر عذاب القبر سواء، لأن علتهم في جميع إنكار ذلك علة واحدة، وعلتنا في الإيمان بجميعه والتصديق به علة واحدة، وهو تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ به، مع جوازه في العقل وصحته فيه، وذلك أن الحياة معنى، والآلام واللذات والعلوم معان غيره. وغير مستحيل وجود الحياة مع فقد هذه المعاني، ووجود هذه المعاني مع فقد الحياة لا فرق بين ذلك) [2].

الخامس:- أنه لولا وجود مثل هذه العقائد التي تحار فيها العقول لما تحققت الحكمة من الابتلاء بالإيمان بالغيب؛ ولا معنى للإيمان بالغيب إلا تسليم العقول لما جاء به الرسول ﷺ وإن عجزت عن إدراكه.

---

(١) ابن جرير الطبري- التبصير في معالم الدين- (٢١٠-٢١١).

(٢) المرجع السابق (٢١٢-٢١٣) بتصرف.

قال ابن القيم : - (إن الله تعالى جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً ، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته ، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم . . فإن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وخضرتها ، وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها ، وهي أشد من نار الدنيا ، فلا يحس بها أهل الدنيا . . وقدرة الرب أوسع وأعجب من ذلك . . . وسر المسألة أن هذه التوسعة والضيق ، والإضاءة والخضرة والنار ، ليس من جنس المعهود في هذا العالم ، والله سبحانه إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها ، فأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الإقرار به والإيمان به سبباً لسعادتهم ؛ فإذا كشف عنهم الغطاء صار عياناً مشاهداً .

فلو كان الميت بين الناس موضوعاً لم يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك ، ويجيبهما من غير أن يسمعوا كلامه ، ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه ، وهذا الواحد منا ينام إلى جنب صاحبه ، فيعذب في النوم ويضرب ويألم ، وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة . . . ومن غير الممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب ، والغريق ، والمحروق ، ونحن لا نشعر بها ، لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود ، فهذا المغمى عليه ، والمسكوت ، والمبهوت ، أحياء وأرواحهم معهم ، ولا يشعر بحياتهم ، ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع علي من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء ، وقربة على تباعد ما بينها وقربه ، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة . .)[1] .

وكل ما سبق من أدلة قرآنية ظاهرة في دلالتها ، وأحاديث صحيحة متواترة قطعية في دلالتها ؛ وأدلة عقلية تثبت إمكانية وقوع ذلك كاف في نقض شبه المشككين في هذه العقيدة .

---

(١) ابن القيم الروح (ص١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ بتصرف .

وأما ما أثاره الدكتور حسن حنفي من شبه فرعية فالجواب عليها يسير؛ وهي من فرع عن أصل إذا نقض انتقض ما بنى عليه من أساسه، وإذا كان الدكتور لم يستطع إقامة الأدلة على استحالة وقوع عذاب ونعيم القبر؛ وإذا ثبت أن ذلك في دائرة الممكنات فالبحث في كيفية هذا العذاب أو ذلك النعيم هو بحث في قضية غيبية لا ينبغي الخلاف في أن الطريق إلى معرفتها هو النقل وحده؛ وليس للحواس ولا للعقل قدرة على الوصول إلى حقائق ما يجري في عالم البرزخ.

ومع ذلك فالجواب على شبهه مايلي:-

الأول:- إما دعواه وتشكيكه في نطق أجزاء وأعضاء الميت؛ فقد ثبت بالأدلة القرآنية أن الله عز وجل ينطق الجوارح يوم القيامة فتشهد على صاحبها كما قال تعالى: - ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (٢)

فإذا ثبت أن الأعضاء تنطق في الدار الآخرة بقدرة الله عز وجل؛ فلا مانع من أن تنطق أعضاء الميت في الحياة البرزخية؛ وليس أمام الدكتور من سبيل إلى نفي إمكانية ذلك إلا أن يدعي الاستحالة؛ وينفي وقوع ذلك يوم القيامة؛ وما هو بقادر.

الثاني:- وأما دعواه أنه لا فائدة من السؤال ما دام الجواب معروفاً مسبقاً فجوابه: أنه ما دام جائز توجيه السؤال له يوم القيامة مع أن الجواب معروف -وهذا ثابت بالأدلة القطعية من القرآن والسنة ومعلوم من دين الإسلام بالضرورة القطعية- فكذلك جائز توجيه السؤال له في الحياة البرزخية.

وإنما المقصود بالسؤال هو تقريعهم، وأن يشهدوا على أنفسهم بما كانوا يصنعون، وأن الله ليس بظلام للعبيد.

---

(١) سورة يس: ٦٥.

(٢) سورة النور: ٢٤.

الثالث:- وأما ادعاؤه أن السؤال فيه محاباة للمؤمنين وتحيز ضد الكافرين وهو كما يزعم ينافي أبسط قواعد العدل ؛ فجوابه : أنها دعوى بلا دليل ؛ كما هي أكثر شبهه التي يثيرها في أحيان كثيرة حول بعض الجزئيات التي لم تثبت أصلاً عن الشارع .

وإلا فقد ثبت بالأدلة الصحيحة أن المؤمن يفتن في قبره وأن من أعظم ما يفتن به المؤمن سؤال الملكين ، وإنما ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ .

وهذا هو العدل المطلق ، فكما ثبت المؤمنون بتصديقهم واتباعهم للرسول ﷺ في الدنيا فإن جزاءهم العدل أن يثبتهم الله في الآخرة إذ الجزاء من جنس العمل ؛ وكما ضل الكافرون عن الإيمان وما جاء به الرسول ﷺ في الحياة الدنيا فقد أضلهم الله تعالى في الآخرة جزاء وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً .

بل ويمكن القول أن تثبيت المؤمن هو من باب الإكرام له ، وتعنيف الكافر هو من باب الإهانة وليس في الأمر محاباة ولا تحيز كما يزعم الدكتور حنفي ؛ وإنما الظلم لو ساوى الله عز وجل بين هؤلاء وهؤلاء جل وعلا عن ذلك ؛ قال تعالى : ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ (2) .

ويدخل في مثل هذه الدعاوى التي يثيرها الدكتور حنفي : زعمه أن الكافرين يسألون بأسئلة غامضة غير واضحة ، بينما توجه الأسئلة السهلة الواضحة للمؤمنين؟!!

---

(1) القلم : ٣٥، ٣٦

(2) ص : ٢٨

وكل هذا الأسلوب التشكيكي لا يقوم على أساس علمي وإنما هو من خلط الحق بالباطل، والتلبيس على القراء ورد الصحيح بالضعيف؛ فيأتي الدكتور حنفي للمسائل التي تروى بالأحاديث الضعيفة بل والموضوعة المكذوبة والقصص الإسرائيلية التي يوردها بعض العلماء المتأخرون دون تمحيص فيثير حولها الشك ليتوصل بذلك إلى إبطال ما هو ثابت بالأدلة الصريحة الصحيحة، وهذا مما ينافي المنهج العلمي الذي يقوم على تمييز الصحيح الثابت عن الضعيف والباطل؛ ثم الحكم على كل بما يستحقه؛ وإعطاء كل منها حظه من الدراسة والنظر، وهذا ما لم يلتزم به حسن حنفي، فنبذ أبسط قواعد العدل وراءه ظهرياً.

الرابع:- وأما زعمه بأنه لا يوجد في هذه المسألة أدلة صحيحة لا متواترة، ولا أخبار آحاد؟!! وأنه ليس فيها سوى أحاديث ضعيفة وأساطير شعبية!! فهذا أوضح دليل على حيدة الكاتب عن المنهج العلمي؛ بل والمنهج الأخلاقي في العلم الذي يقوم على الصدق والأمانة في النقل، إذ لا يخفى على مثله ما أجمعت عليه كتب المتكلمين، فضلاً عن المحدثين من أن الأحاديث في هذه المسألة بلغت حد التواتر، حيث تجاوزت الأحاديث في هذه المسألة أربعين حديثاً منها أكثر من عشرة أحاديث في صحيحي البخاري ومسلم، وهذا لا يخفى على من له أدنى نظر في كتب المتكلمين -ومنهم المعتزلة- الذي لم يجد القاضي عبدالجبار وهو أحد أئمتهم مناصاً من إثبات هذه المسألة والاستدلال لها بالقرآن والسنة الصحيحة؛ بل ونقله على أنه قول للمعتزلة إلا من شذ منهم.. فكيف غاب ذلك كله على الأستاذ الأكاديمي حتى لم يجد سوى الأحاديث الضعيفة والأساطير الشعبية ليتوصل بذلك إلى النتيجة التي يريدها هو؛ لا التي يوصل إليها البحث العلمي والدراسة المنهجية الصحيحة.

الخامس:- وأما تساؤلات الكاتب عن كيفية حصول العذاب أو النعيم للأجساد التي في بطون السباع، أو أكلتها النيران، أو طواها اليم... الخ؛ فمع أنه سبق نقض هذه الشبهة في مبحث تعلق الأرواح في الأبدان، إلا أنا نضيف هنا: بأنه لا مانع من القول بالاستثناء في

بعض الصور ؛ ويكون البحث وتكون الأدلة في إثبات أصل المسألة ؛ والصورة الطبيعية ، وهي في حالة ما إذا دفن الميت في قبره في الوضع المعتاد ، إذ الأحاديث الواردة هي في عذاب القبر ونعيمه . وعدم وجود نصوص في الصور الاستثنائية كمن أكلته السباع ونحو ذلك لا يمكن أن تكون دليلاً لنقض ما ثبت من الأدلة الصحيحة في الصورة الطبيعية ؛ فأقصى ما يمكن قوله : أن هذه صور لم يرد فيها نص قطعي ؛ وتبقى في دائرة علم الغيب الذي لم يطلعنا الله عز وجل عليه وكما قال تعالى : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (١) على أننا نقطع بأن أرواح هؤلاء هي كأرواح غيرهم في نعيم أو عذاب في الحياة البرزخية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الأبدان التي في القبور تنعم وتعذب إذا شاء الله ذلك كما يشاء ، وإن الأرواح باقية بعد مفارقة البدن ومنعمة ومعذبة . . . . ولكن لا يجب ذلك أن يكون دائماً على البدن في كل وقت ؛ بل يجوز أن يكون في حال دون حال) (٢) .

وقال أيضاً : (العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، ويكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين ، كما يكون للروح منفردة عن البدن) (٣) .

السادس: احتجاج الدكتور على نفي عذاب القبر بعدم رؤية أحد لذلك ممن قاموا بنبش القبور ، فحجة داحضة إذ أن حياة البرزخ هي عالم آخر ليس من جنس هذه الحياة ، ولا تقاس عليها إذ أن هذا قياس للغائب على الشاهد ؛ وهذا فيه تكذيب للرسل عليهم السلام ، وهو

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

(٢) ابن تيمية : الفتاوى (٤/ ٢٩٦)

(٣) المرجع السابق (٤/ ٢٨٢) ، وانظر شرح الجرجاني على مواقف الإيجي (٧/ ٣١٨) ط الأولى ١٩٠٧ مطبعة السعادة مصر .

محض جهل وضلال [1]، وإذا كان النائم في حضرة أهله يرى الرؤيا فيتألم أشد الألم في نومه دون أن يشعر به أحد منهم؛ وربما قام فزعاً لشدة ما رآه من الأهوال في منامه فمن باب أولى أن يحدث ذلك لمن هو في قبره دون أن يشعر به أحد.

قال ابن أبي العز الحنفي: - (ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها. بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه. وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً. وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير. وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو اطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في (الصحيح) عنه ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر» [2]. ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته) [3].

وليس كل ما لم يكن في دائرة المحسوس يجوز لنا نفيه، وعدم رؤية الشيء لا يصلح دليلاً على عدم وجوده [4]؛ كيف وقد ثبت بالأدلة الصحيحة أن النبي ﷺ قد سمع ما يجري لبعض

(١) انظر في هذا فتح الباري (٣/ ٢٣٥)، شرح لمعة الاعتقاد (١١٣).

(٢) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧/ ٢٩٥ ح ٢٨٦٨) عن أبي سعيد به.

(٣) ابن أبي العز شرح الطحاوية (٤٠٠-٤٠١)

(٤) انظر الروح لابن القيم ١٩٦ وفتح الباري (٣/ ٢٣٥)، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٢٩).



الموتى في قبورهم فأخبر عن ذلك كما في الأحاديث الصحيحة عند البخاري ومسلم وغيرهما؛ بل لقد انكشف ذلك لكثير ممن يباشرون دفن الموتى في قبورهم (حتى سمعوا صوت المعذبين في قبورهم، ورأوهم بعيونهم يعذبون في قبورهم في آثار كثيرة معروفة)[1].

وقال الآمدي : (فمن أدرك بعقله حال النائم في منامه وما يناله من اللذات والتألمات بسبب ما يشاهده من حسن وقبيح، مع ما هو عليه من سكون ظاهر جسمه وخمود جوارحه، بل وكذا حال المحموم، والمريض في حالة انغماره، لم يتقاصر فهمه عن إدراك عذاب القبر ونعيمه. ولا فرق في ذلك بين أن تكون أجزاء البدن مجتمعة أو مفرقة، فإن من أسكنه الألم في حالة الاجتماع قادر أن يسكنه ذلك في حالة الافتراق، وذلك لا يستدعي أن يكون محسوساً ولا مشاهداً، وعلى هذا يخرج استبعاد سؤاله وجوابه أيضاً)[2].

فادعاء الدكتور حنفي بأنه لم يوجد أحد اطلع على ذلك دعوى عريضة لا يصلح التشبث بها في مثل هذه المواطن العلمية؛ وليس دعوى من نفى الاطلاع بأولى من دعوى من أثبت اطلاعه وسماعه لأصوات بعض الموتى في قبورهم!! فكيف إذا أقر الشارع وأكد صحة دعوى من ادعى أنه سمع أصوات بعض الموتى في قبورهم؟!

وأما النتيجة التي توصل إليها الدكتور من أن العذاب إنما هو ما يشعر به الإنسان من تأنيب الضمير في هذه الحياة، وإن النعيم هو ما يشعر به من سعادة... فقول باطل بإجماع أهل الإسلام من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين؛ وإنما هو نتيجة باطلة لمقدمات باطلة توصل إليه الكاتب قبل أن يخوض غمار هذه الدراسة فما زال يمهد لها بالمقدمات والشبه الآخذ بعضها بأعناق بعض ليصل إلى النتيجة التي أرادها مسبقاً.

---

(١) ابن تيمية -الفتاوى : (٤/ ٢٩٦).

(٢) سيف الدين الآمدي- غاية المرام في علم الكلام (ص٣٠٤) تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ط ١٩٧١، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة.

الباب الثالث

اليوم الآخر وشبهات العلمانيين

الفصل الأول: القيامة وأهوالها

المبحث الأول: النفخ في الصور

المبحث الثاني: بعث الأجساد

المبحث الثالث: الحشر

المبحث الرابع: الفصل والحساب

المبحث الخامس: الميزان والصحف

المبحث السادس: الصراط

المبحث السابع: الحوض

المبحـــث الأول

النفخ فـــي الصور

المبحث الأول

النفخ في الصور

تعريف الصور:

قال الحافظ ابن حجر : (الصور -بضم المهملة وسكون الواو- ثبت كذلك في القراءات المشهورة والأحاديث . وذكر عن الحسن البصري أنه قرأها بفتح الواو : جمع صورة ، وتأوله على أن المراد النفخ في الأجساد لتعاد إليها الأرواح .

وقال أبوعبيدة في (المجاز) : يقال الصور -يعني بسكون الواو- : جمع صورة ، كما يقال : سور المدينة جمع سورة قال الحافظ : (وحكى مثله الطبري عن قوم وزاد : كالصوف جمع صوفة ، قالوا : والمراد النفخ في الصور ، وهي الأجساد لتعاد فيها الأرواح ، كما قال تعالى : ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [(1)].

وتعقب قوله : جمع ، بأن هذه أسماء أجناس لا جموع . وبالغ النحاس وغيره في الرد على هذا التأويل ، وقال الأزهري : إنه خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة) [(2)].

قال الحافظ : (والثابت في الحديث أن الصور قرن ينفخ فيه ، وهو واحد لا اسم جمع) [(3)].

---

(١) الحجر : ٢٩

(٢) ابن حجر فتح الباري (١١/ ٣٦٧) وانظر التذكرة للقرطبي (١/ ٢٨٤)

(٣) المرجع السابق (٨/ ٢٨٩)

وقال ابن كثير : - (والصحيح أن المراد بالصور : القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام) [1] .

وهو قول الإمام أحمد قبله [2] وعلى هذا عقيدة أهل السنة والجماعة .

قال الألوسي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ثم نفخ فيه أخرى . . .﴾ [3] : (. . ظاهر في أن الصور ليس جمع صورة ، وإلا لقال سبحانه (فيها) بدل (فيه) ، وارتكاب التأويل يجعل الكلام من باب التمثيل ظاهر في إنكار أن يكون هناك صور حقيقة ؛ وهو خلاف ما نطقت به الأحاديث الصحاح . . .

وقد قال أبو الهيثم -على ما نقل عنه القرطبي في تفسيره : من انكر ان يكون الصور قرناً ، فهو كمن أنكر العرش والصراط والميزان ، وطلب لها تأويلات) [4] .

وقد ورد ذكر الصور في القرآن في آيات كثيرة ، كما في قوله تعالى : ﴿قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ [8] الآية وقال جل وعلا : ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً﴾ [5] وقال جل وعلا : ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ [6] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ [7] . .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٤٦).

(٢) انظر طبقات الحنابلة في رسالته لمسدد بن مسرهد (١/ ٣٤٤) ورسالة الاصطخري في الطبقات (١/ ٢٧)، وانظر السنة للإمام أحمد ضمن شذرات البلاتين (ص٤٧).

(٣) الزمر : ٦٨ .

(٤) محمود الألوسي روح المعاني (٢٠/ ٣٠) دار إحياء التراث العربي لبنان ، وانظر التذكرة للقرطبي (١/ ٢٨٨).

(٥) الأنعام : ٧٣

(٦) الكهف : ٩٩

(٦) طه : ١٠٢

(٧) المؤمنون : ١٠١

وقال تعالى : ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد﴾ (٤) ، وقال جل جلاله : ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ (٥) ، وقال جل ذكره : ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ (٦) .

وقد ورد ذكر الصور في السنة الصحيحة كما في حديث عبدالله بن عمرو الطويل في علامات الساعة وفي آخره : « . . ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتا قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال : فيصعق ويصعق الناس ، ثم يرسل الله أو قال : ينزل مطراً كأنه الطل -أو قال الظل- فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم قال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ، وقفوهم إنهم مسؤولون ، ثم يقال : اخرجوا بعث النار ، فيقال : من كم؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك يوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق . . . » (٧) .

---

(١) النمل : ٨٧ .

(٢) يس : ٥١ .

(٣) الزمر : ٦٨ .

(٤) ق : ٥٠ .

(٥) الحاقة : ٦٩ .

(٦) النبأ : ٧٨ .

(٧) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب خروج الدجال (١٨/ ٩٩ ح ٢٩٤٠) .

قال النووي : (أصغى ليتا ورفع ليتا -الليت- بكسر اللام : صفحة العنق وهي جانبه ، وأصغى مال عنقه ليستمع جيداً من السماء ، والطل أي كمنيّ الرجال)[1].

ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور؟ فقال قرن ينفخ فيه»[2].

وعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه ، فقال : لا والذي اصطفى موسى على البشر ، فسمعه رجل من الأنصار ؛ فقام فلطم وجهه وقال : - تقول : والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال : يا أبا القاسم : إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال : لم لطمت وجهه؟ فذكره ، فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه ثم قال : «لا تفضلوا بين أولياء الله ، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث ، فإذا موسى آخذ بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي)[3].

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة ، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش ، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة»[4].

---

(١) النووي على شرح مسلم (١٨/ ١٠١) بتصرف ، وانظر ابن كثير (٣/ ٣٧٧) (يوم يكشف عن ساق).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٦٢ ، ١٩٢) ، وأبوداود في السنة باب ما جاء في البعث والصور (٤/ ٢٣٦ ح ٤٧٤٢) ، والترمذي فيما جاء في الصور (٤/ ٦٢٠ ح ٢٤٣٠) ، وقال حديث حسن والدارمي في كتاب الرقائق باب في نفخ الصور (٢/ ٤١٨ح٢٧٩٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٦ ، ٥٠٦ ، ٤/ ٥٦٠) ، وصحح إسناده ووافقه الذهبي ؛ وصححه الألباني في الصحيحه (٣/ ٦٨ح١٠٨٠).

(٣) البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ وإن يونس لمن المرسلين﴾ (٦/ ٤٥٠ ح ٣٤١٤) ، ومسلم في الفضائل باب ومن فضائل موسى عليه السلام (١٥/ ١٨٨ ح ٢٣٧٣).

(٤) البخاري كتاب التفسير باب ونفخ في الصور (٨/ ٥٥١ ح ٤٨١٣) ، وانظر الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٦١).

ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه ، وأصغى سمعه ، وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر ، فقالوا : يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل»[(١)] .

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على عقيدة النفخ في الصور كما ذكر ذلك عنهم الإمام الأشعري حيث قال : (وأجمعوا . . على أنه ينفخ في الصور قبل يوم القيامة ، ويصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)[(٢)] .

❖ **الاختلاف في عدد النفخات:-**

اختلف العلماء في عدد نفخات الصور ، فمنهم من يرى أنها ثلاث نفخات ؛ ومنهم من يرى أنها نفختان فقط .

قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين﴾[(٣)] ، (اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى : ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ ، . . عن أبي هريرة أنه قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ما الصور؟ قال : قرن ينفخ فيه ، قال : وكيف هو؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيامة لله رب العالمين . .»[(٤)] .

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٧ ، ٧٣) ، والترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور (٤/ ٦٦٠ح٢٤٣١) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٩) ، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٩٥ح ٨٢٠ الاحسان) ، وله شواهد ذكرها الألباني في الصحيحة (ح ١٠٧٩) .

(٢) أبو الحسن الأشعري رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص١٦٠-١٦١) ، وانظر الإيمان لابن مندة (٣/ ٩٣٧-٩٤٠) ، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٦١-١٦٥) .

(٣) النمل : ٨٧

(٤) جامع البيان للطبري (١٠/ ١٣-١٤) ط الرابعة ١٩٨٠ دار المعرفة بيروت .

وإلى هذا يميل ابن كثير رحمه الله حيث يقول :- (النفخات في الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث) (1).

وقال ابن تيمية رحمه الله : (والقرآن قد أخبر بثلاث نفخات : نفخة الفزع ذكرها في سورة النمل في قوله : ﴿ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾.

ونفخة الصعق والقيام ذكرهما في قوله : ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾)(2).

وقال الشوكاني : (والنفخات في الصور ثلاث : الأولى : نفخة الفزع، والثانية : نفخة الصعق، والثالثة : نفخة البعث. . . ، وقيل إنها نفختان، وإن نفخة الفزع إما أن تكون راجعة إلى نفخة الصعق أو إلى نفخة البعث، واختار هذا القشيري والقرطبي وغيرهما، وقال الماوردي : هذه النفخة المذكورة هنا يوم النشور من القبور ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ أي خافوا وانزعجوا لشدة ما سمعوا) (3).

ويذهب الإمام القرطبي إلى أنهما نفختان (. . . ونفخة الفزع هي نفخة الصعق، لأن الأمرين لازمان لها أي فزعوا فزعاً ماتوا منه، والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبي هريرة وحديث عبدالله بن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى، قال الله تعالى : ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع ؛ فدل على أنهما واحدة. . .) (4).

---

١) ابن كثير النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٧٩) تحقيق محمد أحمد دار التراث الإسلامي مصر.

(٢) الفتاوى (٤/ ٢٦٠-٢٦١) وانظر فتح الباري (١١/ ٣٦٩)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٦١).

(٣) محمد بن علي الشوكاني فتح القدير (٤/ ١٥٤-١٥٥) طبعة البابي الحلبي مصر، وانظر التفسير الكبير للرازي (٢٧/ ١٩)، وروح المعاني للألوسي (٢٠/ ٣١)، وأبو البركات عبدالله النسفي- تفسير النسفي (٤/ ٦٦) نشر عيسى الحلبي مصر.

(٤) القرطبي- التذكرة (١/ ٢٨٧).

وإلى ذلك يذهب الحافظ ابن حجر فقد قال راداً على ابن حزم: (زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع:

الأولى: نفخة إماتة يموت فيها من بقي حياً في الأرض.

والثانية: نفخة إحياء يقوم بها كل ميت، وينشرون من القبور، ويجمعون للحساب.

والثالثة: نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد.

والرابعة: نفخة إفاقة من ذلك الغشي...

وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعاً ليس بواضح، بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدة منها باعتبار من يستمعها، فالأولى يموت بها كل من كان حياً، ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله، والثانية يعيش بها من مات، ويفيق بها من غشي عليه والله أعلم)[1].

وهذا الذي ذهب إليه القرطبي وابن حجر وغيرهما من علماء الإسلام هو الذي تؤيده الآيات والأحاديث الصحيحة، فالظاهر من الأدلة أنهما نفختان كما صرحت الأدلة القرآنية والنبوية؛ وقد ورد كذلك أن ما بين النفختين أربعون كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قال: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت [2].

قال ابن حجر: (قوله: أبيت بموحدة أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي في ذلك توقيف) [3].

(١) ابن حجر فتح الباري (٦/ ٤٤٦) وانظر رده على ابن العربي في قوله أنها ثلاث نفخات في (١١/ ٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب ونفخ في الصور (٨/ ٥٥١ح ٤٨١٤).

(٣) فتح الباري (٨/ ٥٥٢) وانظر (١١/ ٣٧٠).



وهذا هو الصحيح خلافاً لما ذكر الحليمي بقوله : (اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة ، وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع ، وحيوانات الماء وبطن الأرض وما أصاب النيران منها بالحرق . . .)[1] ؛ فقد ضعف الحافظ ابن حجر الروايات التي حددت مدة ما بين النفختين وبين انقطاعها[2] .

---

(١) التذكرة للقرطبي (١/ ٢٨٧) .

(٢) انظر الفتح (٨/ ٥٥٢) .

❖ **شبهات العلمانيين حول النفخ في الصور والرد عليها:-**

لم يقف العلمانيون عند حد التشكيك في الحياة البرزخية -التي يزعم بعضهم أنه لم ترد نصوص صحيحة صريحة في إثباتها- بل تجاوزوا إلى التشكيك في عقيدة اليوم الآخر وأهوال يوم القيامة التي وردت مئات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في إثباتها ، لـ (الوصول إلى العلمانية العصرية) [1] التي (لا تكون إلا بتحطيم قدسية النص الديني من طريق بناة (الأسطورية) (والميتافيزيقية) وإثبات (لاتاريخيته))[2] كما يدعو إلى ذلك عزيز العظمة .

وما الحياة الآخرة في نظر هؤلاء العلمانيين سوى أسطورة وعالم خرافي ويقول (النيهوم) عن هذا العالم الخرافي (لم يكتشفه الكهنة في السماء ، بل ابتدعوه شفوياً في لغة الناس على الأرض ، إنهم لم يخلقوا عالماً غائباً ، بل خلقوا لغة غائبة مسخرة للحديث عن عالم أسطوري لا يعرفه أحد من الأحياء على الأقل) [3] .

ومن أجل تحقيق الهدف الذي دعا إليه عزيز العظمة وغيره من العلمانيين -من تحطيم قدسية النص الديني وتفكيك بنيته- قام حسن حنفي بهذه المهمة غير عابىء بالمنهجية العلمية للبحث الموضوعي فأثار تساؤلاته التشكيكية حول مسائل وقضايا اليوم الآخر وأولها عقيدة الإيمان بالنفخ في الصور حيث قال في كلامه عن بداية الحشر :- (أما من حيث الزمان فيبدأ بالنفخة الثانية وهي نفخة البعث إذ تجمع الأرواح في الصور وفيها ثقوب بعددها تخرج الأرواح إلى أجسادها فلا تخطىء روح جسدها . أما النفخة الأولى ، نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى ، فعندها قد تفنى النفس ، وقد لا تفنى . إنما لا خلاف في بقائها بعد النفخة

---

(١) ، (٢) عزيز العظمة- دنيا الدين في حاضر العرب (ص١٥٦)، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، دار الطليعة بيروت .

(٣) الصادق النيهوم الإسلام في الأسر (ص٨٠) الطبعة الثالثة ١٩٩٥ دار رياض الريس سوريا .

الأولى بعد فناء الجسم حتى الأنبياء والملائكة الأربعة الرؤساء والحور العين وموسى. النفخة الأولى إذاً فناء الأرواح كلية، ما بقي منها قبل موت أجسادها أو ما بقي منها بعد موت أجسادها. والنفخة الثانية بعث الأرواح من ثقوب الصور بعددها وكأن الصور بها آلاف الملايين من الثقوب. ماذا يكون طوله إذن؟ وهل وظيفة الصور إصدار الصوت أم بعث الأرواح؟ هل هو آلة سمعية أم ألة بصرية؟ المهم في النفختين أن البعث يتم في الزمان، وما بين النفختين أربعون عاماً! ولكن بحساب من؟ بحساب الدنيا أم بحساب الآخرة؟ وكيف يكون مصنوعاً من نور والنور ليس مادة تكون بها ثقوب ويمسك بها إنسان وينفخ فيها بفمه؟ وكيف يكون عرضها ما بين السموات والأرض؟ وماذا يكون طول إسرافيل وعرضه وهو الذي يمسك بها بيديه ويحرك على ثقوبها أصابعه؟ وهل الروح تحتاج إلى مثل هذه الضخامة أم أن كل تضخيم هو تشخيص لمدى الهول الذي يلاقيه الإنسان بعد الموت وما ينتظره من حساب؟..) [1].

والجواب على هذه الشبه من وجوه:

الأول: أن الكاتب أورد في شبهته حول الصور مسائل لم تثبت أصلاً بدليل نقلي صحيح وإنما هو كعادته يخلط الحق بالباطل ليتوصل إلى التشكيك بالحقيقة، ومن هذه المسائل التي لم تثبت قوله أن الصور فيه آلاف الملايين من الثقوب تخرج الأرواح منها إلى أجسادها، وأن حجمه بعرض السموات والأرض، وأنه مخلوق من نور... إلى آخر هذا الهذيان الذي أراد الكاتب من ورائه الاستهزاء والتشكيك في أصل المسألة؛ وكان الواجب كما يقتضيه المنهج الموضوعي والأمانة العلمية أن يقتصر على ما ثبت في هذه المسألة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، ثم بعد ذلك يدرسها إن شاء دون هذا الخلط المقصود لزعزعة قناعات القارىء وتشكيكه.

---

(١) د/ حسن حنفي- من العقيدة إلى الثورة (النبوة والمعاد) (ص٥٠٥، ٥٠٧).



الثاني:- أن الكاتب لا يتكلف عناء ذكر الأدلة في المسائل التي يطرحها في بحثه وإنما يكتفي بإيراد الأسئلة، والشبه حتى لا يكتشف القارىء بطلان ما يورده الكاتب إذا نظر في الأدلة وتأملها؛ وهذا المنهج مخالف لأبسط قواعد البحث العلمي.

الثالث:- أن الصور كما ثبت بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة هو قرن ينفخ فيه الملك الموكل به يوم القيامة إيذاناً بقيام الساعة وفناء العالم، ثم ينفخ فيه نفخة أخرى فيقوم الناس لله رب العالمين للفصل في القضاء؛ هذا هو الأصل الثابت والمقدار المعلوم عن طريق النقل في هذه القضية الاعتقادية ليس فيه أكثر ما أورده الدكتور حنفي في كتابه فبنى عليه تشكيكاته.

الرابع:- وإذا كان هذا هو القدر المعلوم فأصل المسألة أنها من قضايا الغيب التي لا يسأل عنها بكيف ولم؟ إذ أنها قائمة على قنطرة التسليم للرسول المعصوم عليه السلام فمن أثبت صدقه وآمن به بأنه يأتيه الوحي من السماء فليس أمامه إلا التصديق بأخباره المستقبلية والإيمان بها؛ وإن لم يصدق بالرسول عليه السلام فليس له أن يورد أسئلته حول هذه القضية؛ إذ أنها فرع من أصل عظيم ألا وهو الإيمان بصدق الرسول ﷺ فيما يخبر به عن الله عز وجل.

الخامس:- أن الكاتب لم يستطع أن يقيم الأدلة والبراهين العقلية على استحالة حدوث ذلك، بل ولا يمكنه إلا التسليم بكون ذلك من الجائزات العقلية، ولا يمكن ادعاء أن العقل يحيل حدوث مثل ذلك، بل العقل يحكم بأن ذلك في دائرة الممكنات، وإذا كان الأمر كذلك فلا معنى لكل ما أورده الكاتب من تشكيك؛ إذ على فرض أنه لم يثبت شيء في هذه المسألة من طريق النقل فإن الدليل العقلي قاضي بإمكانية حدوث ذلك كيف وقد ثبت بما قدمنا من أدلة في أكثر من عشر آيات قرآنية تثبت عقيدة النفخ في الصور يوم القيامة، ولا يمكن تأويلها إلا على وجه من التكلف الذي يخرج عن دائرة التأويل إلى دائرة العبث واللعب باللسان العربي المبين.

السادس:- وأما جزم الكاتب بأن الملائكة يموتون بعد النفخ في الصور والحور العين وموسى عليه السلام فدعوى لا دليل عليها فقد قال تعالى : ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [1]، قال شيخ الإسلام : (وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور فإن الجنة ليس فيها موت ومتناول لغيرهم ، ولا يمكن الجزم لكل من استثناه الله ، فإن الله قد أطلق في كتابه . . . وبكل حال ؛ النبي ﷺ قد توقف في موسى وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا ؟

فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك ، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة ، وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر) [2].



---

(١) سورة الزمر : ٦٨

(٢) ابن تيمية الفتاوى (٤/ ٢٦١)، وانظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٧٠)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧٥).

المبحث الثاني

بعث الأجساد

المبحث الثاني

بـــعـــث الأجســـــاد

بعد أن يأمر الله عز وجل الملك الموكل بالنفخ في الصور فينفخ النفخة الثانية؛ عندها يبعث الله تعالى الناس من قبورهم فيقوم الناس لله رب العالمين.

البعث لغة:-

بعث يبعث بعثاً، وبعثه وابتعثه بمعنى أرسله، وبعثه من منامه، أهبه وأيقظه، وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث.[1].

قال الأزهري:- (بعثت البعير فانبعث إذا حللت عقاله وأرسلته، لو كان باركاً فأرسلته.. والبعث في لغة العرب على وجهين: أحدهما: الإرسال كقول الله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾[2] معناه أرسلنا.. والبعث أيضاً: الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله عز وجل: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾[3]: أي أحييناكم..)[4].

قال الراغب الأصفهاني:- (.. فالبعث ضربان: بشري كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة؛ وإلهي وذلك ضربان:

---

(١) الصحاح للجوهري (١/ ٢٧٣)، ومفردات الراغب للأصفهاني (ص٥١)، ولسان العرب لابن منظور (٧/ ٣٠٧)، ط الشعب القاهرة.

(٢) الأعراف: ١٠٣

(٣) البقرة: ٥٦

(٤) محمد بن أحمد الأزهري تهذيب اللغة (٢/ ٣٣٤) تحقيق عبدالسلام هارون الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة.



أحدهما : إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس (كذا)، وذلك يختص به الباري تعالى ولم يقدر عليه أحداً.

والثاني : - إحياء الموتى : وقد خص بذلك بعض أوليائه كعيسى ﷺ وأمثاله، ومنه قوله عز وجل : ﴿فهذا يوم البعث﴾ [1] : يعني الحشر؛ وقوله عز وجل : ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض﴾ [2] : أي قيضه.

وقوله تعالى : ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾ [3]، وذلك إشارة بلا توجيه إلى مكان..) [4].

البعث اصطلاحاً:-

هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من القبور، وجمع أجزائهم الأصلية ورد الأرواح إليها وذلك لحسابهم على ما قدموا من أعمال في الحياة الدنيا [5].

وقد أكد الله عز وجل على هذه العقيدة في القرآن في آيات كثيرة جداً حتى يتيقن المؤمن أن مصيره إلى الدار الآخرة وإن الله سيبعث من في القبور.

قال تعالى : ﴿وقالوا أئذا كنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً. قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة

---

(١) الروم: ٥٦

(٢) المائدة: ٣١

(٣) الكهف: ١٢

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني (٥٢، ٥٣)، وانظر في مادة (بعث) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/١٦٨)، وأساس البلاغة، لمحمود بن عمر الزمخشري (ص٢٥)، تحقيق عبدالرحيم محمود ط١٩٧٩، دار المعرفة بيروت.

(٥) انظر لوامع الأنوار للسفاريني (٢/١٥٧).

فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو، قل عسى أن يكون قريباً: يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾[1].

وقال جل ذكره: ﴿ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً. ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً. أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه﴾[2].

وقال تقدست أسماؤه: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً. وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾[4].

---

(١) الإسراء: ٤٩-٥٢.

(٢) الإسراء: ٩٧-٩٩.

(٣) الحج: ٤-٧.

(٤) المؤمنون: ١٢-١٦.

وقال تعالى عن قوم عاد: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون، أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون. هيهات هيهات لما توعدون. إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون. بل قالوا مثل ما قال الأولون. قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل، إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (2).

وقال جل وعلا: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون، وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ (3).

وقال تعالى: ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير﴾ (4).

وقال جل ذكره: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون. فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا. هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ (5).

---

(1) المؤمنون: ٣٣-٣٧.

(2) المؤمنون: ٨٠-٨٣.

(3) الروم: ٥٥-٥٦.

(4) لقمان: ٢٨.

(5) يس: ٤٨-٥٣.

وقال جل من قائل : ﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ، أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ، أو أباؤنا الأولون ، قل نعم وأنتم داخرون ، فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ، وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ، هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ، احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبؤهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ويوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ (٤) .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الدالة على البعث ونشر الناس يوم الحساب وقيامهم من قبورهم بعد أن يرد الله عز وجل أرواح العباد إلى أجسادهم .

وأما الأحاديث التي أثبتت عقيدة البعث فكثيرة جداً ؛ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله : - اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد» (٥) .

---

(١) الصافات : ١٥-٢٣ .

(٢) الحجر : ٣٦ .

(٣) المجادلة : ٦ .

(٤) المجادلة : ١٨ .

(٥) أخرجه البخاري تفسير سورة قل هو الله أحد (٨/ ٧٣٩ ح ٤٩٧٥) .

وتقدم حديث عبدالله بن عمرو قريباً وفيه : «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا . قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله -أو قال ينزل الله- مطراً كأنه الطل -أو الظل ، نعمان الشاك- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . ثم يقال : يا أيها الناس ، هلموا إلى ربكم ، وقفوهم إنهم مسؤولون . قال ثم يقال : أخرجوا بعث النار ، فيقول : من كم؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال فذلك يوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق»[(1)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ : أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم ، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم» قال : ونزلت الآيات من آخر يس[(2)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ما بين النفختين أربعون ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب[(3)] ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[(4)] .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب خروج الدجال (١٨/ ٩٩ ح ٢٩٤٠) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما ذكر ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٨١)، وأخرجه ابن المنذر والإسماعيلي في معجمه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختاره كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩) وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) قال النووي : أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب ، وهو رأس العصعص ، ويقال له : عجم ، بالميم ، وهو أول ما يخلق من الآدمي ، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه . (شرح النووي لمسلم (١٨/ ١٢٣)، وانظر النهاية لابن الأثير (٣/ ١٨٤) مادة : عجب) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ونفخ في الصور (٨/ ٤١٤ح٤٨١٤)، ومسلم في الفتن باب ما بين النفختين (١٨/ ١٢٢ح ٢٩٥٥) .

وعلى عقيدة البعث في اليوم الآخر وأن الله يخرج من في القبور أجمعت هذه الأمة؛ قال الإمام الأشعري: - (وأجمعوا.. على أن الله يعيدهم كما بدأهم حفاة عراة غرلاً، وإن الأجساد التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة، وكذلك الجلود التي كانت في الدنيا والألسنة، والأيدي، والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة)[1].

وقال ابن عبدالبر: - (وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يغني ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت فلا وجه للإنكار في ذلك)[2].

وقال ابن حزم: - (وإن البعث حق، والحساب حق... يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد، كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام، قال تعالى: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾[3][4].

وقال الصابوني: - (ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق واختلاف أحوال العباد فيه..)[5].

والمقصود بالبعث هو بعث الأجساد وإعادة الأرواح إليها خلافاً لمن قال بالمعاد الروحاني فقط أو نفي معاد الأجساد والأرواح؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: - (وطوائف من الكفار

---

(١) أبو الحسن الأشعري رسالة إلى أهل الثغر (ص١٦١)

(٢) ابن عبد البر التمهيد (٩/ ١١٦)

(٣) المؤمنون: ٦.

(٤) ابن حزم الدرة فيما يجب اعتقاده (٢٠٦، ٢٠٧)، وانظر له: مراتب الإجماع (ص١٧٥)، والمحلى (١/ ٣١).

(٥) الإمام الصابوني: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١/ ١٢١)

والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح، ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بياناً في غاية التمام والكمال.

وأما المنافقون من هذه الأمة الذي لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة، فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة... وهؤلاء كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان فإن محمداً ﷺ قد بين ذلك بياناً شافياً قاطعاً للعذر وتواتر ذلك عند أمته خاصها وعامها)[١].

ويقول الإمام الغزالي: - (فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي ينكر حشر الأجساد، وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام، واستبعادات من غير برهان قاطع، فيجب تكفيره قطعياً، إذ لا برهان على استحالة رد الأرواح إلى الأجساد، وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين، فيجب تكفير كل من تعلق به..)[٢].

ويقول الشوكاني: - (والحاصل أن هذا (أي المعاد) أمر اتفقت عليه الشرائع، ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها، وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم، ولم يخالف فيه أحد منهم، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل، ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط، ولكنه ظهر رجل من اليهود زنديق، يقال له موسى بن ميمون

---

(١) ابن تيمية الفتاوى (٤/ ٤١٤-٤١٥) وانظر في ذلك لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٥٧)، وابن القيم - التبيان في أقسام القرآن (ص١٠١)، وزاد المعاد (٣/ ٣٣٠).

(٢) الإمام الغزالي فيصل التفرقة (ص٧٢) وانظر له المضنون به على غير أهله (ص١٥٣).



اليهودي الأندلسي [1] ، فوقع منه كلام في إنكار المعاد ، واختلف كلامه في ذلك ، فتارة يثبته ، وتارة ينفيه ، ثم هذا الزنديق لم ينكر مطلق المعاد ، إنما أنكر بعد تسليمه للمعاد أن يكون فيه لذات حسية جسمانية ، بل لذات عقلية روحانية ، ثم تلقى ذلك عنه من هو شبيه به من أهل الإسلام كابن سينا فقلده ، ونقل عنه ما يفيد أنه لم يأت في الشرائع السابقة على الشريعة الإسلامية إثبات المعاد ، وتقليداً لذلك لليهودي الملعون الزنديق ، مع أن اليهود قد أنكروا عليه هذه المقالة ولعنوه وسموه كافراً . . .) [2] .



(١) هو موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق ، أبوعمران القرطبي ، طبيب فيلسوف يهودي ، ولد وتعلم في قرطبة ، وتنقل مع أبيه في مدن الأندلس ، وتظاهر بالإسلام ، فحفظ القرآن . وتفقه بالمالكية ، ودخل مصر ، فعاد إلى يهوديته ، وأقام في القاهرة ٣٧سنة ، كان فيها رئيساً روحياً لليهود ، له تصانيف كثيرة بالعربية والعبرية ، توفي (٦٠١هـ) ، (الأعلام للزركلي ٧/ ٣٢٩ ، ٣٣٠) .

(٢) محمد بن علي الشوكاني : إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص٣٢) .

❖ **شبهات العلمانيين حول البعث والرد عليها :-**

إذا كان البعث كما هو في العقيدة الإسلامية ، وكما أثبتته جميع الديانات السماوية بعثاً حقيقياً يعيد الله فيه ما فني من الأجساد إلى هيئتها الأولى ويعيد جل وعلا منه الأرواح إلى هذه الأجساد ؛ فإن له عند العلمانيين تصوراً آخر؟

فالبعث في نظر صادق النيهوم (علماني تونسي) ليس سوى (خروج الإنسان من عالمه الطفولي الغائب في ظلام اللاوعي إلى عالم العقل الحاضر في ضوء الصحوة واليقين ؛ خروج خارق لجميع قوانين الطبيعة ، مثل البعث من الموت ، لكن العرب الوثنيين أساؤوا فهم هذه الحقيقة الماثلة أمام أعينهم ، ونقلوا الجدال إلى عالم الأموات الذي يعرفونه في لغتهم الوثنية فأنكروا خروج الموتى إلى الحياة ، وسخروا من فكرة البعث نفسها ، وتحدوا الرسول عليه الصلاة والسلام لكي يحيي أمامهم رجلاً ميتاً ، ولو كان الرسول يريد من العرب أن يؤمنوا بالبعث بعد الموت فقط لقبل هذا التحدي أوسكت .

لكن الرسول كان يدعو العرب إلى الإيمان بالبعث في هذه الحياة ، وكان يعرف أن هدفه لا يتحقق بإحياء رجل ميت ، بل بإعادة الوعي إلى جيل غائب عن عالم الوعي . . .) [1] .

ولا يختلف رأي حسن حنفي كثيراً عن رأي النيهوم في نظرته للبعث إذ هو عنده بعث للأمة والحزب متأثراً بيساريته الثورية ؛ محاولاً تأويل النصوص وتفسيرها تفسيراً مادياً (ماركسياً) ؛ حيث يقول : (قد لا يكون البعث واقعة مادية تتحرك فيها الجبال ، وتموج فيها البحار وتخرج لها الأجساد بل يكون البعث هو بعث الحزب ، وبعث الأمة ، وبعث الروح . فهو واقعة شعورية تمثل لحظة اليقظة في الحياة في مقابل لحظة الموت والسكون . ولذلك كانت مشاهد البعث كلها حياة وحركة . يعني البعث استمرار الحياة وأن الموت ما هو إلا حالة

---

(١) النيهوم -الإسلام في الأسر (١٠٦ ، ١٠٧) ، ط الثالثة ١٩٩٥ دار رياض الريس دمشق .



عارضة. لذلك آثر كثير من الأدباء تسميتهم رواياتهم (البعث) وهو الاسم المفضل عند جميع رواد النهضة الحضارية لدى كل شعب وعند كل أمة)[1].

ومقصود حنفي ببعث الروح أي روح الأمة وبعث الهمة فيها كما سيأتي معنا في رأيه في المعاد.

ثم لا يكتفي حنفي في تأويل البعث على هذا النحو بل يعمد -كما هي عادته- إلى إثارة الشبه والتشكيك في هذه المسألة العقائدية التي هي أصل من أصول الدين بل الأديان السماوية كافة حيث يقول: (... فهل الإعادة واجبة؟ وإن كانت واجبة هل هي واجبة بالشرع أم بالعقل؟ وإن لم تكن واجبة بالشرع فهل هي جائزة بالعقل؟ وإذا كان الحق هو المعاد الجسماني مطلقاً فهل يكفر المنكرون لحشر الأجساد؟ إن الوجوب الشرعي يصطدم بالرواية والسمع الظني، والظن لا يكون أساساً للوجوب نظراً لجواز ضعف السند وتأويل المتن. والوجوب العقلي في حاجة إلى براهين يقينية من الحس والمشاهدة. لم يبق إذن إلا الجواز الشرعي أو العقلي. ولما كان العقل أساس النقل يكون الجواز عقلياً بالأساس. وإذا كان الابتداء ممكناً فالإعادة تكون أيضاً ممكنة لأن الإعادة مشروطة بالابتداء، والابتداء شرط الإعادة. ولكن في الواقع وبصرف النظر عن الحجج العقلية يعتمد الجواز العقلي على تحليل التجارب البشرية مثل الرغبة في مقاومة الموت وتجاوز الفناء، والقصد نحو البقاء. فالإعادة صياغة نظرية لتجربة إنسانية تريد الإبقاء على الماضي حاضراً ومستقبلاً حتى ينكشف الحق، ويظهر العدل. وما الزمان ذاته إلا مرآة للخلود)[2].

---

(١) حسن حنفي – النبوة والمعاد- ٥٠٨ .

(٢) حسن حنفي -النبوة والمعاد- (٤٨٩-٤٩٠).

وما النصوص القرآنية والأحاديث النبوية القطعية في ثبوتها ودلالتها عند حسن حنفي سوى حجج (لاهوتية) لا تصلح -في نظره - دليلاً على إثبات حقيقة البعث حيث يقول :- (. . فإذا ما عادت الأجسام جواهر وأعراضاً فكيف تتم الإعادة؟ قد تثبت إعادة المعدوم من لا شيء لأن العدم كلي شامل لا يبقى على شيء. ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾. والله هو الأول والآخر، الظاهر والباطن، لا يبقى معه شيء. بدأ الخلق من لا شيء ويعيده من لا شيء. والأجسام نفسها تقبل الوجود والعدم. والله قادر على كل الممكنات، عالم بكل الجزئيات. ألا يتطلب ذلك أن يهلك الله كل شيء، الملائكة والجن والشياطين والمردة والحور العين والولدان المخلدون والجنة والنار حتى لا يبقى معه شيء قبل البعث والنشور؟ والحقيقة أن هذه الحجج على جواز إعادة المعدوم من لا شيء إنما هي حجج لاهوتية تثبت قدرة الله وليست حججاً طبيعية تثبت إمكانية الإعادة من عدم) [1].

بل يرى حسن حنفي أن الإعادة والبعث ليست في حيز الإمكان بل هي عنده من المستحيلات حيث يقول :- (. . . وقد ينكر موضوع الإعادة كله ليس فقط باعتباره كيفية أي استحالة إعادة المعدوم من لا شيء وإمكان ذلك بالتجميع والتفريق للأجزاء بل إنكار الإعادة من الأساس كموضوع ميتافيزيقي خالص أو كموضوع جزئي في إنكار حشر الأجساد. ويأتي إنكار الإعادة نتيجة لعدة عقائد سابقة منها إنكار حدوث العالم. فما دام العالم موجوداً قديماً وباقياً لم يفن فإنه لا يعود. وهو أقرب إلى المنطق والاتساق ما دامت الإعادة نتيجة طبيعية للقول بالحدوث والإيجاد من عدم. فالإيجاد من عدم يتلوه طبيعياً الإيجاد بعد العدم. أما إذا ثبت حدوث العالم ثم أنكرت الإعادة بعد العدم فإنه يكون بين النتيجة والمقدمة عدم اتساق منطقي. فما دام إثبات الوجود من عدم قد تم فإن الإعادة تكون أسهل، وبالتالي لا يمكن إثبات الحدوث وإنكار الإعادة. أما إذا ثبت حدوث العالم وإعادة المعدوم فإنه لا يمكن بعد

---

(١) المرجع السابق (٤٩٢-٤٩٣).



ذلك إنكار البعث والقيامة فيما يتعلق بحياة الإنسان بعد الموت ابتداء من حياة القبر حتى الثواب والعقاب في الجنة والنار) [١].

وكل هذه الشبه التي سطرها الدكتور حنفي إنما كانت من أجل النتيجة التي كان يؤمن بها مسبقاً ألا وهي نفي المعاد كلية فلا بعث للأرواح ولا للأجساد، (. فالمعاد ليس جسمانياً أو روحانياً بل المعاد إنساني خالص تكشف عنه رغبة الإنسان في مقاومة الموت واستمرار الحياة عن طريق أفعاله في الدنيا وآثاره في الناس. فيتحول وجوده الفردي إلى وجود جماعي، ويخلد الفرد في الجماعة، ويبقى في الأمة) [٢].

وإذا كان البعث عند النيهوم وحسن حنفي له تأويل باطني يؤول إلى بعث الفرد والأمة والحزب، والخروج من حالة اللاوعي إلي حالة الوعي، فإنه في نظر الدكتور العظم ليس إلا (خرافة ميتافيزيقية).

فالإنسان خلق من السديم ويعود إلى السديم في نظر الدكتور العظم فلا بعث ولا نشور لا ظاهريا ولا باطنياً إذ أن النصوص الدينية لا تستحق في نظره أن ينظر في مدلولاتها ومعانيها إذ ما هي إلا أوهام اخترعها الإنسان لسد رغباته النفسية؛ فبعد أن أورد الدكتور العظم كلام (برتراند رسل) الذي تكلم فيه عن نشأة الكون وتطور خلق الإنسان ونشوء الأديان، وتفسيره لهذه الظواهر تفسيراً مادياً صرفاً قال العظم موافقاً له على ذلك كله: - (. . هذا المقطع الذي كتبه رسل يلخص لنا بكل بساطة النظرة العلمية الطبيعية للقضايا التالية: نشوء الكون وتطوره، نشوء الحياة وتطورها، أصل الإنسان ونشأته وتطوره، نشوء الديانات والعبادات والطقوس وتطورها، وأخيراً يشدد على أن النهاية الحتمية لجميع الأشياء هي الفناء والعدم ولا

---

(١) المرجع السابق (٤٩٧-٤٩٨).

(٢) المرجع السابق (٥٢٨).



أمل لكائن بعدها بشيء، إنه من السديم وإلى السديم يعود)[1].

ويقول العظم كذلك محتجاً بقول برتراند رسل: (. . وفي مناسبة أخرى عندما سئل رسل: هل يحيا الإنسان بعد الموت؟ أجاب بالنفي وشرح جوابه بقوله: عندما نتظر إلى هذا السؤال من زاوية العلم، وليس من خلال ضباب العاطفة نجد أنه من الصعب اكتشاف المبرر العقلي لاستمرار الحياة بعد الموت، فالاعتقاد السائد بأننا نحيا بعد الموت -يبدو لي- بدون أي مرتكز أو أساس علمي. .)[2].

والرد على هؤلاء العلمانيين في هذه الشبه مايلي:

ما ذهب إليه (النيهوم)، وحسن حنفي من تأويل معنى البعث بأنه بعث الأمة في الحياة الدنيا بإخراجها من طور إلى طور آخر: هو تأويل باطني، وتفسير مادي، وتحريف معنوي للآيات القرآنية القطعية في دلالتها، وأول دليل على بطلان هذا التأويل هو النصوص ثم إجماع الأمة منذ عصر الصحابة على القول بالبعث الحقيقي وهو بعث الأجساد يوم القيامة وإعادة الأرواح إليها للفصل بينها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى وقيام الناس من قبورهم والثواب والعقاب)[3].

وقال الرازي: (أجمع المسلمون على المعاد بمعنى جمع الأجزاء بعد تفرقها)[4].

ولا يتصور عقلاً أن يجمع الصحابة، والتابعون، على هذا القول لو لم تكن الآيات قطعية في دلالتها، فلو كان للتأويل وجه سائغ لوقع الخلاف ولو من بعضهم كما هي العادة المطردة في تفاوت العقول والافهام:

---

(١) د/ صادق جلال العظم -نقد الفكر الديني (ص١٩) ط الثامنة ١٩٩٧- دار الطليعة بيروت.

(٢) المرجع السابق (ص١٩).

(٣) الفتاوى - (٤/ ٢٥٢).

(٤) الرازي -المحصل: ٥٥٥ .

وقد قال الله عز وجل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم . . الآية﴾[1] ، فلو لم يفهم الصحابة البعث على حقيقته لما كان الدين قد كمل إذ لا بد أن يبين الرسول ﷺ للأمة بياناً شافياً لهذه المسألة العقائدية المهمة ؛ وإذا كان الله تعالى لا يقر النبي ﷺ على الخطأ وكذلك النبي عليه السلام لا يقر أحداً من أمته على الخطأ -ولهذا قال تعالى : ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾[2]- فكيف يتصور أن يقر الله الأمة كلها في عصر النبي ﷺ وهم أفصح الناس وأعلمهم بالقرآن ومعانيه - على اعتقاد هذه العقيدة وعدم فهمهم لما أراده الله ورسوله .

وهذا الدليل وحده كاف في إبطال هذا التأويل وهذا التحريف ممن هم في العربية -إذا ما قورنوا بالصحابة رضي الله عنهم- كانوا كالأعاجم فيها ، فلا عبرة بفهمهم ، ولا قيمة لاستدراكهم .

ثانياً : - وعلى فرض أنه لم يثبت الإجماع في هذه المسألة ، فالنصوص القرآنية أكثر من أن تحصى ، وأظهر من أن تؤول كقوله تعالى : ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ❁ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾[3] .

قال فخر الدين الرازي : (واعلم : أن المعاد الجسماني أنكره أكثر الفلاسفة . وجملة أهل الإسلام متفقون على إثباته . واعلم : أن الجمع بين إنكار المعاد الجسماني ، وبين الإقرار بأن القرآن ، حق : متعذر . لأن من خاض في علم التفسير ، علم أن ورود هذه المسألة في القرآن ، ليس بحيث يقبل التأويل)[4] .

---

(١) المائدة : ٣ .

(٢) التوبة : ١١٥ .

(٣) الحج (٦ ، ٧) وقد أوردنا كثيراً من الآيات آنفاً .

(٤) فخر الدين الرازي الأربعين في أصول الدين (ص٥٥) مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .



بل إن هذه القضية هي من القضايا الرئيسة التي عليها وحولها تدور الآيات القرآنية بعد عقيدة وحدانية الله عز وجل وصدق الرسول ﷺ، كما قال تعالى : ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة . . الآية﴾ [1]، فجعل الإيمان باليوم الآخر بعد الإيمان بالله عز وجل، ولا سبيل إلى تأويل كل ما ورد في ذلك من الآيات، ومن تكلف ذلك فإنما يشهد على نفسه بالجهل والضلال .

ثالثاً : - إن أصحاب هذا التأويل الباطني لم يتكلفوا عناء إقامة الدليل على ما ذهبوا إليه من رأي، بل هم يلقون الكلام على عواهنه دون قدرة على إقامة الأدلة إذ ليس هناك آية واحدة أو حديث واحد يستشهدون به على أن المقصود بالبعث إنما هو بعث الأمة والحزب ! !

كما أنهم لم يتكلفوا عناء شرح وتوضيح مئات الآيات القرآنية التي تضاد ما ذهبوا إليه من رأي وتنقضه من أساسه : شاهدين بذلك على أنفسهم بالعجز عن إقامة الدليل الذي يؤيد رأيهم، أو نقض الدليل الذي يخالفه، متناسين أنهم إنما يناقشون قضية نقلية وليس أمامهم من سبيل إلا نفي النصوص الواردة فيها ليسلم لهم رأيهم، وهذا كفر -إن فعلوه- أو يشرحوا الآيات الواردة شرحاً لا يخرج عن حدود اللغة التي نزل القرآن بها، وهذا ما لم يفعلوه ؛ فلزمتهم الحجة وثبت بطلان هذا التحريف والتأويل الباطني الذي لم يسبقهم إليه أحد من قبل .

وأما تشكيك حسن حنفي وإثارته للشبه حول جواز الإعادة وهل هي واجبة بالشرع أو بالعقل . . . الخ . فالجواب عليه : أنه لا خلاف بين أرباب العقول من جميع أهل الديانات السماوية على كون ذلك من الممكنات العقلية، وحتى الفلاسفة المعظمون للعقل يوافقون على أن هناك بعثاً ومعاداً وإن قالوا بأنه معاد وبعث للأرواح دون الأبدان ؛ قال ابن

---

(١) البقرة : ١٧٧ .



سينا : (يجب أن تعلم أن المعاد منه مقبول من الشرع ولا طريق إلى إثباته إلا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها نبينا المصطفى محمد ﷺ حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن .

ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالمقاييس التي للأنفس وإن كانت الأوهام منا تقصر عن تصورها الآن) [1] .

فابن سينا وهو رأس فلاسفة المسلمين يؤكد أن البعث ثابت بالدليل العقلي والقياس البرهاني ، إضافة إلى كونه ثابتاً بالدليل القرآني .

وقد شرح ابن سينا بعد ذلك مذهب الحكماء والفلاسفة حيث يقول : -

(والحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة السعادة البدنية بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك " أي البدنية " وإن أعطوها فلا يستعظمونها في جانب هذه السعادة . . فلنعرف حال هذه السعادة والشقاوة المضادة لها ، فإن البدنية مفروغ منها في الشرع) [2] .

---

(١) ابن سينا – النجاة (ص٤٧٧) مطبعة السعادة ١٣٣١هـ القاهرة .

(٢) ابن سينا – النجاة – (ص٤٧٧) .



وهذا القول من ابن سينا كالصريح في تجويز البعث الجسماني، فإن قوله: (كأنهم لا يلتفتون) وقوله (وإن أعطوها) دليل على عدم استحالة وقوع ذلك عنده، وعند من نقل مذهبهم من الحكماء والفلاسفة.

والمقصود بيان إمكانية المعاد بإجماع أصحاب المنقول، وأرباب المعقول قال شمس الدين السمرقندي: (والدليل المطلق على المعاد الجسماني: أنه ممكن في نفسه، والصادق أخبر عنه فوجب القول به، أما الأول؛ فلأن الإمكان ههنا بالنظر إلى القابل والفاعل، وهما حاصلان؛ أما بالنظر إلى القابل فلما مر في صدر الكتاب من جواز العود، وأما بالنظر إلى الفاعل فللزومه لأمرين حاصلين:

أحدهما : كونه تعالى قادراً على الإيجاد.

والثاني : كونه عالماً بأعيان أجزاء كل شيء؛ لما مر أنه تعالى عالم بالجزئيات. وإنما قلنا: إن الصادق أخبر عنه لاتفاق (قول الأنبياء عليهم السلام على ذلك)[1].

وقال الرازي: (مسألة أجمع المسلمون على المعاد بمعنى جمع الأجزاء بعد تفرقها خلافاً للفلاسفة:

لنا أنه في نفسه ممكن والصادق أخبر عنه فوجب القول به، وإنما قلنا إنه ممكن لأن الإمكان إنما ثبت بالنظر إلى القابل أو الفاعل وهما حاصلان، أما بالنظر إلى القابل فلأن قبول الجسم الأعراض الفاعلية أمر ثبت له لذاته وما بالذات كان حاصلاً أبداً فذلك القبول حاصل أبداً، وأما بالنظر إلى الفاعل فلأنه تعالى بدأ بأعيان جزء كل شخص لكونه عالماً بالجزئيات وقادراً على جمعها وخلق الحياة فيها لكونه قادراً على كل الممكنات، وإذا كان كذلك كانت الإعادة ممكنة.

(١) شمس الدين السمرقندي -الصحائف الإلهية (ص٤٤٠، ٤٤١)، تحقيق د/ أحمد الشريف مكتبة الفلاح- الكويت.



وإنما قلنا : إن الصادق أخبر عنه ، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعوا على القول به ، وإذا ثبت المقدمتان ظهر المطلوب)(١) .

وأما ما ذهب إليه الدكتور العظم من أن الإنسان خلق من السديم وإلى السديم يعود محتجاً على ذلك بقول : برتراند رسل فهي دعوى عريضة لم يستطع العظم أن يقيم عليها دليلاً إلا مجرد رأي زعيم الوجودية في العصر الحديث ؛ متصوراً أنه بذلك يكون علمياً وموضوعياً؟!!

ومعلوم أن نظرية نشوء الكون من السديم لا تزال نظرية عند علماء الفلك؟ ولا يمكن أن يبنى عليها أي اعتقاد ما دامت لم تثبت كحقيقة علمية مسلم بها .

وكذلك نظرية نشوء الإنسان (الداروينية) وتطوره هي من النظريات التي لم يعد لها أي قيمة علمية بعد أن خرجت الدراسات في علم الأحياء لتؤكد أن هذه النظرية تفتقر لأبسط الأسس العلمية ؛ وأنها لا تصلح تفسيراً لظهور الإنسان وتطور علم الأحياء(٢) . ومن ثم فاحتجاج الكاتب العظم بعبارة (رسل -التي يقول فيها : (عندما ننظر إلى هذا السؤال من زاوية العلم وليس من خلال ضباب العاطفة نجد أنه من الصعب اكتشاف المبرر العقلي لاستمرار الحياة بعد الموت ، فالاعتقاد السائد بأننا نحيا بعد الموت -يبدو لي- بدون أي مرتكز أو أساس علمي)- هو بحد ذاته احتجاج خطابي عاطفي لا يقوم على دليل منطقي ؛ أو برهان عقلي ، وقد نسي العظم وهو في حالة من النشوة العاطفية التي ظهرت جلياً بتعظيمه لبرتراند

---

(١) فخر الدين الرازي-المحصل (ص٥٥٥)، وانظر لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي (ص٢٨٢ ، ٢٨٤)، تحقيق د/ فوقية حسين ط الأولى ١٩٧٧ ، دار الأنصار القاهرة .

(٢) في نقض نظرية داروين انظر : احمد العوايشة موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ ص١٦٣ وما بعدها ط الاولى ١٩٨٢ دار مكة السعودية .



رسل أنه إنما يتخذه نبياً يتابعه في أقواله التي يستحيل أن يصل إليها العقل البشري إلا عن طريق الأنبياء؛ وإلا فما الذي يجعل قوله : (الإنسان خلق من السديم وإلى السديم يعود)؛ عقيدة صحيحة، والقول بأن الله خلق الإنسان وإلى الله يعود عقيدة باطلة لا أساس لها من العلم؟!! فقد أصبح العظم (أيديولوجياً) من حيث لا يشعر، و(ميتافيزيقيا) من حيث يظن أنه يهدم الميتافيزيقيا)!!

قال الدكتور الميداني في معرض رده على العظم : (ومن البدهي أن استدلال رسل استدلال غير منطقي وغير علمي، وكشف هذا الزيف لا يحتاج إلى فلسفة راقية، وإنما تكفي فيه البديهة العقلية المسلمة عند جميع العقلاء، وكان الأولى له أن يبني إنكاره لقضية الحياة بعد الموت والدار الآخرة على إنكاره لخالق الكون، فبما أنه جحد الأساس الأول فكل ما يأتي عنه من أنباء وأخبار وقرارات وأحكام مرفوض من وجهة نظره، وعندئذ تكون معالجته من مواقع هذا الأساس، لا مما يتفرع عنه ويبنى عليه)[(١)].

فلا يمكن للعظم وللماركسيين الذين روجوا لهذه النظريات الإلحادية أن يقيموا الدليل الحسي أو التجريبي على دعواهم هذه؛ وليس أمامهم إلا التسليم بأن ما يقولونه إنما هو مبني على أساس نظريات افتراضية؛ بل أصبحت عند كثير من علماء المادة المعاصرين نظريات قديمة، فكيف لهم أن يبنوا على مثل هذه النظريات عقيدة يقينية في أن الإنسان خلق من السديم وإليه يعود؟!! علاوة على أن برتراند رسل عالم الرياضيات البريطاني -والذي يحتج بأقواله- لم تحقق عبادته للمادة وتقديسه لها أي سعادة تذكر بل ظل مضطرباً حائراً طوال حياته حتى إنه قال : (وبالحرف الواحد : (إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور، والفرح على حين كان الناس أجدر من الحيوانات بهذه السعادة؛ ولكنهم محرومون منها، ومن نعمتها في عالمنا الحديث؛ ومن ثم أصبح من المستحيل الحصول على هذه النعمة وهي السعادة)[(٢)].

---

(١) عبدالرحمن حبنكة الميداني : صراع مع الملاحدة حتى العظم (ص١٥٩)- دار القلم دمشق.

(٢) وحيد الدين خان -الإسلام يتحدى (ص٨٤، ٨٥).



لقد بلغ القمة في علم الرياضيات الحديثة، ولم يحقق له علمه السعادة، ولكن تراه -بإصراره على كفره- يناقض نفسه، ويذكر أنه وجدها. لقد سأله (فريمان) المعلق السياسي في الإذاعة البريطانية عام ١٩٥٩م: هل وجدت أن هواية الاشتغال بالرياضيات، والفلسفة يمكن أن تحل محل المشاعر الدينية عند الإنسان؟! فأجاب (رسل) قائلاً: (نعم، لقد وصلت في سن الأربعين إلى الطمأنينة التي قال عنها (أفلاطون): إنه، يمكن الحصول عليها من طريق الرياضيات. إنها عالم، أبدي، حر لا يقاس بزمان. ولقد حظيت في هذا العالم بسكينة تشبه تلك التي يحصلون عليها في الدين)[١].

ثم يعود مجدداً إلى حيرته القديمة ويقول لجده عندما سأله: ما تكون دعواتك المفضلة يا برتي؟! فقال: (لقد سئمت الحياة وأنا مدفون تحت وطأة ذنوبي، يا إلهي!!)[٢].

فهل يصلح هذا الحائر أن يكون أنموذجاً يحتذى به في مسألة مهمة كعقيدة البعث لليوم الآخر، هذه العقيدة التي وإن أنكرها الوثنيون والملحدون ظاهراً إلا إنهم يعترفون بها في قرارة أنفسهم وخلجات أفئدتهم.

وإن عباد البقر أمثال السياسي (جواهر لال نهرو) (والد أنديرا غاندي) رئيس وزراء الهند ثانية أكبر الدول تعداداً في السكان يعبد الصنم إلهه (رام)، ويسجد للبقر، ويقدس النار من دون الله ثم تجبره فطرته الإيمانية أن يعترف بأن معبوداته هذه ليست إلهه الذي يجب أن يعبده، ويسجد له، فتراه يقول سنة ١٩٦٤م في جمع من المستشرقين: (إنني سياسي، لا أجد وقتاً للتفكير، والتمعن؛ ولكنني أضطر أحياناً أن أسأل: ما حقيقة هذه الدنيا؟! ومن نحن؟! وما هذا الذي نعمله، ونقوم به؟! إنني على يقين كامل أن هناك قوى تصوغ أقدارنا!!)[٣].

(١) وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى (ص١٥٤-١٥٥).

(٢) المرجع السابق ١٥٥ .

(٣) جريدة هيرالد ناشيونال عدد(٤) عام ١٩٦٤م نقلاً عن الدكتور غازي عناية -إساءة الحضارة الرأسمالية والشيوعية إلى الله- (ص١٠٤-١٠٥)، منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية-لبنان .

وشبهة العظم وانتصاره للداروينية هي ذات الشبهة التي أطلقها النيهوم بقوله : (.. في درس التفسير يقال للطالب العربي إن مبدأ النشوء والإرتقاء ليس حقيقة علمية ؛ وإن الله قد صنع آدم وحواء مثل تمثالين من الطين، ونفخ فيهما الروح، ثم وضعهما في الجنة.. وفي درس الأحياء يكتشف الطالب مدهوشاً مدى جهل المفسرين بمبدأ النشوء والإرتقاء، ويعرف من الحفريات أن الله لا يصنع التماثيل، وإن الإنسان ليس مخلوقاً منفصلاً عن بقية الحيوانات، ولا ينتمي إلى أب واحد أو أم واحدة، بل ينتمي إلى فصائل متنوعة من القرود التي هجرت موطنها الأصلي في الغابة، واحترفت الصيد في مناطق السافانا منذ مئة مليون سنة على الأقل.. !!) (1).

وهذا الكلام ساقط ولا يستحق الاحترام اذ لا يوجد له أي سند علمي يعتمد عليه؟ وقد كان لقول الداروينية رواج في القرن الماضي إلا أنه الآن سقط باعتراف زعماء الداروينية أنفسهم وأما نحن المسلمين فقدورد عندنا في صريح القرآن وصحيح السنة أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من طين وأمر الله ملائكته بالسجود له، ثم أنزله عليه السلام إلى الأرض واستمرت ذريته إلى يومنا هذا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ويكفي في ذلك قوله تعالى : ﴿إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (2).

وأما انتماء الإنسان إلى فصائل متنوعة من القرود فدعوى عريضة جداً أبطلها العلم الحديث فضلاً عن أن القرآن الكريم أسقطها قبل ذلك بكثير (3) !!!



(1) صادق النيهوم الإسلام في الأسر (ص165-166)، ط الثالثة 1995، رياض الريس سوريا.

(2) ص: 71، 72.

(3) انظر ابو الحسن الندوي ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص 191.

المبحث الثالث

الحشـــــر

المبحث الثالث

الحـــــشـــــــر

بعد النفخ في الصور وبعث الناس من قبورهم يحشر الناس ويساقون إلى الموضع الذي يفصل الله فيه بين العباد.

الحشر لغة:-

تقول العرب: حشر الناس جمعهم، وبابه ضرب ونصر، ومنه يوم الحشر[1].

قال أبوهلال العسكري: (الحشر: هو الجمع مع السّوق، والشاهد قوله تعالى: ﴿وابعث في المدائن حاشرين﴾[2] أي: ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك، ومنه يوم الحشر لأن الخلق يجمعون فيه، ويساقون إلى الموقف)[3].

الحشر اصطلاحاً:

هو سوق الناس بعد جمعهم إلى أرض المحشر، قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[4]: (أي الخلائق، ومعنى الحشر: الجمع، أي جمعناهم إلى الموقف من كل مكان، فلم نغادر منهم أحداً، أي فلم نترك منهم أحداً..)[5].

---

(١) انظر مختار الصحاح (ص٨٢).

(٢) الشعراء: ٣٦.

(٣) أبوهلال العسكري الفروق في اللغة ١٣٦، ط الثالثة ١٩٧٩ - دار الآفاق الجديدة لبنان.

(٤) الكهف: ٤٧.

(٥) الشوكاني فتح القدير (٣/ ٢٩٢).



أنواع الحشر:-

قال الحافظ -نقلاً عن القرطبي-: (الحشر: الجمع، وهو أربعة: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة. فالذي في الدنيا:

أحدهما: المذكور في سورة الحشر، في قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾[1].

الثاني: الحشر المذكور في أشراط الساعة، . . . وفي حديث ابن عمر عند أحمد وأبي يعلى مرفوعاً: «تخرج نار قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس» الحديث، وفيه: «فماذا تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام»[2]، وأشار الحافظ إلى أن الحديث روي بألفاظ مختلفة، وذكر وجه الجمع بينها.

والحشر الثالث: حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف، قال الله عز وجل: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[3].

والرابع: حشرهم إلى الجنة أو النار»[4].

قال الحافظ ابن حجر: (الأول ليس حشراً مستقلاً، فإن المراد حشر كل موجود يومئذ، والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة)[5].

---

(١) الحشر: ٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/٨)، والترمذي (٤/ ٤٣١)ح (٢٢١٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) برقم، (٣٦٠٩).

(٣) الكهف: ٤٧.

(٤) فتح الباري: (١١/٣٧٨). وانظر التذكرة (١/٣٠٧).

(٥) فتح الباري: (١١/ ٣٧٩).

والمقصود في هذا المبحث هو حشر الخلائق جميعاً يوم القيامة وسوقهم لفصل القضاء كما ذكر ذلك الله في كتابه الكريم ؛ قال تعالى : ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير﴾ [2] .

قال الشنقيطي مفسراً هذه الآية :- (أي تشقق الأرض عنهم في حال كونهم مسرعين إلى الداعي ؛ وهو الملك الذي ينفخ في الصور ، ويدعو الناس إلى الحساب والجزاء . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الناس يوم البعث يخرجون من قبورهم مسرعين إلى المحشر قاصدين نحو الداعي ، جاء في آيات أخر من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ . .) [4] [5] .

وقال تعالى واصفاً حال المتقين : ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ [6] .

وقال تعالى واصفاً حال الكافرين : ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ [7] .

---

(١) الكهف : ٤٧ .

(٢) ق : ٤٤ .

(٣) المعارج : ٤٣ .

(٤) يس : ٥١ .

(٥) محمد الأمين الشنقيطي أضواء البيان (٧/ ٦٥٥-٦٥٦)

(٦) مريم : ٨٥ .

(٧) الإسراء : ٩٧ .

قال الشوكاني : (هذا الحشر علي الوجوه فيه وجهان للمفسرين :

الأول: أنه عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم ، من قول العرب : قد مر القوم على وجوههم إذا أسرعوا .

الثاني: أنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم حقيقة كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهانته وتعذيبه . وهذا هو الصحيح ، لقوله تعالى : ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾[1] ، ولما صح في السنة . . قوله : (عمياً وبكماً وصماً) هذه هيئة يبعثون عليها في أقبح صورة وأشنع منظر . وقد جمع الله لهم بين عمي البصر وعدم النطق وعدم السمع ، مع كونهم مسحوبين على وجوههم)[2] .

وقال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾[3] : (أقسم جل وعلا بنفسه الكريمة أنه يحشرهم ؛ أي الكافرين المنكرين للبعث ، وغيرهم من الناس ، ويحشر معهم الشياطين الذين كانوا يضلونهم في الدنيا ، وأنه يحضرهم حول جهنم جثياً . وهذان الأمران اللذان ذكرهما في الآية الكريمة أشار إليهما في غير هذا الموضع . أما حشره لهم ولشياطينهم ، فقد أشار إليه في قوله : ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾[4][5] .

وقد ورد في الحشر أحاديث نبوية عديدة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ يخطب فقال : «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ﴿كما بدأنا أول خلق

---

(١) القمر : ٤٨ .

(٢) الشوكاني فتح القدير (٣/ ٢٦١) .

(٣) مريم : ٦٨ .

(٤) الصافات : ٢٣ .

(٥) الشنقيطي أضواء البيان (٤/ ٣٤٥) .

نعيده﴾ [1]، وأن أول الخلائق يكسي يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصَيْحابي، فيقول الله عز وجل: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [2] قال فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم)، وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم ملاقوا الله حفاة عراة مشاة غرلاً»، وفي أخرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر [3].

منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحشرون حفاة عراة غرلاً. قالت عائشة فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك) [4].

ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»؟ قال قتادة بلى وعزة ربنا [5].

---

(١) الأنبياء/ ١٠٤

(٢) (المائدة/ ١١٧-١١٨)

(٣) البخاري في الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (٦/ ٣٨٦ ح ٣٣٤٩)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (١٧/ ٢٨١ ح٢٨٦٠)

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق باب الحشر (١١/ ٣٧٧ ح ٦٥٢٧)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (١٧/ ٢٨١ح٢٨٥٩).

(٥) البخاري في الرقاق باب الحشر (١١/ ٣٧٧ ح ٦٥٢٣)، ومسلم في كتاب المنافقين باب يحشر الكافر على وجهه (١٧/ ٢١٧ح ٢٨٠٦).



قال الحافظ ابن حجر : (ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن المقربين يحشرون ركباناً ، ومن دونهم من المسلمين على أقدامهم ، وأما الكفار فيحشرون على وجوههم)[(١)] .

أما في صفة أرض المحشر التي يحشر عليها الخلائق أجمعين فقد أخرج البخاري من حديث سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي» . قال سهل -أو غيره- : ليس فيها معلم لأحد[(٢)] .

قال الإمام النووي في شرحه العفراء : بالعين المهملة والمد بيضاء إلى حمرة . والنقي : بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء هو الدقيق الحوري ، وهو الدرمك . وهو الأرض الجيدة . قال القاضي : أن النار غير بياض وجه الأرض إلى الحمرة (ليس فيها علم أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر)[(٣)] .

قال الحافظ ابن حجر : (. . . قال أبو محمد بن أبي جمرة أنه قال : (فيه دليل على عظيم القدرة ، والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول ، لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها ، بخلاف مجيء الأمر بغتة .

وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً ، والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق ، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم ، وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض

---

(١) الفتح : (٨/ ٤٩٢) .

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق باب يقبض الله الأرض (١١/ ٣٧٢ح٦٥٢١) ، ومسلم في صفات المنافقين باب في البعث والنشور (١٧/ ١٩٥ ح٢٧٩٠) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٩٥) .

تليق بعظمته؛ ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده)[1].

وقال الحافظ: (فهي إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت وأعدمت، فإن أرض الموقف تجددت، وقد وقع للسلف في ذلك خلاف في المراد بقوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾[2]، هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها، أو تغيير صفاتها فقط، وحديث الباب يؤيد الأول)[3].



(١) فتح الباري: (١١/ ٣٧٥).

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤٨ .

(٣) فتح الباري: (١١/ ٣٧٥).

❖ **شبهات العلمانيين حول الحشر والرد عليها:-**

ما يقال عن الحشر هو بذاته ما يقال عن بقية عقائد اليوم الآخر؛ والتشكيك هو ذات التشكيك؛ فقد يكون من باب ادعاء عدم ثبوت أحاديث في هذا الموضوع أصلا؛ كما يدعي جمال البنا قائلاً :-

(وعرض الأحاديث على القرآن سيؤدي إلى التوقف أمام الأحاديث التي جاءت عن المغيبات بدءاً من الموت حتى يوم القيامة . . . والأحاديث التي تتحدث عن الفتن، والمهدي، والدجال، ثم الموت، وعذاب القبر، فالحشر والنشر، والجنة والنار، تجاوز المئات إلى الألوف، ونحن نطويها دون حساسية أو أسى . .)[1] .

وإذا كان جمال البنا قد أعرض عن آلاف الأحاديث التي تتحدث عن المغيبات بجرة قلم واحدة؛ فإن حسن حنفي لم يرض -كعادته- إلا أن يشكك بجزئيات الحشر والنشر ملقياً حولها بعض الشبه الذي يظن أنها تساعده في إنكار هذه الجزئية من جزئيات البعث، خاصة وأنه يعتقد بأن (علم أصول الدين اعتمد في هذا الموضوع على خيالات التصوف)[2] .

ثم يمضي حسن حنفي بوصفه لصور الحشر وأحوال المحشورين يوم القيامة فيقول :- (. . ويكون الحشر في صور مختلفة حسب الأعمال، فإذا كان الإنسان زانياً فإنه يخرج في صورة قرد ربما لأن الحياة الجنسية للقرود حياة المشاع، مؤخرتهم ظاهرة، حمراء مكورة تدل على العري وعدم الحياء . وهو مصدر التهكم الإنساني عندما يوصف إنسان بأنه قرد . وإذا كان من آكلي السحت والمكس فإنه يحشر في صورة خنزير لما كان الخنزير آكل القذارات والأوساخ . وإذا كان جائراً في الحكم فإنه يحشر أعمى نظراً لأن الجور عماء والظلم فقدان

---

(١) جمال البنا : نحو فقه جديد -الجزء الثاني- (ص٢٤٩، ٢٥١) .

(٢) حسن حنفي- النبوة والمعاد- (ص٥٠٤) .

للبصيرة والرؤية . وإذا كان معجباً بعمله فإنه يخرج أصم أبكم حتى لا يستمر في الإعجاب فلا يتحدث بثناء النفس ولا يسمع ثناء الآخرين ، وكأن نعمته في الدنيا قد حرم منها في الآخرة . وإذا كان واعظ سوء ، منافقاً ، تخالف أفعاله أقواله فإنه يحشر ماضغاً لسانه ، مدلياً على صدره ، يسيل القيح من فمه جزاء له على لوكه بالكلام دون إتمامه بالأفعال . وإذا كان مؤذياً لجيرانه فإنه يخرج مقطوع الأيدي والأرجل جزاء له على سعيه بالسوء واستعماله الأطراف للأذى . وإذا كان ساعياً بالناس إلى السلطان فإنه يخرج مصلوباً على جذوع من نار ، يلاقي من نفس العذاب الذي سببه للآخرين . وإذا كان مقبلاً على الشهوات واللذات مانعاً حق الله من أمواله فإنه يخرج أشد نتناً من الجيف وكأنه أكل في بطنه ناراً وسعيراً . وإذا كان من أهل الكبر والعجب والخيلاء فإنه يخرج لابساً جبة سابغة من قطران لاصقة بجلده إذلالاً له وكسراً لنفسه وقلباً لدنياه في آخرته . . .) [1] . وهذه الصور لأحوال الناس يوم القيامة كلها من خيال حنفي او كتب الصوفية الضالة ولا تستند على أي دليل ، والأمانة تقتضي ممن اراد النقد أن يتحلي بمنهجية البحث العلمي فيحدد مصدر نقوله ولا يتجنى في هذه النقول ! !

ثم لا يكفي هذا الوصف لأرض المحشر -عنده- حتى يلحقه بكثير من الأسئلة التشكيكية التي يقصد منها استبعاد حصول الحشر والنشر كعقيدة من العقائد الإسلامية المسلم بها عندنا . وكذلك يمضي الدكتور حنفي متسائلاً : - (وهل يحشر الجن والشياطين؟ من هم أنبياؤهم ورسلهم وما هي رسالاتهم التي أرسلت إليهم وهل لهم عقل واستطاعة على الفعل حتى يكونوا محاسبين؟ هل تبعث البهائم والحشرات والطيور؟ هل تبعث الوحوش الكاسرة والحيوانات المفترسة؟ من هم رسلهم وأنبياؤهم وما جوهر رسالاتهم؟ وهل لديهم عقل ورؤية أو قدرة أو استطاعة على الفعل؟ [2] .

---

(١) حسن حنفي - المرجع السابق - (ص٥٠٧، ٥٠٦) .

(٢) المرجع السابق (ص٥٠٦) .

وكل هذه الأسئلة تشكيكية اعتراضية، تبعاً لعقيدة حنفي التي آمن بها سلفاً واكتشفها بنفسه زاعماً أن صور الحشر والنشر إنما هي من صنع الإنسان وخيالاته!!!ولذلك يقول في نهاية مطاف شبهه التشكيكية: (والحقيقة أن كل هذه الصور إنسانية خالصة تقوم على قياس الغائب على الشاهد، خاصة في صور الحشر، وطريقة الوصول إلى المحشر، وفي تصور الأطفال، والحشرات في دورات المياه!!..)[1].

غير أن هذه الحقيقة التي توصل إليها الدكتور حنفي هي في حد ذاتها مجرد دعوى لا حقيقة لها؛ وإلا فما الدليل العقلي، أو الحسي، أو التجريبي على ما توصل إليه من أن كل هذه الصور (إنسانية خالصة تقوم على قياس الغائب على الشاهد).

إن زعمه بأن دعواه (حقيقة)؛ ودعوى غيره (خيال) هو تحكم محض.

ثم إن حسن حنفي لم يتطرق إلى الأدلة القرآنية التي تحدثت عن الحشر: وكان الواجب والذي يقتضيه المنهج العلمي والدراسة الموضوعية أن يذكر هذه الأدلة ثم يبين للقارىء وجه تأويلها الصحيح ليسلم له بعد ذلك ادعاؤه بنفي الحشر.

وأما تساؤلاته التشكيكية الكثيرة فقد أوردها على مسائل لم تثبت أصلاً عن الشارع؛ وأراد بذلك خلط الحق بالباطل ليصدر على الكل حكماً واحداً؛ كتصويره حال الزاني بأنه يحشر على صورة قرد ثم تعليقه على هذا بقوله (.. ربما لأن الحياة الجنسية للقرود حياة المشاع، مؤخرتهم ظاهرة، حمراء مكورة تدل على العري، وعدم الحياء، وهو مصدر التهكم الإنساني عندما يوصف إنسان بأنه قرد!!..)[2].

إلى غير ذلك من التصاوير التي أوردها من شروح المتأخرين في المعاد الأخروي وغالبيتها

(١ المرجع السابق (ص٥٠٦، ٥٠٨).

(٢) حسن حنفي -النبوة والمعاد- (٥٠٧).

أحاديث ضعيفة أو موضوعة أصلاً لا تنهض للاستدلال في قضية مهمة جداً في العقيدة كالحشر والنشر؛ فتصويره مثلاً حالة الزناة بأنهم يحشرون على هيئة القرود؛ وتعليقه على ذلك بأنه مصدر التهكم الإنساني عندما يوصف إنسان بأنه قرد؛ هو حيدة عن إيراد الأدلة النقلية الصحيحة في عقيدة الحشر ليصورها بأنها عقيدة نابعة من تصور إنساني خالص، وخيال سيطرت عليه الأساطير!!!.

وكان الأولى بالكاتب أن يتحلى بالشجاعة الأدبية ويعلنها صريحة أن الأدلة القرآنية لا تصلح دليلاً في إثبات العقائد -وهو ما يعتقده فعلاً- ولهذا نراه دائماً يتوصل إلى نتائج من مقدمات مقتضاها أن القرآن أسطورة وإن لم يصرح بهذه المقدمات؛ إلا أن النتائج تقتضيها.

وأما تساؤلات الدكتور حنفي حول حشر الجن والشياطين والحيوانات.. الخ؛ فالجواب عليها متوقف على إثبات أصل المسألة، فإن أثبت وقوع الحشر يوم القيامة -كما هو صريح الآيات القرآنية وصحيح الأحاديث النبوية وإجماع الأمة المحمدية- فبالإمكان مناقشته والإجابة على تساؤلاته بحسب ما ثبت بالنصوص النقلية إذ المسألة من قضايا الغيب؛ والدليل عليها هو النقل؛ وإن لم يثبت وقوع الحشر فلا معنى لكل ما أورده من تساؤلات فرعية.

ومع ذلك فقد ثبت بصريح الأدلة القرآنية وقوع الحشر للشياطين كقوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً۞ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً۞ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ (٢).

---

(١) مريم: (٦٨-٧٠).

(٢) الأنعام: ١٢٨.

فهذه الآيات صريحة في حشر الجن والشياطين، وأما حشر الحيوانات فالآيات والأحاديث كذلك ثابتة تقرر هذا كقوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ [1].

وقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ [2].

وقول النبي ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» [3].

ومما يدل على حشر الحيوانات يوم القيامة ما ورد في الصحيحين في حديث مانع الزكاة الطويل، ومنه أن الإبل والبقر والغنم تجيء يوم القيامة أعظم مما كانت وتطأ مانع زكاتها بأظلافها وتنطحه بقرونها حتى يقضي الله بين العباد [4].

فحشر الحيوانات وغيرها لبيان قدرة الخالق وعظمته سبحانه فإن ذلك من مقاصد الاخبار عن افقال الله عز وجل في الآخرة.

فمن يثبت الحشر لا بد له من الإيمان بهذه الأدلة النقلية الصريحة الصحيحة؛ ومن نفى الحشر فلا طائل من الدخول معه في جدال عقيم حول ثبوت الحشر بالأدلة النقلية إذ هو لا يثبتها أصلاً، وإنما يكون الجدال معه حول إمكانية البعث عقلاً ويدخل تحت البعث مباحث الحشر والنشر وغيرها، وقد تقدمت مناقشة منكري البعث عقلاً فلتراجع هناك.

---

(١) التكوير: ٥ .

(٢) الأنعام: ٣٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (١٦/ ٢٠٥ ح ٢٥٨٢)، عن أبي هريرة، والشاة الجلحاء هي التي لا قرون لها.

(٤) انظر البخاري كتاب الزكاة - باب إثم مانع الزكاة (٣/ ٢٦٧ ح ١٤٠٢)، وفي تفسير آل عمران، ومسلم في الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٧/ ٨٩ ح ٩٨٧).

المبحث الرابع
الفصل والحساب

يوم الفصل، ويوم الحساب من أسماء يوم القيامة التي يفصل الله فيها بين الخلائق ويحاسب المسيء على إساءته، ويجازي المحسن على إحسانه، كما قال تعالى: ﴿. . إنما توعدون لواقع ❖ فإذا النجوم طمست ❖ وإذا السماء فرجت ❖ وإذا الجبال نسفت ❖ وإذا الرسل أقتت ❖ لأي يوم أجلت ❖ ليوم الفصل ❖ وما أدراك ما يوم الفصل ❖ ويل يومئذ للمكذبين. .﴾ (١).

والحساب في لغة العرب: العد، وحسب الشيء يحسبه حسباً وحساباً، وحسابه عده، والحسبان الحساب، وفي التنزيل: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ (٢) أي بحساب ومنازل لا يعدو عنها (٣).

وقال الزجاج: بحسبان يدل على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات، والحسبان بالضم: العذاب والبلاء. . (٤).

أما الحساب في الاصطلاح: فتوقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلاً، ويكون للمؤمن والكافر، إنساً وجناً إلا من استثنى منهم (٥).

وحساب الله للخلائق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) المرسلات: (٧-١٥).

(٢) الرحمن: ٥ .

(٣) انظر ابن منظور لسان العرب (٢/ ٨٦٦).

(٤) انظر ابن منظور لسان العرب (٢/ ٨٦٦).

(٥) انظر ابراهيم بن محمد البيجوري تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (١٧٢) دار الكتب العلمية بيروت، وأصول الدين لجمال الدين الغزنوي (ص٢٢٥) ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٧١).

قال تعالى : ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ❖ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [2] .

وقال جل ذكره : ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [3] ؛ وقال تعالى : ﴿ليجزي الله كل ما نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ❖ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ [7] .

وقال جل ذكره : ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ❖ حتى إذا

---

(١) الرعد (٤١)
(٢) النحل : (٨٩-٩٠)
(٣) البقرة : (٢٨٤)
(٤) إبراهيم : (٥١)
(٥) غافر : (١٥-١٦)
(٦) الحاقة : (١٨)
(٧) الحجر : (٩٢)

جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أم ماذا كنتم تعملون ❖ ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون﴾ (١).

وقال تعالى واصفا طول ذلك اليوم العظيم : ﴿سأل سائل بعذاب واقع ❖ للكافرين ليس له دافع ❖ من الله ذي المعارج ❖ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ❖ فاصبر صبراً جميلاً ❖ إنهم يرونه بعيداً ❖ ونراه قريباً ❖ يوم تكون السماء كالمهل ❖ وتكون الجبال كالعهن ❖ ولا يسأل حميم حميماً ❖ يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ❖ وصاحبته وأخيه ❖ وفصيلته التي تؤويه ❖ ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾ (٢).

وأما الأحاديث المثبتة للحساب فكثيرة، منها ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾؟ فقال رسول الله ﷺ «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب» (٣).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم . فيقال له قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك» (٤).

قال الحافظ ابن حجر : (. . فمراد الحديث : أردت منك حين اخذت الميثاق ، فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك ، ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلب ، والمعنى : أمرتك فلم تفعل ، لأنه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد . .) (٥).

---

(١) النحل : (٨٣-٨٤)
(٢) المعارج : (١-١٤)
(الانشقاق/ ٨)
(٣) رواه البخاري كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب(١١/ ٤٠٠ ح ٦٥٣٧)، ومسلم في الجنة ، باب إثبات الحساب (١٧/ ٣٠٢ ح ٢٨٧٦ .
(٤) رواه مسلم (١٧/ ٢١٥ ح ٢٨٠٥) في صفات المنافقين ، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً ، والبخاري الفتح (١١/ ٤٠٠ ح ٦٥٣٨ .
(٥) فتح الباري (١١/ ٤٠٣) .

وعن عدي بن حاتم قال: قال النبي ﷺ : «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(١).

وعن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن -أو قال يا ابن عمر- هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه: فيقول هل تعرف ذنب كذا؟ يقول أعرف، يقول رب أعرف، مرتين فيقول أنا سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته. وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»(٢).

وفي هذا اليوم العظيم يدني الله الشمس من رؤوس العباد حتى يغيب أحدهم في عرقه كما في حديث المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل. فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون الى ركبته، ومنهم من يكون الى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق الجاما، قال: واشار الرسول ﷺ الى فيه)(٣).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: (باب القصاص يوم القيامة، وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور الحقة والحاقة واحد، والقارعة والغاشية والصاخة والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار» ثم ساق بسند حديث ابن مسعود قال قال النبي ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس بالدماء»(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٤٢٣ ح ٧٤٤٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، ومسلم (٧/ ١٤١ /ح١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار

(٢) رواه البخاري (٥/ ٩٦ ح ٢٤٤١) في كتاب المظالم باب قول الله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾، ومسلم في التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (١٧/ ١٣٥ح ٢٧٦٨)

(٣) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب صفة يوم القيامة (١٧/ ٢٨٥ / ح٢٨٦٤)

(٤) البخاري (١١/ ٣٩٥ ح ٦٥٣٣) في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (١٢/ ١٨٧ ح ٦٨٦٤) في الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾، ومسلم (١١/ ٢٣٩ /ح١٦٧٨) في القيامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة.

وحـديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ: «من كـانت عنده مظلمـة لأخيـه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه» (١).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا» (٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال هل تدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: من مخاطبة العبد ربه، يقول: رب ألم تجرني من الظلم؟قال: يقول: بلى. قال: فيقول: لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكتاب شهوداً، قال: فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل»(٣).

ومن فضائل هذه الأمة التي امتن الله بها عليها أن طائفة تدخل الجنة بلا حساب ففي الحديث: «عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سواداً سد الأفق فرجوت أن تكون أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل: انظر، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب» (٤).

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٩٥ ح ٦٥٣٤) في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (٥/ ١٠١ ح ٢٤٤٩) في المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته.
(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٥٩ ح ٦٥٣٥) في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (٥/ ٩٦ ح ٢٤٤٠) في المظالم، باب قصاص المظالم.
(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق (١٨/ ١٣٨ / ح٢٩٦٩).
(٤) أخرجه البخاري كتاب الطب باب من لم يرق (١٠/ ٢١١ ح ٥٧٥٢).

وعلى هذه العقيدة من الإيمان بالحساب وفصل القضاء يوم القيامة أجمعت الأمة المحمدية:-

قال الإمام الطحاوي : (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب ، وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب . .)[1] .

وقال ابن حزم : (. . . وأن البعث حق ، والحساب حق . . يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام ، من خرج عنه خرج عن الإسلام ، قال تعالى : ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾[3] [4] .

وقال القاضي عبد الجبار : (. . وأما الحساب فمما لا يجوز إنكاره ، فقد قال تعالى : ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ❖ وينقلب إلى أهله مسروراً﴾[5] [6] .

❖ شبهات العلمانيين حول الفصل والحساب والرد عليها:-

يعتقد هشام جعيط وهو علماني تونسي : (أن الإسلام ككل دين نشأ في بيئة ذهنية معينة ، وفي جو فكري معين ، وفي عصر بشري ؛ سيطر فيه المظهر العجيب على أفق الإنسان ، وهو ورث فضلاً عن ذلك أغلب التقاليد اليهودية والنصرانية ، فيتضمن القرآن الملائكة ورؤسائهم ، وإبليس وجيشه من الشياطين والجن ، ويظهر أن هؤلاء اقتبسوا من الخرافات المحلية . .)[7] .

---

(١) ابن أبي العز شرح الطحاوية (٤٠٤) وانظر شرح ابن مانع على السفارينية (ص٢٤٠)
(٢) المؤمنون : (٦)
(٣) الكهف : (٤٩)
(٤) ابن حزم الدرة فيما يجب اعتقاده (ص٢٠٦-٢٠٧)
(٥) الانشقاق : (٧-٩)
(٦) القاضي عبدالجبار الأصول الخمسة (ص ٧٣٦)
(٧) د/ هشام جعيط الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي الإسلامي (ص١٢٤) ترجمة المنجي الصيادي (ط١٩٨٤) دار الطليعة بيروت

وهذه المقدمة – عند جعيط – كانت من أجل الوصول إلى نتيجة ضرورية للعقل الناقد كما يزعم فيما يخص مفهوم الحساب والتي مفادها أن : (التفكير المتسلح يمكنه التقدم خطوات أخرى ، فيتساءل : كيف يقبل العقل الناقد العذاب الأبدي فضلاً عن كونه جسدياً بالنسبة لغير المؤمنين؟ وكيف للنزعة الإنسانية الكونية لعصرنا أن تسمح بذلك؟ أين يكمن الحل للتناقض بين الحرية ومسؤولية الإنسان التي يتضمنها مفهوم الحساب؟ وبين قدرة الله وظلمه أو يكاد!! التي يترجم عنها القضاء والقدر؟ وهذا الاله ذاته الشخصي والمتعالي أي لعبة يلعب؟ ولماذا كان متخفياً؟ أو لا يتكشف مرة واحدة وبوضوح للإنسان؟ . .)[1].

فهو يرى أن الحساب يناقض مفهوم الحرية الإنسانية وأن الحساب يؤكد –في نظره– ظلم الله للإنسان؟!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ولا يبعد عن هذا كثيراً رأي (أحمد ظاهر) وهو علماني من سوريا والذي كتب مقالاً بعنوان : (مفهوم الله من مستقبل ما بعد الموت إلى مستقبل شئون الحياة) ، نشر في مجلة الناقد اللبنانية وهي الناطق الرسمي بلسان العلمانيين العرب ، وقد جاء في مقالته : (. . يفترض هذا البحث (يعني بحثه) أن الله موجود على الشاكلة التي تحدث بها القرآن الكريم والتي تحدثت عنها الفرق الدينية الإسلامية.

حتى أن هذا البحث يذهب لنقطة أبعد من ذلك؛ ليقول بأنه يحترم الآراء التي وصفت الاله (الآلهة) في الديانات والمعتقدات الأخرى ، وسواء كان الله موجوداً ، أو غير ذلك ، فالأمر لا يعنينا بقليل أو كثير ، ولكننا وانطلاقاً من أن الغالبية العظمى من البشر مؤمنون بوجوده فإننا سننطلق من هذه القضية . .)[2].

ويصل أحمد ظاهر بعد هذه المقدمة إلى القول عن مفهوم الله تعالى : (. . علينا أن نقنع أنفسنا أننا لا نستحق تهديده ، ولا نستحق ثوابه ، فنحن هنا زائرون ، علينا أن لا ندفع ثمن

---

(١) المرجع السابق (ص١٢٤)
(٢) أحمد ظاهر –مفهوم الله– من مستقبل ما بعد الموت إلى مستقبل شئون الحياة– مقالة نشرت ضمن مجموع كتاب الناقد (نواب الأرض والسماء) (ص٨٧) الطبعة الأولى (١٩٩٥) رياض الريس سوريا

وجودنا على هذه الأرض . . علينا أن نقنع أنفسنا بعدم جدوى تعفير جباهنا تحت أقدامه صباح مساء لأنني واثق أنه ليس بحاجة لذلك .

علينا أن نقنع أنفسنا بأننا ونحن نعيش بين أهلنا وذوينا ، لسنا غرباء عن ذواتنا ، وعن الآخرين ، وعن الأرض التي نعيش عليها ، ولنبتعد عن عزاء أنفسنا المستمر ، والأكثر من هذا أو ذاك أن لا نفرض على أنفسنا أن نعيش من خلال مفهومين فقط : مفهوم الحرام الديني ، والعيب الاجتماعي فالحرام هو أن نفني حياتنا بكاملها ونحن نفكر في الماضي وكيف يمكن إعادته كما كان ؛ ونعيش دوماً مع الأموات ؛ ونكترث كثيراً لقضية ما يتبع الموت والعيب : أن نحجب أنفسنا عن الواقع الذي نعيش) (١) .

وإذا كان أحمد ظاهر يدعو إلى عدم الاكتراث كثيراً لقضية ما يتبع الموت ، فإن الدكتور حسن حنفي لديه الكثير من التساؤلات التشكيكية حول ما بعد الموت ، وخاصة عقيدة الحساب يوم القيامة . فيقول متسائلاً : -

(ويستثني الملائكة والأنبياء وسبعون ألفاً من هذه الأمة ومن تبعهم من الحساب . وهم الذين وصلت أعمالهم الحسنة من البداهة بحيث تصبح نتيجة الحساب معروفة سلفاً ، وأفضل من يحاسب وأولهم أبوبكر . وماذا عن الصبية والمجانين والمعذبين في الأرض؟ ولماذا يستثني سبعون ألفاً يتبع كل منهم سبعون ألفاً فتكون النتيجة ٤,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ أي ما يقارب الخمسة مليارات وهو ما يعادل سكان الأرض تقريباً؟ وهل التقليد يغني عن الحساب؟ وإن استثناء المعصومين من الحساب يدل أيضاً على أثر شيعي وأن كل فريق يستثني أصحابه من الحساب ويضع فيه خصومه . وتكون أمة الإسلام آخر أمة في الحساب مع أنها أولها في الفضل والخير . فهل هذا عدل أم كرم أم موضوعية صرفة؟ هل لأن أخطاءها قليلة أم أن مسؤولياتها جسام؟ أليست محتلة ومتخلفة ومقهورة ومستغلة ومجزأة ومغرية ولا مبالية ، تعرف الحق ولا تعمل به وهو أسوأ مما لا يعرف الحق؟) (٢) .

---

(١) المرجع السابق (ص٨٩)

(٢) حسن حنفي - النبوة والمعاد (٥٦٢-٥٦٣)



وأما الدكتور عاطف أحمد فيرى أن فكرة الثواب والعقاب في العالم الآخر هي فكرة تصلح للأطفال في المجال التربوي، لا لمن بلغوا حد النضج؛ ولذلك يقول: (ولو حاولنا التعرف على المفاهيم التي يقدمها الدين بالنسبة للمسألتين الأساسيتين في النظرية الأخلاقية، لوجدنا أنه بالنسبة للمسألة الأولى يقدم النص الديني كمقياس لا يقبل الجدل، فما ذكر فيه على أنه صواب فهو صواب، وما ذكر فيه على أنه خطأ فهو خطأ، دون إقناع أو تفسير أو تبرير، وما لم يذكر فيه فهو إذن ليس بالخطأ ولا بالصواب، ثم هو بالنسبة للمسألة الثانية يقوم على فكرة الثواب والعقاب في العالم الآخر، وهي فكرة قد تصلح في مجال التعليم التربوي للأطفال بعد نقلها من العالم الآخر إلى العالم الواقعي، ولكنها لا تقنع عقلاً بلغ الحد الأدنى من النضج) (١).

والجواب على هذه الشبه:-

لا يخفى ميل الكاتب الدكتور هشام جعيط للفكر اليهودي المادي الذي يظهر بوضوح في دفاعه عن اليهود الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولته اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بظلمهم، كما ظهر بوضوح تأثره بالنزعة المادية اليهودية عندما قال: (وهذا الاله ذاته الشخصي والمتعالي أي لعبة يلعب؟ ولماذا كان متخفياً؟ أو لا ينكشف مرة واحدة وبوضوح للإنسان) (٢).

ولا شك أنه في ذلك إنما يطالب ويحتج بما احتج به بنو إسرائيل عندما قالوا لموسى عليه السلام: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (٣).

وإذا كان بين النتائج الصحيحة والمقدمات ترابط منطقي، فبين ميل الدكتور هشام جعيط لليهود وتأثره بالنزعة المادية اليهودية ترابط منطقي أيضاً يكشف لنا عن مدى تأثره بالفكر

(١) د. عاطف أحمد- نقد الفهم العصري للقرآن (ص٣١/ ٣٢) ط الثالثة (١٩٨٥)
(٢) د. هشام جعيط الشخصية العربية الإسلامية (ص١٢٤)
(٣) البقرة: (٥٥)

اليهودي وأن مرجعيته الثقافية والفكرية هي مرجعية ثقافية يهودية (ماركسية)[1].

كما يظهر ذلك أيضاً في جرأته على الله عز وجل ووصفه له (باللعب) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وهذا شبيه تماماً بجرأة اليهود ووصفهم لله عز وجل بما لا يليق كما ذكر الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾[2].

وقوله تعالى عنهم: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذقوا عذاب الحريق﴾[3].

وأما أسئلة وشبهات الكاتب حول كيفية قبول العذاب الأبدي، وكيف للنزعة الإنسانية أن تسمح بذلك وكيفية حل التناقض بين الحرية الإنسانية ومسؤولية الإنسان الذي يتضمنها الحساب الأخروي وقدرة الله وظلمه التي يتضمنها الإيمان بالقضاء والقدر؟! إنما يحسن عرضها والإجابة عليها مع من يؤمن بوجود هذا الإله إذ كل هذه الأسئلة هي فرع عن أصل وهو الإيمان بوجود الله عز وجل، وأما من يشك في وجوده ويستهزيء به ويصفه (باللعب) فلا يقبل منه أن يدعي أن هناك تناقضاً بين قضيتين لا وجود لهما أصلاً في نظره؛ وإنما يكفيه أن يقول: لا أؤمن بالله؛ لينتهي من كل ما يتفرع عن قضية الإيمان به تعالى.

ومع ذلك فلم يستطع الكاتب أن يقيم الأدلة على استحالة وقوع العذاب الأبدي، ولو كان يملك دليلاً عقلياً أو مادياً لما اكتفى بالسؤال بـ (كيف؟)؛ ولهذا أثبت كثير من الفلاسفة -حتى من غير المسلمين بل ومن غير أهل الأديان السماوية- بقاء الروح بعد الموت مخلدة في النعيم أو العذاب جزاء على ما قدمته في هذه الحياة الدنيا، إذ لا يتصور العقل أن تنتهي الحياة بهذه الطريقة دون أن ينال الظالم جزاء ظلمه ويقتص المظلوم من ظالمه، ولهذا قال الفيلسوف الفرنسي (فولتير): (إذا لم يكن الله موجوداً لوجب اختراعه، ويجب أن نؤمن بالله حتى تكون زوجتي أكثر وفاء لي، وخادمي أقل لصوصية)[4].

(١) انظر كتابه الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر ص ٢٧ ترجمة خليل أحمد ط ١٩٩٢ دار الطليعة ، بيروت
(٢) المائدة : ٦٤
(٣) آل عمران: (١٨١)
(٤) د. توفيق الطويل قصة الاضطهاد الديني (ص١٢٨)



بل إن السبب الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في ردع القضاة عن الظلم بين العباد هو اقتناعهم بوجود الحساب الأخروي والمحاكمة الإلهية لهؤلاء القضاة؛ ثم ما هي النزعة الإنسانية التي يحاول هشام جعيط استعداءها على هذه القضية العقائدية؛ وهي التي تنزع إلى الإيمان بالحساب الأخروي؟!! فمعلوم أن جميع أهل الأديان السماوية بل وجميع الأديان الوثنية كلها تؤمن بوجوب الحساب الأخروي الذي ينال فيه كل إنسان جزاء أعماله في هذه الحياة؛ ولولا أن هذا الاعتقاد هو ما يقتضيه العقل السليم والفطرة الصحيحة؛ لما أجمع عليه أكثر أهل الأرض وإن اختلفت تصوراتهم لذلك اليوم.

وأما دعوى الكاتب جعيط التناقض بين الحرية الإنسانية التي يتضمنها الحساب... الخ فدعوى باطلة لم يسبقه إليها أحد إذ بالإمكان إثبات حرية الإنسان -كما هو الواقع- ومسؤوليته عن تصرفاته وأفعاله التي تقتضي وجوب محاسبته ما دام حراً مسؤولاً، وكذلك إثبات علم الله عز وجل الأزلي بأفعال عباده قبل أن يعملوها وتقديره لها وفق ذلك العلم الأزلي (القضاء والقدر) ولا يكون الله عز وجل بذلك قد ظلمهم، بل أنصفهم غاية الإنصاف إذ مكنهم من تنفيذ إرادتهم وإيقاع أفعالهم على وفق ما أرادوه، -مع بغض الله وكرهه لأفعالهم السيئة- ولو شاء أن لا يقع في ملكه شيء لما وقع؛ غير أن عدله جل وعلا قضى بوقوع ذلك.

كما قال تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ [1] فأثبت سبحانه وتعالى المشيئة الإنسانية، وأنها لا تخرج أيضاً عن المشيئة الإلهية، وقال تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [2] وقال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [3] وقال عز وجل: ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ [4].

وأما ما دعى العلماني السوري (أحمد ظاهر) إليه من عدم الاكتراث كثيراً بما يتبع الموت من حساب وعقاب فإنها إنما تقبل على أساس أنه لا يوجد إله، وعلى أساس أنه لا صحة لما جاء به

---

(١) الانشقاق: (٧-٨)
(٢) الأعراف: (٦-٧)
(٣) المائدة: (١١٦)
(٤) البقرة: (١٤٣).



الأنبياء عن الله عز وجل من إخبار عن الحساب الأخروي .

أما والباحث قد افترض في أول كلامه أنه مع عدم اهتمامه بقضية وجود الله وعدم وجوده؛ إلا أنه سينطلق من إيمان الغالبية العظمى من البشر بوجود الله على حد تعبيره؛ فإنه يكون قد تناقض وهدم كل ما أراد الوصول إليه إذ أن انطلاقه من ذلك الأساس الذي ينطلق منه أكثر أهل الأرض -يفرض عليه ببداهة العقل التسليم بما يقتضيه ذلك الإيمان؛ وإلا فكيف يطالب (أحمد ظاهر) المؤمنين بالله أن لا يؤمنوا به؟!!

ثم يزعم أنه يسلم لهم بدعوى الإيمان بالله؟!! ألا يعد ذلك تناقضاً مضحكاً؟!!

إن على الكاتب -إن أراد من الآخرين التسليم له بما دعا إليه من عدم الاكتراث كثيراً بقضايا (العيب الاجتماعي) (والحرام الديني) أن يقيم الأدلة أولاً على عدم صدق ما جاء به الأنبياء الذين وضعوا حدود (الحرام الديني)، وإلى أن يفعل الكاتب ذلك سيظل كلامه فاقداً لأبسط ما تقتضيه قواعد المنطق السليم؛ إذ المفترض أنه يخاطب الجماهير المؤمنة بالله عز وجل .

وأما حسن حنفي فقد أورد شبهاته حول الحساب الأخروي لا ليناقشها ويتوصل إلى الحقيقة وإنما ليشكك في الحساب الأخروي نفسه وبثبوته ، ولم يستطع مع كثرة ما أورده من تساؤلات أن يتطرق لأصل القضية وهل الحساب الأخروي في حيز الإمكان العقلي أم لا .

بل وأخذ يعرض تساؤلات وشبهات لا أصل لها كقوله (ويستثني الملائكة) إذ معلوم أن الملائكة لا يحاسبون أصلاً يوم القيامة وإنما أورد الكاتب هذه الشبهة إمعاناً في تضليل القارىء وخلطاً للحق بالباطل .

وأما الأنبياء والصالحون والسبعون ألفاً الوارد ذكرهم في الحديث الصحيح كما تقدم فإنهم يحاسبون حساباً يسيراً كما قال تعالى : ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [1]، وقد قال الله تعالى في سؤال الرسل يوم القيامة :-

---

(١) الانشقاق : ٧-٨ .

﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ❁ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾[1].

وقال تعالى عن سؤاله لعيسى عليه السلام يوم القيامة : ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [2].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجي نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب. فيقول لأمته هل بلغكم؟ فيقولون لا ماجاءنا من نبي. فيقول لنوح : من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته. فنشهد أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [3][4].

فقد ثبت بصريح الكتاب والسنة أن الجميع مسؤولون بين يدي الله عز وجل حتى الرسل عليهم السلام، وأن أهل الإيمان والصديقين محاسبون إلا أن حسابهم يسير؛ وإنما كما جاء في الحديث الصحيح «من نوقش الحساب عذب» [5]، ويستدل لذلك أيضاً بقوله عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان» [6]، وأما حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فالمقصود بالحساب هنا المناقشة جمعاً بين الأدلة.

وأما دعوى الكاتب من أن أول من يحاسب هو أبوبكر رضي الله عنه فدعوى لا دليل عليها ولم يثبت بها نص صحيح.

أما موقف الدكتور عاطف أحمد من قضية الحساب الأخروي والنص الديني، فمتوافق مع نظريته المادية للوجود؛ وما دام النص الديني في نظره لا يثبت بطريق علمي؛ وأن بينه وبين

---

(١) الأعراف : ٦-٧ .
(٢) المائدة : ١١٦ .
(٣) البقرة : ١٤٣ .
(٤) أخرجه البخاري في الأنبياء باب قول الله عز وجل ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ (٦/ ٣٧١ ح ٣٣٣٩) .
(٥) تقدم تخريجه .
(٦) تقدم تخريجه .

العلم تناقض أساسي (ذلك التناقض الذي يتضح من كونهما -أي العلم والدين- نمطين مختلفين من أنماط التفكير) [1]- فالنتيجة المنطقية هي التشكيك في صلاحية الدين كمقياس لمعرفة الصواب والخطأ، وكمصدر من مصادر المعرفة؛ إذ لا سبيل إلى معرفة ما بعد الموت إلا عن طريق الرسل الذين جاؤوا بالدين (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) من عند الله عز وجل.

وأما دعواه أن فكرة الثواب والعقاب في العالم الأخروي لا تصلح إلا للأطفال في مجال التعليم التربوي؛ وإنها لا تقنع عقلاً بلغ الحد الأدنى من النضج؛ فخروج عن العلمية والحد الأدنى من الموضوعية؛ إذ كانت وما زالت هذه الفكرة عقيدة يؤمن بها الفلاسفة والحكماء اللادينيين فضلاً عن المؤمنين وأتباع المرسلين.

ولا يمكن أن يجعل الكاتب عقله هو المقياس لما يجب قبوله ورفضه؛ وإذ كان عقله قد عجز عن الاقتناع بهذه (الفكرة) فلا يضرها ذلك ما دامت ملايين العقول ترى أنها حجر الأساس في استقامة الحياة الإنسانية التي لا يمكن أن تصلح إلا بالإيمان بالجزاء الأخروي والثواب والعقاب؛ وإلا استحالت الحياة الإنسانية إلى فوضى أشد مما هي عليه الآن يأكل فيها القوي الضعيف؛ والغني الفقير!!.

(١) د. عاطف أحمد، نقد الفهم العصري للقرآن ص ٦ .

المبحث الخامس

الصحف والميزان

المبحث الخامس
الصحف والميزان

من مشاهد يوم القيامة التي جاءت بصريح القرآن وصحيح السنة النبوية تطاير الصحف ووزن الأعمال؛ وصحائف الأعمال عبارة عن الكتب التي سطر فيها الملائكة الموكلون ما صنع العباد من خير وشر كما قال تعالى:- ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بل ورسلنا لديهم يكتبون﴾ (٢).

وقال تعالى:- ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ❖ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (٣).

وقال جل ذكره: ﴿وإن عليكم لحافظين ❖ كراماً كاتبين ❖ يعلمون ما تفعلون﴾ (٤).

وكتابة الملائكة لأعمال العباد ثابتة كذلك في السنة النبوية الصحيحة، وأحاديثها كثيرة منها ما جاء عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه قال: كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال: "سمع الله لمن حمده" قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: "من المتكلم؟" قال: أنا، قال: "رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً" (٥).

---

(١) يونس: (٢١)
(٢) الزخرف: (٨٠)
(٣) ق: (١٧-١٨)
(٤) الانفطار: (١٠-١٢)
(٥) أخرجه البخاري كتاب الأذان باب فضل اللهم ربنا لك الحمد (٢/ ٢٨٤ ح ٧٩٩)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر»(1).

ثم إن هذه الصحف التي كتبت عن العبد في الحياة الدنيا تعرض عليه ويأخذها بيمينه أو شماله يوم القيامة، كما أخبر الله عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾(2)، وقال جل من قائل: -

﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾(3).

وقال عز وجل: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾(4).

وقال تعالى واصفاً حال المؤمنين: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه ❖ إني ظننت أني ملاق حسابيه ❖ فهو في عيشة راضية ❖ في جنة عالية ❖ قطوفها دانية ❖ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ❖﴾(5).

ثم قال جل ذكره واصفاً حال الكفار والفجار يوم القيامة: - ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ❖ ولم أدر ما حسابيه ❖ يا ليتها كانت القاضية ❖ ما أغنى عني ماليه ❖ هلك عني سلطانيه﴾(6).

(1) أخرجه البخاري كتاب الجمعة باب الاستماع إلى الخطبة (٢/ ٤٠٧ ح ٩٢٩) ومسلم كتاب الجمعة باب فضل التهجير إلى الجمعة (٦/ ٢٠٧ ح ٨٥٠)
(2) التكوير: (١٠)
(3) الكهف: (٤٩)
(4) الإسراء: (١٣-١٤)
(5) (6) الحاقة: (١٩-٢٩)



وقال جل من قائل: ﴿يوم ندعو كل إناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً﴾ (1).

وقال تعالى كذلك: - ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه ❖ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ❖ وينقلب إلى أهله مسروراً ❖ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ❖ فسوف يدعو ثبوراً ❖ ويصلى سعيراً﴾ (2).

وقد ثبت في السنة النبوية الصحيحة ما يدل على إعطاء الصحائف للعبد يوم القيامة وتقريره بما فيها، كما جاء في حديث صفوان بن محرز قال:

بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن -أو قال: ياابن عمر- هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النجوى؟ فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين؛ فيقول: أنا سترتها في الدنيا؛ وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته. وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» (3).

وتقرير المرء بذنوبه هو العرض الذي ذكر في الحديث الصحيح الذي روته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت يا رسول الله: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ (4)؟! فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب» (5).

---

(1) الإسراء: (71)
(2) الانشقاق: (7-12)
(3) رواه البخاري كتاب تفسير القرآن باب ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا﴾ (8/ 353ح 4685) ومسلم في التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (17/ 135ح 2768)
(4) الانشقاق: (7-8)
(5) تقدم تخريجه

وعلى هذه العقيدة أجمع أهل السنة والجماعة وآمنوا بها؛ قال الإمام الطحاوي رحمه الله :-

(ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب والثواب والعقاب، والصراط والميزان)[1].

وقال الإمام الأشعري: (وأجمعوا .. أن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً)[2].

وقال جمال الدين الغزنوي الحنفي: (.. قراءة الكتاب حق، فمن الناس من يعطى كتابه بيمينه، ومنهم من يعطى كتابه بشماله، منهم من يعطى كتابه وراء ظهره، قال الله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ❁ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ وقال عز وجل: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ..﴾[3].

وقال السفاريني: (والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع)[4].

ثم بعد صحائف الأعمال يأتي ذكر الميزان حيث توزن أعمال العباد؛ قال القرطبي :- (قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها)[5].

---

(١) شرح الطحاوية (ص٤٠٤)
(٢) أبو الحسن الأشعري رسالة إلى أهل الثغر (ص١٦٢)
(٣) جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي- كتاب أصول الدين (ص ٢٢٦-٢٢٧).
(٤) السفاريني لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨١) وانظر كذلك الإمام الصابوني -عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١/ ١٢١) والدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم الأندلسي (ص٢٨٩)
(٥) القرطبي التذكرة (٢/ ١٠)

والميزان لغة: مأخوذ من الوزن وهو ثقل شيء بشيء مثله، قال الراغب: الوزن معرفة قدر الشيء.. والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان [1].

والميزان: الآلة التي يوزن بها الأشياء، قال الجوهري: أصله موزان انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وجمعه موازين، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه، موازين، قال تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط﴾ [2] يريد: نضع الميزان [3].

قال الراغب: - (إن مجيء الميزان على صيغة الجمع تارة، ومجيئه تارة أخرى بالإفراد فإنما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين، فمجيئه بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب، ومجيئه بالجمع اعتباراً بالمحاسبين) [4].

والميزان في لغة العرب له عدة معان منها: - العدل، والكتاب الذي فيه أعمال الخلق، ويطلق الميزان والوزن على قيمة الشيء وبيان قدره كما تقول العرب: ما لفلان عندنا وزن، أي: قدر وذلك لخسته، ويقال وزن الشيء إذا قدره، ووزن النخل إذا خرصه.. قال الأزهري (وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ) [5].

وأما الميزان في الاصطلاح: - فهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال الخلائق يوم القيامة فإما بخير وإما بشر.

نقل الحافظ ابن حجر عن أبي إسحاق الزجاج قال: (أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة) [6].

---

(١) انظر الراغب الاصفهاني- المفردات (ص٥٣٧) وانظر ابن منظور لسان العرب (٦/ ٤٨٢٨) ط الشعب
(٢) الأنبياء: (٤٧)
(٣) انظر لسان العرب لابن منظور (٦/ ٤٨٢٨)
(٤) الراغب في المفردات (ص٥٣٧)
(٥) الأزهري تهذيب اللغة (١٣/ ٢٥٦-٢٥٧)
(٦) ابن حجر- فتح الباري (١٣/ ٥٣٨)



وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: -

﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [1].

قال الأمين الشنقيطي: -

(ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يضع الموازين القسط ليوم القيامة، فتوزن أعمالهم وزناً في غاية العدالة والإنصاف، فلا يظلم الله أحداً شيئاً، وأن عمله من الخير أو الشر وإن كان في غاية القلة والدقة كمثقال حبة من خردل، فإن الله يأتي به؛ لأنه لا يخفى عليه شيء، وكفى به جل وعلا حاسباً لإحاطة علمه بكل شيء. وبين في غير هذا الموضع أن الموازين عند ذلك الوزن منها ما يخف، ومنها ما يثقل، وإن من خفت موازينه هلك، ومن ثقلت موازينه نجا)[2].

وقوله تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ❖ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ❖ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون..﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ❖ وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ❖ وما أدراك ما هيه ❖ نار حامية﴾ [5].

---

(١) الأنبياء: (٤٧)
(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٥٨٣-٥٨٤)
(٣) الأعراف: (٩)
(٤) المؤمنون: (١٠١-١٠٣)
(٥) القارعة: (٦-١١)

وقد وردت أحاديث صحيحة كلها تثبت الوزن يوم القيامة؛ وبناء عليها فإن للعلماء آراء فيما يوزن ذلك اليوم؛ وكل بدليله:

فأول هذه الآراء: أن صحائف الأعمال هي التي توزن يوم القيامة في الميزان، بدليل حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة»[(١)].

وثانيها: أن الأعمال التي عملها العباد تجسم ثم توزن في الميزان، واستدلوا على ذلك بعدة أحاديث منها: حديث النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران» وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: «كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»[(٢)].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢١٣) والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٥/ ٢٤ ح ٢٦٣٩) وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجة في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٢/ ١٤٣٧ برقم ٤٣٠٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦)، وأيضاً (٥٢٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية بتحقيقه، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢١٢ برقم ١٣٥) وفي صحيح ابن ماجة (٢/ ٤٢٨) وصحيح الترمذي (٢/ ٣٣٣-٣٣٤)

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٦/ ١٣١ ح ٨٠٥)

وفي حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا إذ قال النبي ﷺ «وأهله الذين يعملون به في الدنيا» ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل) (1) أهـ.

قال الحافظ الحكمي: (ولا مانع من كون الآتي هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث: فأما أن يقال إن الآتي هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله، لأن كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعل العبد وعمله ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ (2)(3).

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: -

«كلمتان حبيتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» (4).

ومنها حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمدلله تملآن ما بين السموات والأرض»(5)، ومنها قوله ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن» (6).

وأما ثالث الآراء فيما يوزن يوم القيامة فهو: أن الموزون هو العامل نفسه؛ واستدلوا لذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: «اقرؤوا: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» (7)(8).

---

(1) انظر الترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء في سورة آل عمران (5/ 160 / ح2883)
(2) الصافات: (96)
(3) الحافظ الحكمي- معارج القبول (2/ 846) تحقيق عمر أبوعمر (ط3/ 1995) دار ابن القيم السعودية
(4) أخرجه البخاري في الدعوات باب فضل التسبيح (11/ 206 ح 6406)، ومسلم في الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح (17/ 31 ح 2694)
(5) أخرجه مسلم (3/ 125ح 223) في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء
(6) أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق (4/ 362 ح 2002) وأحمد (6/ 446) بنحوه وصححه الألباني كما في صحيح الترمذي (2/ 194)
(7) الكهف: (105)
(8) أخرجه البخاري في تفسير سورة الكهف، باب قوله تعالى: ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ (8/ 426 ح 4729) ومسلم في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار (17/ 188ح 2785)

وحديث علي رضي الله عنه قال أمر النبي ﷺ ابن مسعود فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشئ فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من حموشة ساقيه ، فقال رسول الله ﷺ: «ماتضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد» (١).

قال الإمام ابن كثير جامعاً بين هذه الأقوال: -

(.. ويمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها..) (٢).

وإلى ذلك مال الإمام ابن أبي العز شارح الطحاوية حيث يقول: (.. فثبت وزن الأعمال، والعامل، وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة ولا نقصان) (٣).

وعلى نصب الموازين يوم القيامة أجمعت هذه الأمة كما نقل ذلك عن غير واحد من العلماء، قال الإمام الأشعري: (وأجمعوا.. أن الله ينصب الموازين لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه أفلح ومن خفت موازينه خاب وخسر، وأن كفة السيئات تهوى إلى جهنم، وأن كفة الحسنات تهوي عند زيادتها إلى الجنة..) (٤).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١١٤، ٤٥٠) وهو حديث حسن كما قال الألباني في تخريج الطحاوية (ص٤١٨)

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٢) دار المعرفة

(٣) ابن أبي العز -شرح العقيدة الطحاوية (ص٤١٩)، وانظر في الميزان وأقوال العلماء فيه: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٣٩)، وتفسير البغوي (٢/ ١٤٩) دار المعرفة، وتفسير القرطبي (٧/ ١٦٥)، وتفسير الرازي (/ ٢٧ ١٤)، والتذكرة للقرطبي (٢/ ١٦)، والنهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٣٥)، وتحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان لمرعي الكرمي الحنبلي (ص٥٨)

(٤) أبو الحسن الأشعري رسالة إلى أهل الثغر (١٦١) وانظر مقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٤) تحقيق محي الدين عبدالحميد



وقال الإمام أحمد في رسالته لمسدد بن سرهد: (والميزان حق) [1]، وقال في رسالة محمد بن عوف الطائي: (وإن العباد يوزنون بأعمالهم فمنهم من لا يزن جناح بعوضة) [2].

وقال السفاريني: - (والحاصل أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.. فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين) [3].

❖ شبهات العلمانيين حول الصحف والميزان والرد عليها:-

استهزأ العلمانيون بعقيدة الصحف والميزان وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب، وها هو نصر حامد أبو زيد يرى أن الملائكة وتسجيلهم لسجلات الأعمال ما هو إلا تصور أسطوري خرافي لا حقيقة له على أرض الواقع، ولذلك يقول: -

(ما زال الخطاب الديني يتمسك بوجود القرآن في اللوح المحفوظ اعتماداً على فهم حرفي للنص، وما زال يتمسك بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه، ومملكته وجنوده الملائكة، وما زال يتمسك بالدرجة ذاتها من الحرفية بالشيطان، والجن والسجلات التي تدون فيها الأعمال... وذلك كله من تصورات اسطورية) [4].

وبينما نجد الدكتور نصر أبوزيد يرى أن هذا ما هو إلا من أساطير الأولين، فإننا نجد أن أدونيس -الذي يعتبر - أستاذ مدرسة الحداثة الأدبية في العالم العربي- قد وجد في الاستهزاء بعرش الرحمن والحوض والميزان وصحائف الأعمال؛ مادة جديدة لشعره يثبت فيها حداثته

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٤)
(٢) المرجع السابق (١/ ٣١٢) وانظر السنة للإمام أحمد (٧٣)
(٣) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٨٤-١٨٥) وانظر في هذه المسألة -أصول السنة لابن أبي زمنين ( ) والفتاوى لابن تيمية (٤/ ٣٠٢)، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٠٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٨-١٧٧)، والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم اسماعيل الأصبهاني (١/ ٤٦٥-٤٦٧)، وابن مندة في كتاب الإيمان (٣/ ٩٥٧) والشريعة للآجري (٣٨٤- ٣٨٧)، وتفسير الطبري (٨/ ١٢٣)، ومعارج القبول للحكمي (٢/ ٨٤٨)، والارشاد للجويني (ص٣٧٩).
(٤) د. نصر حامد أبوزيد نقد الخطاب الديني ص ٣٨

الشعرية؛ خاصة وأنه يعنون قصيدته بعنوان: (رقعة من شمس البهلول)، والبهلول عند المهتمين بحرفة الأدب مجنون معروف، وإذا كان عنوان القصيدة غير بريء -وربما- يحتمل تفسيرات حسنة، فإن محتوى القصيدة لا يدع مجالاً للقارىء أن "أدونيس" أراد الاستهزاء المبطن بالتكذيب لما أورده في قصيدته من عقائد إسلامية باليوم الآخر ثابتة ثبوت الشمس في رابعة النهار؛ وذلك بجعلها عرضة للسخرية والاستهزاء.

يقول أدونيس في هذه القصيدة: -

(رقعة من شمس البهلول

" . . . هكذا

يكلمني كرسي بيني وبينه ترجمان

عند الكرسي حوض

عند الحوض ميزان

حول الميزان بقرة غمامة

والكتب تتطاير

هنا

. . . ينبت الناس كما ينبت الحب في السيل . . .) [1]

ولم يقتصر استهزاؤهم عبر مجال الشعر الحداثي بل تعدى ذلك إلى كتابة الرواية والطعن من خلالها في ثوابت الدين، والاستهزاء بشريعة رب العالمين، فهذا صاحب رواية كوميديا الأشباح يستهزىء بالميزان قائلاً: (. . وكان علي أن أقف مرة أخرى أمام المحكمة التي سوف

---

(١) أدونيس- المجموعة الشعرية (٣/ ٢٢٠-٢٢١)

تضع حسناتي في كفة ميزان اليكتروني دقيق جداً، وسيئاتي في كفة ثانية، اللعنة هذه اللعبة لا تعجبني..) (١).

ولا يخفى ما في الرواية من استهزاء، ووصف الميزان الذي توزن به أعمال العباد بأنه (لعبة) لإيصال فكرة للقارىء بأن الأمر كله مجرد أسطورة خيالية وأنها أرحام تدفع وأرض تبلع!!

وإذا كان هؤلاء قد عبروا عن قناعاتهم بصورة مباشرة عبر الشعر الحداثي والرواية، فإن الأمر عند الدكتور حنفي يختلف من ناحية طرح الشبه فهو كعادته يطرح أسئلته التشكيكية حول هذه العقيدة وغيرها، ولذلك نجده يقول حول صحائف الأعمال:-

(وإذا كانت (لا إله إلا الله) مكتوبة في صفحة فإنها تعادل كل السيئات وكأن الإعلان عن التوحيد مجرد عبارة مكتوبة وليست شهادة فعلية بالقول والعمل، بالإقرار وبالفعل. وهل يقرأ كل إنسان كتابه أم يقرأ عليه؟ وماذا عن الأمي؟ وماذا عن الأعمى أو الأصم؟ وبأية لغة تكتب الصحف وتتم قراءتها؟ (٢).

ويقول ملقياً بشكوكه حول الكتبة من الملائكة:-

(وما دامت هناك صحف منشورة أو معلقة فهناك كتبة، وكتبة من الملائكة. وما دامت هناك صحيفتان فهناك ملكان وكأن ملكاً واحداً لا يكفي لكتابة الحسنات والسيئات أو أن اليد الكريمة التي تخط الحسنات لتستنكف أن تخط السيئات. وكيف يكون هناك ملاك للسيئات؟ أليس ذلك تناقضاً بين الفاعل والفعل، بين الشخص والوظيفة؟ الأقرب إلى كتابة السيئات أن يكون الشيطان الذي يسر بكتابة السيئات ويحزن لكتابة الحسنات. وأين ستحدث الكتابة في الدنيا مكان الحدث أم في الآخرة مكان التسجيل؟ وبأي لغة وبأي قلم وفي أي قرطاس؟ وهل يخفى على علم الله شيء حتى تدون أفعال العباد؟) (٣).

---

(١) كوميديا الأشباح (ص١٦)
(٢) د. حسن حنفي النبوة والمعاد (ص٥٦٦)
(٣) المرجع السابق (ص٥٦٨)

ثم يصل حسن حنفي إلى قناعة في نهاية الأمر بأن: (الهدف من كل ذلك هو مجرد تصوير فني للرقابة على النفس، ومعرفة النفس بكل أفعالها لتذكر الإنسان بأن كل شيء معروف وأنه لا أسرار هناك تكتم وتخفي..)[1].

ويقول عن الميزان: (.. هل هو ميزان ذو لسان وكفتين؟ ولماذا تكون الكفتان من ذهب؟.. والذهب مادة قيمة تسترعي الانتباه، وتثير الخيال وتدل على العظمة والشرف أكثر من الحديد والنحاس، فينضم قياس المرتبة والشرف والأولى إلى قياس الغائب على الشاهد..)[2].

ثم ينتهي إلى نفس النتيجة التي انتهى إليها سابقاً وهي أن: (الأمر كله تشبيه وتخييل تعبيراً عن أحكام قيمة)[3].

ثم يعود إلى التساؤل من جديد: (هل يمكن إثبات الميزان ونفي وزن الأعراض لأنها لا وزن لها؟ وكيف تدخل الأعراض في الحساب؟ إن عدم وزن الأعراض هو أحد حجج النفي؛ وبالتالي يكون الموقفان: إما إثبات الميزان الحسي، أو إثبات الميزان المعنوي..)[4].

والجواب على هذه الشبهات هو كالآتي:-

أما بالنسبة لما ذهب إليه نصر حامد أبوزيد من أن كل هذه الغيبيات -ومنها سجلات الأعمال التي تدون فيها أعمال العباد- ما هي إلا تصورات أسطورية؛ فقد كفت (محكمة الاستئناف) في دولة مصر مؤونة الرد عليه حيث حكمت على الكاتب المذكور بالردة عن دين الإسلام، وجاء في حيثيات الحكم أنه ينكر وصف الله تعالى بأنه الملك كما ورد في آيات قرآنية كثيرة، وكما هو معلوم بدين الإسلام من الضرورة القطعية، وإذا كانت الأسطورة بالمعنى اللغوي هي الأباطيل فهذا صريح في وصف الكاتب للقرآن بأنه أباطيل؛ ومعلوم أن الكافرين قد

(١) نفس المرجع (ص٥٧٢)
(٢) المرجع السابق: (٥٦٣-٥٦٤)
(٣) د. حسن حنفي النبوة المعاد (٥٦٤)
(٤) المرجع السابق (٥٦٤-٥٦٥)



وصفوا القرآن بنفس الوصف كما قال تعالى عنهم: - ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ (١).

وإذا كان قد بلغ الأمر بالدكتور نصر أبوزيد مبلغ من يشك في هذه القضايا الاعتقادية الأساسية التي أجمع عليها أهل الأديان السماوية؛ فليس بغريب منه أن يشك فيما هو فرع عن هذا الأصل كالسجلات التي تدون فيها الأعمال.

وأما قصيدة "أدونيس" فعنوانها (رقعة في شمس البهلول) كاف لمعرفة أهدافه ومراميه؛ إذ أن كل العبارات التي أوردها في قصيدته النثرية ما هي إلا من كلمات النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه بالأحاديث الصحيحة المتواترة، كالحوض والميزان والكتب.. الخ وهذا يكشف لنا عن أن المقصود بالعنوان (شمس البهلول) هو (دين محمد) صلى الله عليه وسلم الذي يراه الشاعر (أدونيس) شبيهاً ببهلول المجنون!!

وهكذا نجد أن العلمانيين لم يكتفوا بالتشكيك في الإسلام بدراساتهم الفكرية والثقافية، بل تجاوزوا ذلك إلى التشكيك عبر الأدب والقصائد النثرية، التي تدخل تحت ما يسمى بمدرسة الحداثة.

ومن هنا نجد أن البحث مع هؤلاء لا ينبغي أن يكون في إثبات فرعيات المسائل العقائدية في الوقت الذي لا يؤمنون أصلاً بالنبوة التي هي أس هذا الدين.

ولعل الأخطر في الجانب الأدبي أنهم لم يحتفظوا بالقيم الأخلاقية التي هي الدعامة الأساسية للأدب العربي؛ إذ انحط الأدب -باسم الأدب- وإلا فأي أدب في أن يصف أدونيس النبي صلى الله عليه وسلم -وهو أعظم رجل عرفه التاريخ الإنساني بشهادة أعدائه- بالجنون؟!!

ومثل أدونيس صاحب رواية (كوميديا الأشباح) الذي ختم استهزاءه بالحساب والميزان يوم

---

(١) الأنعام: ٢٥



القيامة بقوله: (اللعنة هذه اللعبة لا تعجبني)[1]؛ متخذاً الرواية الأدبية -زعموا- وسيلة للطعن بالإسلام، والتشكيك بثوابته العقائدية، مما يؤكد أن العلمانيين لم يدعو وسيلة إعلامية إلا اتخذوها من أجل الوصول إلى أهدافهم لفصل الدين عن واقع الحياة؛ ومن ثم القضاء عليه بدعوى أنه مجرد أساطير شعبية أو روايات خرافية.

وأما تشكيكات حسن حنفي فهي كالعادة مجرد شبه يأخذ بعضها برقاب بعض، حتى إذا تأملها الباحث وجد أنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء!!!

وإلا فمن الذي قال إن الذي يوزن هو الدعاوي لا الأعمال؟! ومن الذي قال بأن (كلمة التوحيد هي مجرد عبارة مكتوبة وليست شهادة فعلية بالقول والعمل به بالإقرار والفعل)[2] سوى الدكتور حنفي؛ وما مثاله إلا كمثل من يزعم أن نجاح طالب أو رسوبه إنما هو بمجرد ما هو مكتوب بشهادته لا بناء على ما بذله من جهد في الدراسة وإجادة في الاختبار!!

فقد نسي الدكتور حنفي أن النتائج إنما هي نهاية طبيعية لما سبق من أعمال حسنة كانت أو سيئة، وما الصحف إلا أوعية وظروف لهذه الأعمال.

ومعلوم أن من تلفظ بكلمة التوحيد في الدنيا دون اعتقاد لها في قلبه ولما تقتضيه، ودون يقين بها؛ إنها لا تنفعه؛ ولهذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار مع أنهم كانوا يتلفظون بكلمة التوحيد.

ولهذا أجمع السلف وأئمة أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان كما هو مشهور في كتبهم[3].

وأما تساؤل الدكتور حنفي حول الإنسان يوم القيامة هل يقرأ كتابه بنفسه، أم يقرأ عليه وكيف إذا كان أصم أو أعمى، وبأي لغة؟! فالجواب:-

(١) كوميديا الأشباح (ص١٦)

(٢) حسن حنفي النبوة والمعاد (٥٦٦)

(٣)الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٣١ والسفاريني في لوامع الأنوار ١/ ٤١١ رلابن تيمية المجلد السابع من الفتاوى

- إن كان قد خفي على الدكتور -هو في القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ (١)، وغيرها من الآيات القرآنية التي تدل دلالة قاطعة على أن كل إنسان يقرأ كتابه يوم القيامة بنفسه، وإن كان أصم أو أعمى؛ وليس ذلك من المستحيلات العقلية حتى يوردها بل ذلك في حيز الإمكان والله عز وجل لا يعجزه أن يجعل الأعمى بصيراً، والأصم سميعاً؛ كما قال تعالى: ﴿. . فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (٢). فالناس يوم القيامة ليس فيهم أعمى ولا أصم بل كلهم يأتون إلى ربهم أسوياء.

وأما بأي لغة يكون الحساب فهذا مما استأثر الله بعلمه وليس لنا من سبيل إليه إلا بالنقل عن المعصوم، وقد قال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (٣)، وعدم علمنا به لا يدل على عدمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(. . لا يعلم بأي لغة يتكلم الناس يومئذ، ولا بأي لغة يسمعون خطاب الرب جل وعلا، لأن الله تعالى لم يخبرنا بشيء من ذلك، ولا رسوله عليه الصلاة والسلام، ولم يصح أن الفارسية لغة الجهنميين، ولا أن العربية لغة أهل النعيم الأبدي، ولا نعلم نزاعاً في ذلك بين الصحابة رضي الله عنهم، بل كلهم يكفون عن ذلك، لأن الكلام في مثل هذا من فضول القول. . .

ولكن حدث في ذلك خلاف بين المتأخرين؛ فقال ناس: - يتخاطبون بالعربية؛ وقال آخرون: إلا أهل النار فإنهم يجيبون بالفارسية، وهي لغتهم في النار.

وقال آخرون: يتخاطبون بالسريانية لأنها لغة آدم وعنها تفرعت اللغات.

---

(١) الإسراء: ١٣
(٢) ق: (٢٢)
(٢) الإسراء: ٨٥



وقال آخرون: إلا أهل الجنة فإنهم يتكلمون بالعربية، وكل هذه الأقوال لا حجة لأربابها، لا من طريق عقل ولا نقل، بل هي دعاوي عارية عن الأدلة، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم)[1].

أما باقي تساؤلاته وتشكيكاته فالجواب عليها يعلم من الجواب على ما سبق إذ أنها كلها في دائرة الإمكان، ولم يستطع الدكتور أن يقيم الدليل العقلي على الاستحالة بل جعل من نفسه؛ ونزل نفسه منزلة الجاهل الذي يستفهم!! ولا يكون الجهل أبداً قاض على العلم، بل من علم حجة على من لم يعلم.

وأما سؤاله بـ (لم) و (كيف) فأظهر دليل على عجزه عن إقامة الأدلة على صحة دعواه والنتيجة التي توصل إليها إذ البحث كما هو معلوم هو في قضية غيبية، وهي في نفسها ليست مستحيلة عقلاً، فإذا ثبتت بالطريق النقلي وجب الإيمان بها كما قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[2]؛ ولهذا أثبت المتكلمون من المعتزلة وغيرهم من أهل الإسلام هذه القضايا، ولم يختلفوا فيها، وهذا دليل على كونها من المعلوم من الدين بالضرورة إذ دلالة الآيات القرآنية عليها دلالة قطعية لا تحتمل التأويل.

ولهذا قال عبدالجبار المعتزلي عن السجلات والصحف: (وأما الصحف، فقد نطق به القرآن وقال الله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ . .)[3][4].

وأما تساؤلات حسن حنفي عن الميزان ولماذا كفتاه من ذهب؟ فقد قدمنا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الصحيحة ونقلنا إجماع الأمة على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين توزن بهما أعمال الخلائق يوم القيامة، وأما ادعاؤه أنه ميزان بكفتين من ذهب وإن هذا يثير الخيال ويدل على العظمة، فهذا مما لا يثبت فيه نص صحيح وإنما هو في شروح المتأخرين المليئة بالأحاديث الموضوعة، ولا يصح أن يطرح الصحيح بجريرة الضعيف والموضوع.

---

(١) شيخ الإسلام مجموع الفتاوي (٤/ ٣٠٠-٣٠١)

(٢) البقرة: ٣

(٣) التكوير: ١٠

(٤) القاضي عبدالجبار بن أحمد شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٦)

قال ابن حزم: - (. . وأما الميزان فقد أنكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جراءة وإقداماً، وتنطع آخرون فقالوا: هو ميزان بكفتين من ذهب، وهذا إقدام آخر لا يحل) (١).

وسؤال حنفي عن المادة لتي منها الميزان واستغرابه ان يكون ذهبا يدل على ضيق نظره إذ اختلاف المعادن في الدنيا وتفاوتها في الدنيا انما هي عند الانسان لقلة بعض المعادن اما الخالق جل وعلا فانما يقول للشئ كن فيكون.

وأما التساؤل عن الميزان وهل له لسان؟ فلم أجد حديثاً ولا أثراً عن الصحابة يدل على ذلك والواجب الاقتصار على ما ورد في الشرع في مسائل الاعتقاد.

وأما ذكر البعض من وصف الميزان بأن له لساناً (٢)، فإنما روي ذلك عن ابن عباس موقوفاً ولا يصح؛ لأنه من طريق الكلبي (٣) عن أبي صالح (٤) عن ابن عباس (٥)، كما ورد ذلك أيضاً عن الحسن (٦).

وأما قوله بأن هذا تخييل وتشبيه لا حقيقة له، فقول باطل إذ أن أصحاب النقل، وأرباب العقل أثبتوا حقيقة الميزان ولم ينكروه؛ حتى قال القاضي عبدالجبار المعتزلي: -

(. . أما وضع الموازين، فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه، قال الله تعالى: ﴿ونضع

(١) الفصل لابن حزم (٤/ ٦٥) وانظر الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم (ص٢٨٧)
(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٨)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤)
(٣) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، المفسر العلامة الأخباري، أبو النضر، كان رأساً في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث، توفي (سنة ١٤٦هـ)، انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (١/ ١٠١)، الجرح والتعديل (/ ٢٧٠-٢٧١)، السير (٦/ ٢٤٨-٢٤٩)، ميزان الاعتدال (٣/ ٥٥٦-٥٥٩)، تهذيب التهذيب (٩/ ١٧٨-١٨١)، شذرات الذهب (١/ ٢١٧-٢١٨)
(٤) باذام، ويقال: باذان، أبو صالح، مولى أم هانيء بنت أبي طالب، ضعيف يدلس، لم يوثقه إلا العجلي. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير (٢/ ١٤٤)، الكاشف (١/ ١٤٩)، تهذيب التهذيب (١/ ٤١٦-٤١٧)، تقريب التهذيب (١/ ٩٣)
(٥) أخرجه أبو الشيخ كما ذكر ذلك السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٥)
(٦) رواه اللالكائي (٦/ ١١٧٣)

الموازين القسط ليوم القيامة﴾ (١)، وقوله: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك﴾ (٢) الآية، إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس، لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾ (٣)، فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز.

يبين ذلك ويوضحه، أنه لو كان الميزان إنما هو العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا..)(٤).

ثم يتساءل حسن حنفي حول وزن الأعراض في الميزان؛ وهل يمكن ذلك؟ والجواب أن ذلك في دائرة الممكنات لا المستحيلات، وخالق الأجسام هو خالق الأعراض، فهي كلها مخلوقة لله عز وجل يصرفها حيث شاء؛ وكيف ينكر أن توزن الأعراض ونحن نرى اليوم أن الإنسان قد صنع موازين لحالات مختلفة فميزان للحرارة وآخر للرطوبة وثالث للبرودة والجفاف والأشعة وغير ذلك وهذا يدل على أن العقل غير قادر على إدراك الغيبيات وعدم العلم بالشئ ليس علما بالعدم.

وكما قال القاضي عبدالجبار في معرض رده على من أنكروا وزن الأعراض في الميزان؛ فقال راداً عليهم: -

(.. فإن قالوا: وأي فائدة في وضع الموازين التي أثبتموها، ومعلوم أنه إنما يوضع ليوزن به الشيء، ولا شيء هناك يدخله الوزن ويتأتى فيه، فإن أعمال العباد طاعاتهم ومعاصيهم أعراض لا يتصور فيها الوزن.

---

(١) الأنبياء: (٤٧)

(٢) المؤمنون: (١٠٢)

(٣) الحديد: (٢٥)

(٤) القاضي عبدالجبار بن أحمد شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٥) تحقيق د/ عبدالكريم عثمان- نشر مكتبة وهبة- القاهرة. وانظر كذلك فتاوى شيخ الإسلام ٤/ ٣٠٢، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٨٢-١٨٣ نشر مكتبة الجندي - القاهرة.

قيل له: ليس يمتنع أن يجعل الله تعالى النور علماً للطاعة والظلم أمارة للمعصية، ثم يجعل النور في إحدى الكفتين والظلم في الكفة الأخرى، فإن ترجحت كفة النور حكم لصاحبه بالثواب، وإن ترجحت الأخرى حكم له بالأخرى، كما لا يمتنع ذلك فكذلك لا يمتنع أن يجعل الطاعات في الصحائف ثم توضع صحائف الطاعات في كفة وصحائف المعاصي في كفة، فأيهما ترجحت حكم لصاحبه به هذا هو كيفية ذلك.

وأما فائدته، فهو تعجيل مسرة المؤمن وغم الكافر، هذا في القيامة. وفيه فائدة أخرى تتعلق بالتكليف، وهي أن المرء مع علمه أن أعماله توزن على الملأ كان عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات، وهذه فائدة عظيمة)[1].

وهذا هو رأي المعتزلة -وهم من بالغوا في تقديس العقل- ومع ذلك يرون أن ذلك من الممكنات لا المستحيلات؛ وقد سبق أن أوردنا نصوص أهل السنة في إثبات هذه العقائد ولا عبرة لمن نفاها أو أنكرها بعد بعقله فهؤلاء كما قال عنهم الإمام الشوكاني رحمه الله:

(.. وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل المظلم، وقال كل ما شاء، وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها، ويتحد قبولهم لها، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه، ويوافق ما يذهب إليه هو، أو من هو تابع له، فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم)[2].

ويقول تلميذه السيد صديق حسن القنوجي:-

(اعلم أن الموزون أعم من الطاعة والمعصية، حتى يظهر الثقل والخفة بحسب ما تعلق الإرادة

(١) القاضي عبدالجبار الأصول الخمسة (٧٣٥-٧٣٦)، وانظر الكشاف للزمخشري (٣/ ١٣)، والوزن يومئذ الحق

(٢) محمد بن علي الشوكاني - فتح القدير (٢/ ١٩٠)



والمشيئة، ونتوقف فيه على بيان كيفيته، سواء يقال بوزن صحائف الأعمال أو بتجسيم الأقوال والأفعال..)[1].

وما أحسن ما قال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية راداً على من أنكر وزن الأعراض قائلاً: -

(فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجساماً، وكما روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت كبشاً أغر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال: خلود لا موت»[2]، ورواه البخاري بمعناه. فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان. والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان. ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، (فإنه) لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه. فتأمل قول الملائكة، لما قال الله لهم: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[4]..)[5].

(١) السيد صديق حسن القنوجي -الانتقاد الرجيح: (ص٤٣)
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٢٣) وقال الألباني في تحقيق الطحاوية (٤١٩): سنده صحيح
(٣) البقرة: (٣٠)
(٤) الإسراء: (٨٥)
(٥) ابن أبي العز شرح الطحاوية (ص٤١٩-٤٢٠).



المبحـــث السادس

الصراط والحوض



المبحث السادس

الصراط والحوض

من مشاهد اليوم الآخر الصراط والحوض، وهما كغيرهما من عقائد اليوم الآخر الواجب الإيمان بها.

والصراط لغة : بالصاد، أو السين أو الزاي المحضة، ومعناه لغة : الطريق الواضح، مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه، لأنه يبتلع المارة. . [1].

وقال الراغب : (الصراط : الطريق المستقيم، قال : ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾ [2]؛ ويقال له : سراط. .) [3].

وأما الصراط في الاصطلاح:-

فهو جسر منصوب على متن جهنم دحض مزلة؛ يمر عليه الناس على قدر أعمالهم [4].

والصراط ثابت بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون﴾ [5].

وقوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ [6].

قال ابن أبي العز الحنفي : (واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى :

(١ انظر لسان العرب ٧/ ٣٢٦ وانظر تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٣٣٠)

(٢) الأنعام : (١٥٣)

(٣) الراغب للأصفهاني - المفردات(٢٨٣)، وانظر اللآلى البهية شرح لأمية شيخ الإسلام ابن تيمية لأحمد بن عبدالله المرداوي (ص٧١) ط الأولى الرياض- ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج بن الجوزي (ص٣٨٤) تحقيق محمد الراضي ط الأولى (١٩٨٤) مؤسسة الرسالة بيروت

(٤) انظر ابن أبي العز شرح الطحاوية (٤١٥-٤١٧) ومجموع الفتاوي لابن تيمية (٣/ ١٤٦-١٤٧)

(٥) يس : (٦٦)

(٦) مريم : (٧١)

﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط . .)[1] .

وقال ابن تيمية : (وأما الورود المذكور في قوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ، رواه مسلم في صحيحه عن جابر[2] ؛ بأنه المرور على الصراط ، والصراط هو الجسر فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة ، من كان صغيراً في الدنيا ، ومن لم يكن . .)[3] .

وقد وردت الأحاديث النبوية الصحيحة تثبت هذه العقيدة ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم . وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازي أو نحوه)[4] .

ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعاً وفيه : «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم . قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة ، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان ، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش

---

(١) شرح الطحاوية (٤١٦)

(٢) يأتي الحديث بعد قليل

(٣) الفتاوي لابن تيمية (٤/ ٢٧٩) وهذا القول مروي عن عبدالله بن مسعود وجابر والحسن وقتادة وعن غير واحد من أئمة السلف وانظر تفسير الطبري (١٦/ ١١٠)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٣١)، وتفسير القرطبي (/ ١٣٦ ١١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٧٧)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٤)، وابن رجب الحنبلي في التخويف من النار (ص١٩٣) تحقيق بشير عيون، وصديق حسن القنوجي في فتح البيان (٦/ ٤٥)، والحافظ الحكمي في معارج القبول (٢/ ٨٥٣، والفصل لابن حزم (٤/ ١١٦)، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١/ ١٢١)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٨٩)

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، (١٣/ ٤١٩ ح ٧٤٣٧) ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (٣/ ٣٢ ح ١٨٢)



ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً»[(١)].

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولاً. وفيه: «ترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الطير، وتشد الرجال تجري بهم أعمالهم، قال ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحافاً. قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار. والذي نفس أبي هريرة بيده إن جهنم لسبعون خريفاً»[(٢)].

ومنها حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يارسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[(٣)] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾[(٤)].

وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾[(٥)] قال: (على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (١٣/ ٤١٩-٤٢٠ ح٧٤٣٩) ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الروية (٣/ ٣٢ ح ١٨٣)

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان باب أوتي أهل الجنة منزلاً (٣/ ٨٥ / ح١٩٥)

(٣) مريم: (٧٢)

(٤) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة (١٦/ ٨٤ ح٢٤٩٦)

(٥) الحديد: (١٢)

من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة، ويطفأ مرة) [1].

وعلى هذه العقيدة أجمعت الأمة المحمدية كما ذكر ذلك الإمام أبو الحسن الأشعري قائلاً: (الإجماع الأربعون: وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك) [2].

وقال الإمام أحمد: (والصراط حق يوضع على شفير جهنم ويمر الناس عليه، والجنة من وراء ذلك نسأل الله عز وجل السلامة في الجواز) [3].

وأما الحوض ففي لغة العرب: هو مجمع الماء، والجمع حياض وأحواض، واستحوض الماء أي: اتخذ لنفسه حوضاً [4].

وأما في الاصطلاح: فكما نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض: (مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه، وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي. . .) قال: (وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف) [5].

والحوض ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وقد ورد ذكره عند قوله تعالى:

---

(١) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/ ٢٢٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٨) ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي: على شرط البخاري

(٢) أبو الحسن الأشعري رسالة إلى أهل الثغر (ص١٦٣) وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (/ ١١٧٧ ٦)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (٤٧٢)، والارشاد للجويني (٣٢٠) والاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٢٨)

(٣) انظر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٧، ٣٤٤) دار المعرفة، بيروت، والسنة ضمن شذرات البلاتين (ص٤٧) جمع محمد حامد الفقي، القاهرة.

(٤) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١٥٨)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٦٦)

(٥) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٦٧)

﴿إنا أعطيناك الكوثـر ❖ فصـل لربك وانحر ❖ إن شـانئك هو الأبتر﴾ (١).

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يفسر ذلك؛ فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: «بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم -قال: فإنه نهر وعدنيه ربي -عز وجل- عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك» (٢).

والأحاديث الواردة في ذكر الحوض كثيرة جداً، قال الإمام السيوطي: (ورد ذكر الحوض في رواية بضع وخمسين صحابياً) (٢٢) وعلى رأس من ذكر الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم سرد مروياتهم (٣).

ومن هذه الأحاديث حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء» (٤).

وحديث عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: (سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه «إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم، فوالله ليقتطعن دوني رجال فلأقولن أي رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا

(١) سورة الكوثر
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة (٤/١٤٨ح ٤٠٠)
(٣) (٤) السيوطي البدور السافرة في أمور الآخرة (ص٢١٥) تحقيق أبي محمد المصري الطبعة الأولى (١٩٩١) مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
(٤) أخرجه البخاري في الرقاق باب ذكر الحوض (١١/ ٤٦٤ ح ٦٥٨٠)

بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم»[1].

ومنها حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : «صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال : إني فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة. إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم». قال عقبة : وكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر[2].

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ. قال : نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون علي غراً محجلين من أثر الوضوء»[3].

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، وقد أجمعت الأمة على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوض ترده أمته يوم القيامة، قال الأشعري :

(وأجمعوا .. على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضاً يوم القيامة، ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدل وغير بعده)[4].

وقال الإمام أحمد كما في رسالة عبدوس بن مالك : (والإيمان بالحوض وأن لرسول الله حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته عرضه مثل طوله مسيرة شهر، أنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه)[5].

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ (١٥/ ٨١ ح٢٢٩٤)

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ (١٥/ ٨١ ح٢٢٩٦)

(٣) أخرجه مسلم في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (٣/ ١٧٢ح٢٤٧)

(٤) أبو الحسن الأشعري رسالة إلى أهل الثغر (ص١٦٥) وانظر مقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٥)

(٥) طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٢) ومناقب أحمد لابن الجوزي (ص٤) تحقيق د. عبد المحسن التركي ط الأولى ١٩٧٩ مكتبة الخانجي، ورسالة عبدوس (ق٢) مصورة من مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقال السفاريني : (وحوض النبي صلى الله عليه وسلم حق ثابت بإجماع أهل الحق . .)[1].

❖ شبهات العلمانيين حول الصراط والحوض والرد عليها:-

تقدم ذكر شبهة الدكتور نصر حامد أبوزيد حول سجلات الأعمال ، وذكرنا هنالك أنه يرى هذا (تصورات أسطورية) ، وكذلك الحال هنا إذ أنه يرى السير على الصراط (تصورات أسطورية) كذلك ، ولذا تراه يقول في كتاب "نقد الخطاب الديني" :-

"ما زال الخطاب الديني يتمسك بوجود القرآن في اللوح المحفوظ اعتماداً على فهم حرفي للنص ، وما زال يتمسك بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه ومملكته وجنوده الملائكة ، وما زال يتمسك بالدرجة ذاتها من الحرفية بالشيطان والجن والسجلات التي تدون فيها الأعمال ، والأخطر من ذلك تمسكه بحرفية صور العقاب وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط . . . الخ وذلك كله من تصورات أسطورية"[2].

وإذا كان الدكتور الأكاديمي أبوزيد يرى أن هذه العقائد (تصورات أسطورية) ، فإن أستاذ الحداثة الأدبية (أدونيس) يتخذ من هذه العقائد -ومنها الحوض- مادة للسخرية والاستهزاء في قصيدته النثرية (رقعة من شمس البهلول) والتي جاء فيها :

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٩٤) وانظر الشريعة للآجري (٣٥٢) والفرق بين الفرق للبغدادي (٣٤٨)، وأصول السنة لابن أبي زمنين () وعقيدة السلف أصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/ ١٣٢) وانظر الفصل لابن حزم (٤/ ٦٦)، والفتن والملاحم لابن كثير (٢/ ٣) وما بعدها بتحقيق إسماعيل الأنصاري ، والبدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي (٢١٥) وما بعدها والإبانة للأشعري (ص٧٥) ط الثانية (١٣٩٧) المطبعة السلفية ، ولمع الأدلة في قواعد أهل السنة لإمام الحرمين (ص١١٢) تحقيق د/ فوقية حسين ط الأولى (١٩٦٥) نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، والمسايرة في علم الكلام لكمال الدين ابن الهمام (ص١٥٠) الطبعة الأولى -المكتبة المحمودية التجارية ، وانظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٦٧)

(٢) د. نصر حامد أبوزيد نقد الخطاب الديني : ٣٨

(. . هكذا . . يكلمني كرسي بيني وبينه ترجمان

عند الكرسي حوض

عند الحوض ميزان

حول الميزان بقرة غمامة

والكتب تتطاير هنا . . . الخ) (١) .

أما حسن حنفي فيقول عن الصراط :

(يوضع للمؤمنين عليه مائدة يأكلون منها ما يتدلى من ثمار الجنة وكأنها وليمة وليست امتحاناً أو اختباراً؟ وكيف تنصب الموائد على الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعرة؟ وكيف توضع الموائد والناس من فوق الصراط طوابير الواحد تلو الآخر؟

وهناك أسئلة على الصراط وكأن الناس لم يشبعوا أسئلة وكأن المحاكمة لم تنته بعد . وهي أسئلة سهلة عن الصلاة والصوم والزكاة والحج يعرفها كل إنسان ولا تمثل أية صعوبة أو امتحان أو ابتلاء أو اختبار) (٢) .

ثم يصل حسن حنفي إلى تبيان حقيقة الصراط في نظره فيقول :-

(والحقيقة أن الصراط لا يعني شيئاً مجسماً حسياً على ما يصف القدماء بل يعني مجرد الطريق المستقيم . ولا سبيل إلا تأويل الروايات التي قد توحي بذلك إن لم تكن ضعيفة أو موضوعة من الخيال الشعبي .) (٣) .

وأما بالنسبة للحوض فيتساءل حنفي :-

(١) أدونيس -المجموعة الشعرية (٣/ ٢٢٠-٢٢١)
(٢) النبوة والمعاد (٥٨٠-٥٨١)
(٣) المرجع السابق (٥٨٢)



(كيف يكون الرسول وهو أرحم البشر أجمعين بهذه القسوة، يمنع العطشان من الحوض، وهو متدلي اللسان لاهث النفس، والرسول إنسان؟ وماذا عن باقي الأمم إن لم يكن لكل نبي حوض؟ ولماذا يكون حوض صالح ضرع ناقة)[1].

ثم يصف حنفي الحوض بأن: (على الحوض ولدان صغار ذكوراً وإناثاً يخدمون الآباء والأمهات، وهي صورة المجتمع البدوي القبلي. في أيديهم أكواب وأقداح ومناديل لتجفيف الفم، وعليهم قباب الزخرف والنقوش. قد تكون الأقبية من الديباج والمناديل من نور... يسقي الولدان آباءهم إلا من سخط الله عليهم فلا يسقونهم فيتفرق الولدان عن آبائهم وأمهاتهم وتمحى عاطفة الرحمة والبر بالولدان في يوم الفراق، وكأن الله يفرق بين الإبن وأبيه والبنت وأمها على الحوض)[2].

والجواب على هذه الشبه:-

إن شبهات هؤلاء الكتاب (د. أبوزيد، أدونيس، ود. حنفي) هي كسابقاتها في كونها إما تكذيباً صريحاً لهذه المسائل الغيبية كما يقول د. أبوزيد: (تصورات أسطورية)، أو استهزاء بها واتخاذها سخرياً كما في قصيدة أدونيس النثرية (رقعة من شمس البهلول)، أو تأويلاً باطنياً يصل إلى حد التحريف الي يفضي إلى اللعب بمدلولات الألفاظ وإخراجها عن معانيها، كما صنع الدكتور حنفي.

أما التكذيب ووصف هذه العقائد بأنها أساطير فجوابه ما قاله الله تعالى في شأن المشركين حيث قال تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ❖ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً﴾[3].

وأما الاستهزاء واتخاذ النبي ﷺ وما جاء به سخرياً فجوابه كما في قوله تعالى: ﴿ولقد

(١) المرجع السابق (٥٥٥)
(٢) المرجع السابق (٥٥٧)
(٣) الفرقان: (٥-٦)

استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ❁ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله . . الآية)[1].

والبحث مع هؤلاء إنما يكون قبل الرد عليهم -في إثبات النبوة بل وفي إثبات الله عز وجل، فمن أقر بوجود الله عز وجل ويصدق النبي ﷺ لزمه عقلاً وشرعاً التصديق بكل ما أخبر ب من قضايا الغيب.

وأما التأويلات الباطنية لحسن حنفي التي أفضت به إلى القول بأن الصراط (صورة شعرية تلهب الخيال وتثير العجب) فتحريف معنوي للأدلة الشرعية التي يجب أن تحمل على ظاهرها ولا شك أن هذا القول لم يراع دلالات الألفاظ لا حقائقها ولا مجازها.

قال القاضي عبدالجبار المعتزلي: في الرد على من تأول (الصراط) بالأدلة الدالة على طريق الخير أو الشر: وذلك مما لا وجه له، لأن فيه حملاً لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه، وقد كررنا القول في أن كلام الله تعالى مهما أمكن حمله على حقيقته فكذلك هو الواجب، دون أن يصرف عنه إلى المجاز)[2]؛ ولهذا حمل القاضي عبدالجبار الآيات على ظاهرها وأثبت هذه المسألة في جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده، وقال في تعريفه (للصراط): (وهو طريق بين الجنة والنار يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه، وقد دل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم ❁ صراط الذين أنعمت عليهم﴾[3]. .)[4].

فإذا كان تأويل الصراط (بالأدلة) تأويلاً باطلاً فمن باب أولى تأويله بما أوله به الدكتور حنفي وهو تأويل باطني.

وأما اعتراضه (بكيف)؟! وتعجبه من صفة الصراط؛ فعجب منه، إذ المفروض في المسألة أنها من قضايا الغيب، والله على كل شيء قدير وإنما يصلح هذا الاعتراض لو كانت القضية

(١) الأنعام: (١٠-١٢)
(٢) القاضي عبدالجبار شرح الأصول الخمسة: (٧٣٨)
(٣) الفاتحة
(٤) الأصول الخمسة (٧٣٧)



إخباراً عن مسألة حسية في عالم الشهادة بل إننا نؤمن بما هو واقع على سبيل الإعجاز في عالم الشهادة كإيماننا بمعجزة شق البحر لموسى بضربة من عصاه، وانقلاب العصا إلى حية تلقف ما يأفكه السحرة، ومن إحياء عيسى للأموات. .الخ فإذا كان ذلك واقعاً في الحياة الدنيا مع كونه خارقاً للعادة فلا يستحيل على قدرة الله عز وجل أن يجعل جسراً وصراطاً يمر الناس عليه ويكون أحد من السيف يوم القيامة وإنما يعترض على مثل هذا من لا يفرق بين المستحيلات والممكنات؛ قال إمام الحرمين الجويني :- (. . . أما ما ذكروه في الصراط فلا خفاء بسقوطه، فإنه لا يستحيل الحظور في الهواء والمشي على الماء، وكيف ينكر ذلك من يلزمه الدين رغماً الاعتراف بقلب العصا حية وفلق البحر وإحياء الموتى بدار الدنيا) [1].

ثم إن كثيراً مما أورده حسن حنفي من اعتراضات وأسئلة لا أصل لها كقوله أنه توضع موائد للمؤمنين على الصراط منها ما يتدلى من ثمار الجنة. . . الخ ومعلوم أن هذه الأمور لم تثبت أصلاً لا بحديث صحيح ولا حسن فكان الواجب، والموضوعية العلمية يقتضيان من الدكتور التمييز بين ما ثبت بدليل شرعي وما لم يثبت؛ مما يورده الصوفية المتأخرون في كتبهم.

ومثل ذلك ادعاؤه أن الناس يسألون على الصراط عن أسئلة سهلة كالصلاة والصيام والحج. . . الخ وهذا الغيب مما لا يثبت بدليل شرعي صحيح، فحشد الكاتب لمثل هذه الصور والمشاهد ثم اعتراضه وإيراد الأسئلة عليها خروج عن المنهج العلمي وهو في هذا كمن يريد النقش على العرش قبل وجوده؛ وإنما يقال له (اثبت العرش ثم انقش) وأعجب من هذا كله قول الكاتب: (والحقيقة أن الصراط لا يعني شيئاً مجسماً حسياً على ما يصف القدماء بل يعني مجرد الطريق المستقيم)؛ فكيف يتأتى له الجزم وادعاء الوصول إلى (الحقيقة) في قضية غيبية دون أن يقيم الأدلة القطعية على صحة دعواه، فلو أنه مال إلى الظن لكان لقوله وجه مع كونه خطأ، أما جزمه أن (حقيقة الصراط) هو (الطريق المستقيم) فخروج عن منهجه الشكي الذي سار عليه في كل مباحث الكتاب؛ فهلا شك في هذه الحقيقة التي توصل إليها كما شك في غيرها؟!

---

(١) الارشاد للجويني (٣٧٩)

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ (١) .

وشبهاته حول الحوض هي كشبهاته حول الصراط (ظلمات بعضها فوق بعض) فسؤاله : كيف يمنع النبي صلى الله عليه وسلم العطشان من الحوض؟ . . الخ فشبهة داحضة إذ الله عز وجل وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين قد جعل النار مثوى للكافرين والمتكبرين ؛ يستغيثون فيها ولا يغاثون : ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ❖ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ❖ قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ (٢) ؛ وهذا غاية العدل من الله فهم أدخلوا النار جزاء ذنوبهم ، وأما قوله أن (حول الحوض) ولدان وإناث يخدمون الآباء والأمهات ، فهذا مما لم يثبت بالشرع ، وإنما ثبت أن في الجنة (ولدان مخلدون) يطوفون على المؤمنين ، وليست هذه العقيدة من (صور المجتمع البدوي القبلي) كما يدعي الدكتور حنفي بل هي من صريح قول الله تعالى : ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون ❖ بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾ (٣) ، وادعاء الكاتب أنها من صور المجتمع البدوي القبلي تكذيب واضح للقرآن الكريم الذي صرح بهذه العقيدة ، ثم نحن نسأل حنفي عن الصورة المتحضرة للخدمة فهل يوجد مجتمع تتم فيه هذه الخدمة بغير هذه الصورة؟!

وإن تعجب فعجب قول الكاتب : (. . وتمحى عاطفة الرحمة والبر بالولدان في يوم الفراق ، وكأن الله يفرق بين الإبن وأبيه والبنت وأمها على الحوض؟!) (٤) ؛ فهذا جهل أو تجاهل إذ من المعلوم أن الأواصر تتقطع يوم القيامة ، وكل يفر من صاحبه وهمه نجاة نفسه ، وفي هذا يقول الله عز وجل : ﴿يوم يفر المرء من أخيه ❖ وأمه وأبيه ❖ وصاحبته وبنيه ❖ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (٥) .

وأما قوله وماذا عن باقي الأمم إذا لم يكن لنبيهم حوض ولماذا يكون حوض صالح ضرع

---

(١) يونس ٣٩
(٢) المؤمنون : (١٠٦-١٠٨)
(٣) الواقعة : (١٧-١٨)
(٤) حنفي - المعاد (٥٥٧)
(٥) عبس : (٣٤-٣٧)

ناقة؟! فالجواب أنه ثبت أن لكل نبي حوض كما في حديث سمره قال قال رسول اللهﷺ : «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارده»[1].

وهذا يشمل كل الأنبياء بصريح الحديث، ثم إن ما ادعاه الكاتب أن حوض صالح عليه السلام ضرع ناقة فهذا مما لم يثبت بدليل صحيح فهو مردود على قائله والصحيح ما أثبتناه والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في صفة الحوض (٤/ ٦٢٨ أو ٥٤٢ / ح٢٤٤٣) والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ١/ ٤٤) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٢٧-٣٢٨ / ح٧٣٤) والطبراني في الكبير (/ ٢١٢ / ٧ / ح٦٨٨١) وفي مسند الشاميين (ح٢٦٤٦) والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢١٥٦) والسلسلة الصحيحة (٤/ ١١٧ / ح١٥٨٩)

الباب الثالث

الفصل الثاني

الجنة والنار

المبحث الأول:- خلق الجنة والنار وبقاؤهما

المبحث الثاني:- الجنة ونعيمها

المبحث الثالث:- النار وجحيمها



المبحث الأول

خلق الجنة والنار وبقاؤهما



المبحث الأول
خلق الجنة والنار وبقاؤهما

❖ وجوب الإيمان بالجنة والنار:-

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأن الجنة حق والنار حق ، وأن الجنة هي دار الأبرار كما أن النار مستقر الفجار الكفار؛ وبهذه العقيدة الواضحة جاء صريح القرآن وصحيح السنة .

وقال تعالى : ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ❖ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ❖ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ❖ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين﴾ (١) ، وقال تعالى في الكفار : ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً﴾ (٢) ، وقال تعالى لإبليس : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ، إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين﴾ (٣) .

وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة جداً منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال «اللهم لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ،

---

(١) يونس : (٧-١٠)
(٢) النساء : (١٢٠-١٢٢)
(٣) الحجر : (٤٢-٤٦)

ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك» (١).

ومنها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الجنة على ما كان من العمل»(٢).

❖ وجود الجنة والنار:-

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، واستدلوا على ذلك بآيات الكتاب والسنة، فمن نصوص الكتاب قول الله تعالى عن الجنة:

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت

---

(١) أخرجه البخاري في التهجد، باب التهجد بالليل وفي الدعوات (٣/ ٣ ح ١١٢٠) وفي التوحيد كذلك وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٦/ ٧٩ ح٧٦٩)

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ (٦/ ٤٧٤ ح ٣٤٣٥) ومسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (١/ ٣١٠ح٢٨)

(٣) آل عمران: (١٣٣)

للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ولقد رآه نزلة آخرى ❖ عند سدرة المنتهى ❖ عندها جنة المأوى﴾ (٢) ، فهذه الآيات صريحة في أن الجنة مخلوقة ، وأنها موجودة الآن في السماء عند سدرة المنتهى ، وأنها أعدت وهيئت للذين آمنوا بالله ورسله .

وأما النصوص الواردة في خلق النار فمنها قوله تعالى عن النار : ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ (٤) .

وقوله تعالى عن آل فرعون : ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿إن جهنم كانت مرصاداً ❖ للطاغين مآباً﴾ (٦) .

وهذه الآيات صريحة في خلق النار ، وأنها أعدت وهيئت للكافرين ، وأن مآبهم ورجوعهم إليها نسأل الله العافية .

وأما الأحاديث المثبتة لوجود الجنة والنار فكثيرة ثابتة ، منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - «إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار» (٧) .

---

(١) الحديد : (٢١)

(٢) النجم : (١٣-١٥)

(٣) البقرة : (٢٤)

(٤) الفرقان : (١١)

(٥) غافر : (٤٦)

(٦) النبأ : (٢١-٢٢)

(٧) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٦/ ٣١٧ ح ٣٢٤٠) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه (١٧/ ٢٩٢ ح ٢٨٦٦)

ومنها حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :- «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» (١).

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال : ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فقال فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال : وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها. فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها» (٢).

وكذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في ذكر الإسراء والمعراج وفيه قوله صلى الله عليه وسلم عن الجنة :- « . . . ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك» (٣).

وكذلك حديث أبي هريرة في خلق النار واشتكائها قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب فضل الفقر (١١/ ٢٧٣ ح ٦٤٤٩)، ومسلم في الذكر والدعاء باب أكثر أهل الجنة الفقراء (١٧/ ٤٨ ح ٢٧٣٧)

(٢) أخرجه الترمذي في صفة الجنة باب ماجاء حفت الجنة بالمكاره (٤/ ٦٩٣ ح ٢٥٦٠) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٣١٧)

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/ ٤٥٨-٤٥٩ح ٣٤٩) ومسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات (٢/ ٢٧٤ / ح١٦٢)



وسلم : «اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير» (١).

والأحاديث واضحة في دلالتها على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان وأن الرسول عليه الصلاة والسلام اطلع فيهما ورأى أهلهما؛ وفي هذا دلالة كافية لمن كان له قلب؛ أو ألقى السمع وهو شهيد.

❖ بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما أو فناء من فيهما:-

مذهب أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار لا تفنيان أبداً ولا تبيدان وأن الخلود حق على أهلهما، بدلالة الكتاب والسنة:

فمن آيات الكتاب عن الخلود في الجنة قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ❖ خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة (٦/ ٣٣٠ ح ٣٢٦٠)
(٢) الكهف: (١٠٧-١٠٨)
(٣) النساء: (١٢٢)
(٤) التوبة: (١٠٠)



ومن آيات الكتاب الدالة على خلود أهل النار قوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً ❖ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً ❖ إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً﴾ (١).

وقوله عز وجل : - ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً ❖ خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (٣).

وقال جل من قائل : ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ❖ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ (٤).

وأما الأحاديث المثبتة لخلود أهل الدارين فكثيرة منها : حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يدخل الله أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه» (٥).

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة

---

(١) النساء : (١٦٧-١٦٩)
(٢) الأحزاب : (٦٤)
(٣) البقرة : (١٦٧)
(٤) غافر : (٣٦-٣٧)
(٥) أخرجه المسلم في الجنة باب النار يدخلها الجبارون (١٧/ ٢٧٠ ح٢٨٥٠) والبخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤١٥ ح٦٥٤٨)

كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة﴾ [(١)] وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون)[(٢)] .

وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم -أو قال بخطاياهم- فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل. فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية» [(٣)] .

والأحاديث كثيرة والمقصود بيان خلود أهل الجنة فيها، وخلود أهل النار فيها وهذا الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة.

وقد أجمعت الأمة على هذا كما قال الإمام الصابوني: - (ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها، خلقوا لها، لا يخرجون منها أبداً، ويؤمر بالموت، فيذبح على سور بين الجنة والنار، وينادي المنادي يومئذ: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا

(١) مريم: (٣٩)
(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم باب قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ (٨/ ٤٢٨ ح ٤٧٣٠) ومسلم في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (١٧/ ٢٦٩ ح٢٨٤٩)
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار(٣/ ٤٦ح١٨٥)

موت. على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ)[1].

وقال الإمام الطحاوي: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخق، وخلق لهما أهلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه. .)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: - وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة، على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة، والنار، والعرش، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع سلف الأمة وأئمتها)[3].

---

(١) الإمام الصابوني عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٦٦) تحقيق بدر البدر، وحديث ذبح الموت تقدم

(٢) انظر ابن أبي العز شرح الطحاوية (ص٤٢٠)

(٣) مجموع فتاوي ابن تيمية (١٨/ ٣٠٧)، وقال أيضاً في درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٤٥): - (. . ولهذا اشتد إنكار السلف عليهم لقولهم بفناء الجنة والنار)؛ فمن نسب القول بفناء النار إلى شيخ الإسلام فهو واهم أشد الوهم كيف وقد صرح في كثير من كتبه ببقاء الجنة والنار؛ كقوله في (درء التعارض) (٢/ ٣٥٨): (وقال أهل الإسلام جميعاً: ليس للجنة والنار آخر، وأنهما لا تزالان باقيتين، لا يزال أهل الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون، ليس لذلك آخر)؛ وقال في (بيان تلبيس الجهمية) (١/ ١٥٧) (وقد أخبر الله ببقاء الجنة والنار بقاء مطلقاً)؛ وقال كذلك: (والجهم يقول بفناء الجنة والنار، وأبو الهذيل الذي يقول بانقطاع حركات أهل الجنة والنار. . . وخالفهم جماهير المسلمين)، انظر الفتاوي (٨/ ٣٨٠)، (٣/ ٣٠٤)، (١٢/ ٤٥)، (١٤/ ٣٤٨)، وانظر منهاج السنة النبوية (١/ ١٤٦، ٣١٠، ٣٥١)، ودرء تعارض العقل والنقل (/ ٣٩ ١، ٣٠٥)، (٣/ ١٥٨)، وانظر نقض التأسيس (١/ ٥٨١)، ومما يبرىء شيخ الإسلام من القول بفناء النار هو أنه ألف كتاباً في (الرد على من قال بفناء الجنة والنار) كما ذكر ذلك ابن عبدالهادي في العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٦٧) طبعة دار الكتب العلمية بيروت، وقد طبعت أخيراً بتحقيق الدكتور محمد السمهري، نشر دار بلنسية في الرياض في (١٩٩٥م)

وقال الإمام عبدالغني المقدسي : (والإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ، خلقتا للبقاء لا للفناء ، وقد صح في ذلك أحاديث عدة) (١) .

وقال الإمام محمد بن الحسين الاجري : (اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن القرآن شاهد أن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام ، خلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا ، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان ، دل على ذلك القرآن والسنة . . .) (٢) .

وقال أبو الحسن الأشعري عن خلق الجنة والنار : (. . قال أهل السنة والاستقامة هما مخلوقتان ، وقال كثير من أهل البدع لم تخلقا) (٣) .

وقال عن بقاء نعيم الجنة ودوام عذاب النار : (أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا "الجهم" أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار) (٤) .

وقال أبومحمد بن حزم الأندلسي : - (وأن الجنة حق ، وأنها دار نعيم أبداً لا تفنى ، ولا يفنى أهلها ، بلا نهاية ، وأنها أعدت للمسلمين ، والنبيين المتقدمين ، واتباعهم على حقيقة كما أتوا به قبل أن ينسخ الله تعالى أديانهم بدين الإسلام ، وأن النار حق ، وأنها دار عذاب أبداً ، لا تفنى ، ولا يفنى أهلها أبداً بلا نهاية ، وأنها أعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام) (٥) .

---

(١) عبد الغني المقدسي الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٧٦) تحقيق د/ أحمد الغامدي مكتبة العلوم والحكم السعودية
(٢) محمد بن الحسين الآجري- الشريعة (ص٣٨٧)
(٣) أبوالحسن الأشعري مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٢/ ١٦٨) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط القاهرة
(٤) المرجع السابق (٢/ ١٦٧) وانظر كذلك أصول الدين للبغدادي (ص٢٣٩)، فقد نقل الإجماع أيضاً
(٥) ابن حزم الأندلسي- مراتب الإجماع (ص١٧٣) تعليق شيخ الإسلام ابن تيمية طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، وهذا من جملة الأدلة التي تبرىء شيخ الإسلام مما نسب إليه من القول بفناء النار ، إذ أنه أقر ابن حزم على كلامه هذا ولم يبد اعتراضاً ! !

وقال ابن القيم : (وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل، وخلق الخلق لهما ولا يفنيان، ولا يفنى ما فيهما أبداً، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [1] وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء، لا للفناء ولا للهلاك. .) [2].

---

(١) القصص : (٨٨)

(٢) ابن قيم الجوزية حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٧٩-٨٠) تحقيق يوسف بديوي ومحيي الدين مستو، وقد نسب إلى ابن القيم رحمه الله القول بفناء النار كما نسب ذلك إلى شيخه من قبل؛ ولا تصح هذه النسبة بل هي وهم واضح إذ أن ابن القيم قد صرح في كثير من كتبه بأبدية النار كما في الوابل الصيب حيث يقول:- (ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة، دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد. .) انظر ابن القيم في الوابل الصيب (ص٢٤) تحقيق الأرناؤوط الطبعة الثانية.

فابن القيم في هذا النص يفرق بين دار عصاة الموحدين ودار الكافرين، مما يدل على عدم قوله بفناء دار الكافرين، بل نجده يصرح بأن دار الخبث المحض (الكافرين) لا تفنى.

وأصرح من هذا قوله عن خلود الكفار في النار:- (. . وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، فلم يختلف في ذلك الصحابة، ولا التابعون، ولا أهل السنة، وإنما خالف في ذلك من حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع) انظر حادي الأرواح لابن القيم (ص٢٦٨)

وقد ذكر ابن القيم في نونيته قول الجهمية القائلين بفناء النار وذكر تكفير أهل السنة والجماعة لهم وانظر النونية شرح ابن عيسى (١/ ٨٢) (٢/ ٣٣٨) فما دام أن الإمام ابن القيم صرح هنا بعدم فناء النار فالواجب أن لا ينسب إليه القول بفنائهما بلا دليل ولا بينة، وإن وجد في بعض ثنايا كلامه -ما يفهم خطأ حول هذه المسألة- فالواجب أن يرد متشابه كلام الشيخ إلى محكمه، وظنيه إلى صريحه لا أن يضرب كلامه بعضه ببعض وينسب إليه قول لم يقل به أصلاً؛ وإنما فهمه البعض خطأ ونسبوه إليه بلا بينة أو برهان؛ وللاستزادة انظر اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٣٣) تحقيق عواد المعتق دار الفرزدق الرياض، وزاد المعاد (١/ ٦٦) وما بعدها تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، وطريق الهجرتين (٢٥٤) تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، وشفاء العليل لابن القيم (ص٤٣٥)، الطبعة الأولى (١٩٨٧) دار الكتب العلمية بيروت

- التفسير الكبير للرازي (٨/ ٦٣)
- الإمام الغزالي المقصد الإسني في شرح أسماء الله الحسنى (ص٦٢) تحقيق محمد عثمان الخشت مكتبة القرآن القاهرة
- التذكرة للقرطبي (٢/ ٢٠٩)، وفتح الباري (١١/ ٤٢١-٤٢٢)
- وابن الوزير في إيثار الحق على الخلق (ص٢١٩) دار الكتب العلمية بيروت



❖ **شبهات العلمانيين حول خلق الجنة والنار وبقائهما والرد عليها:-**

إذا كان الإيمان بوجود الجنة والنار وبقائهما من أصول العقيدة الإسلامية الثابتة بالأدلة القطعية من القرآن والسنة فإنه في نظر الدكتور جلال العظم من العسير على الإنسان المعاصر الذي يتمتع (بشيء من الحس المرهف، وبقسط ولو متواضع من الذكاء والثقافة العلمية) أن يستمر في الاعتقاد بوجود الجحيم والنعيم، حيث قال في كتابه (نقد الفكر الديني) :-

(أيستطيع هذا الإنسان أن يستمر في الاعتقاد بآدم وحواء، وبالجحيم والنعيم، وبأن موسى شق البحر الأحمر وحول عصاه حية تسعى؟ كيف يكون موقف الإنسان الذي نشأ نشأة دينية وتقبلها جملة وتفصيلاً من النظرة العلمية الطبيعية للحياة والكون والإنسان؟ من العسير أن نجد بيننا شخصاً يتمتع بشيء من الحس المرهف ويقسط ولو متواضع من الذكاء والثقافة العلمية؛ لم يعاني التوتر الذي تنطوي عليه هذه الأسئلة، والقلق الذي تثيره، في إحدى مراحل حياته ونموه..) [1].

- والصنعاني في رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي (١٩٨٥)
- عبدالحق ابن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧/ ٤٠٢) تحقيق الرحالي الفاروق وآخرون (١٩٧٨) قطر
- ومحمد الأمين الشنقيطي دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١٢٢-١٢٨) ط (١٤٠٣هـ) الرئاسة العامة للإفتاء السعودية
- ومرعي بن يوسف الحنبلي- توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين ط الأولى (١٩٩٨) دار ابن حزم بيروت
- ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٦٩)
- ومثير ساكن الغرام لصديق حسن خان (ص٧٣) وفتح البيان له (٥/ ١٠٧) ويقظة أولي الاعتبار: ٢٢)
- والاقتصاد في الاعتقاد لعبد الغني النابلسي (ص١٧٦)
- وكتاب أصول الدين لأحمد بن محمد الغزنوي الحنفي (ص٢٤٨)

(١) د. صادق جلال العظم نقد الفكر الديني (ص٢٠-٢١)

وإذا كان الدكتور العظم ينفي وجود الجنة والنار بل ويرى أن اعتقاد وجودهما ينافي (الحس المرهف والثقافة العلمية) فقد كان الدكتور حنفي أقل جرأة وأكثر دهاء حيث تعامل مع النصوص -كما هي عادته- وتأولها تأولاً باطنياً توصل به إلى أنه ليس هناك جنة ولا نار وأن القدماء لم يفهموا القرآن كما ينبغي؟!! حيث يقول: (ومع أن الله قادر على إفنائهما إلا أنهما باقيان لا يفنيان. وقد يبدو ذلك متناقضاً. فإذا كانت الجنة والنار مخلوقتين فإنهما بالضرورة فانيتان. الخلق يتبعه الفناء، والقدم يتبعه البقاء. ولا يوجد مخلوق يبقى أو قديم يفنى. لذلك كان الأقرب للتنزيه حفاظاً على صفة البقاء لله وحده أن تفنى الجنة والنار. وذلك أيضاً ظاهر في النص الذي يقول بفناء كل شيء إلا الله، وبقياس عرض الجنة والنار بالسموات والأرض وهما فانيتان. قد يغتم أهل الجنة ولكن يفرح أهل النار! ويمكن رفض التخليد بناء على حجج طبيعية وليس فقط على حجج إلهية. فما دامت القوة الجسمانية متناهية فلا بد من فنائها. كما أن دوام الإحراق مع بقاء الحياء مستحيلاً عقلاً، فالإحراق يحيل إلى رماد وينتهي الشيء المحروق. والنار تفنى بالرطوبة وبالتالي تنتهي إلى عدم، وتقل حرارتها كلما طال الزمان، وتفقد الطاقة جزءاً منها، وبالتالي فمصيرها إلى النهاية والفناء)[1].

والجواب على هذه الشبه كالآتي:-

أما بالنسبة لشبهة العظم فالجواب عليها من وجوه:

الأول:- نعم!! باستطاعة الإنسان أن يؤمن بوجود أصله البشري آدم وحواء، وكذلك الإيمان بوجود الجنة والنار والوقوع دليل الإمكان وهذه ملايين الخلق من أهل الأديان السماوية كلهم يؤمنون بهذه الحقيقة دون أن يجدوا ما يدعيه الدكتور العظم من وجود القلق والتوتر.. الخ؛ حيث يصف حالته النفسية القلقة المتوترة والمضطربة ثم يخرج عن حد الموضوعية ليعمم الحكم متصوراً أن هذه الملايين تعاني مما يعانيه.

الثاني: والمؤمنون بهذه الحقائق الدينية التي تلقوها عن الرسل والأنبياء لا يجدون ما يصادم أو

(١) حسن حنفي النبوة والمعاد (ص٥٩٦-٥٩٧)



يناقض هذا الاعتقاد من الأدلة الحسية أو العقلية؛ بل وما زال علماء الطبيعة يقدمون النظريات تتلو النظريات ثم لا يجدون محيصاً من الاعتراف بأن نظرياتهم لا تمثل حقائق علمية ولهذا انتقد كثير من علماء الطبيعة نظرية (داروين) -التي يحاول الدكتور العظم ترويجها والتبشير بها على أنها حقيقة علمية ليدعم بها توجهاته الماركسية المادية- فقد أصبحت نظرية داروين نظرية قديمة في علم الأحياء.

الثالث: ثم إن الكاتب الدكتور العظم أراد الثورة على الدين بدعوى العلم والثقافة فإذا هو يأتي بدين جديد، يفسر به أحداث الماضي السحيق، ويحسم قضايا المستقبل رجماً بالغيب، فأصل الإنسان عنده قرد مع أنه لا يستطيع إقامة دليل حي أو عقلي على هذه (العقيدة الجديدة) كما أنه يقطع بعدم وجود ما وراء هذا العالم؛ بينما المنهج العلمي يلزمه أن يقف موقف الشك والظن ما دام لا يصدق بإخبار الرسل، ولا يملك الأدلة القطعية في هذه القضايا.

الرابع: ثم إن الكاتب يحاول فرض رؤيته ونظرته للحياة والكون على القارىء ويمارس (الإرهاب الفكري) بتجريده لكل من يخالفه الرأي من العقل وصفة العلم والذكاء ليستسلم له القارىء، ويسلم له بصحة (الدين الجديد) الذي يبشر به الدكتور العظم؟!!

وأما الجواب على ما أورده الدكتور حنفي من أسئلة تشكيكية حول وجود الجنة والنار واستمرارها فمن وجوه:

الأول: أن دعوى التناقض بين القول بأن الجنة والنار مخلوقتان والقول بأنهما دائمتان؛ دعوى باطلة؛ إذ لا دليل شرعياً أو عقلياً على استحالة ذلك، أما شرعاً فهذا من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة القطعية ولم يختلف أهل الإسلام قاطبة أهل النقل والعقل على إمكان ذلك -كما قدمنا- وسواء قيل أن الجنة والنار موجودتان الآن أو سيخلقهما الله في المستقبل فلا خلاف بين أهل الأديان السماوية على استمرارهما وبقائهما[1]، ومثلهما أهلهما ولهذا قال

(١) انظر اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام للدكتور فرج الله عبدالباري (ص٢٢٦-٢٨٧) الطبعة الثانية (١٩٩٢) دار الوفاء القاهرة، وانظر تاريخ جهنم - جورج بنوا تعريب انطوان الهاشم الطبعة الأولى (١٩٩٦) دار عويدات لبنان

تعالى في شأن الجنة ﴿أكلها دائم وظلها﴾ [1]، ولم يقل أحد من أهل الإسلام أن الأبدية الثابتة في آيات كثيرة في مثل قوله تعالى : ﴿خالدين فيها أبداً﴾ [2] يتعارض ويتناقض مع صفة الخلق والحدوث ؛ بل وحتى الفلاسفة الذين يثبتون المعاد الروحي هم قائلون ببقاء الروح سعيدة أو شقية بعد الموت ولا يرون في ذلك ما يتناقض مع كونها مخلوقة من العدم ! !

الثاني: أنه إذا أثبتنا أن الله هو الخالق القادر على كل شيء فإن ما سواه هو المخلوق بعد العدم، القابل والواقع تحت المشيئة والإرادة الإلهية فإذا شاء الله البقاء لشيء من مخلوقاته فإنها تظل باقية حسب الإرادة والمشيئة الإلهية ؛ والقول بأنه يستحيل بقاء المخلوق إنما يمكن الاستدلال عليه بالدليل النقلي -إن وجد- وإلا فالدليل الحسي والعقلي لا يدلان على استحالة ذلك، فهذه السموات والأرض منذ آلاف السنين على حالهما ولا مانع من استمرارهما على هذه الحالة، لولا قيام الأدلة النقلية على أنه سيأتي يوم تبدل الأرض فيه غير الأرض والسموات، كما أن هذا القول ينفي صفة القدرة عن الله عز وجل مع أنه على كل شيء قدير سبحانه وتعالى .

والفرق حينئذ ظاهر بين صفة البقاء لله عز وجل وصفة البقاء لما شاء من مخلوقاته كما هي القاعدة في إثبات الصفات لله عز وجل، كما في قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [3]، فالبقاء الذي هو صفة لله عز وجل وصف ذاتي واجب لازم، والبقاء الذي هو صفة للمخلوقات بقاء عرضي ممكن غير لازم، بل هو تحت المشيئة والإرادة الإلهية، فدعوى التنزيه التي يدعيها الكاتب مرفوضة، وإلا فالوجود الذي هو صفة لله يناقض الوجود الذي هو صفة للمخلوق، وكان -حسب دعوى التنزيه- أن ينفي صفة الوجود عن المخلوق تنزيهاً للخالق ! !

---

(١) الرعد : ٣٥

(٢) الفتح : ٥

(٣) الشورى : ١١

الثالث: أما استدلال الكاتب بالآية ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ -التي كعادته لم يوردها بنصها وإنما ساق معناها حيث يخلو كتابه من الاستدلال بالقرآن والسنة- وزعمه أن استدلاله بالآية نص ظاهر فباطل من وجوه:

(١) أن الآية ليست كما ادعى نص ظاهر على دعواه؛ بل الخلاف في تأويلها بين علماء الإسلام مشهور [١].

(٢) أن الآية تفهم مع الآيات الأخرى فهماً كلياً كما تقتضيه قواعد الفهم الصحيح للنصوص النقلية، فإذا ثبت أن كل شيء هالك وثبت أن هناك أشياء لا تفنى؛ كان الجواب هو أن العموم ليس على ظاهره بل هو من العام الذي أريد به الخصوص كقوله تعالى عن الريح: ﴿تدمر كل شيء بأمر ربها﴾ [٢] مع أنها إنما دمرت أشياء معينة وليس كل شيء.

(٣) أنه على فرض أن الآية عامة لا خصوص فيها، فيمكن القول بأن الهلاك المراد في هذه الآية هو الفناء في قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ [٣] أي على وجه الأرض من المخلوقات.

(٤) أو يقال أنه على عمومه إلا ما استثناه الله عز وجل كالجنة والنار. . . الخ.

(٥) وقد يقال أن المقصود بالهلاك هنا: العدم، وأن (هالك) أي: كان هالكاً وعدماً أي يجب ما كان لا يجب ما سيكون وعلى هذا فالآية عامة لا خصوص فيها البتة إذ كل ما سوى الله قد كان عدماً هالكاً خلقه الله عز وجل بعد أن كان عدماً.

(٦) ثم على فرض التسليم بأن الآية على ظاهرها وأنها عامة لا خصوص فيها فيمكن القول بأن الله سيهلك جميع المخلوقات بلا استثناء ثم يعيد من شاء منها ولا دليل في الآية يعارض

---

(١) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٦/ ٤٥٦ وتفسير الماوردي علي بن حبيب الماوردي ٣/ ٢٤٢ ط الأولى ١٩٨٢ وزارة الأوقاف الكويتية.
(٢) الأحقاف: ٢٤
(٣) الرحمن: ٢٦

ذلك ؛ ومن ثم لا يكون للدكتور حسن حنفي مستمسك حتى على القول بظاهر الآية .

الوجه الرابع : في الرد على الكاتب : وزعم الكاتب أن هناك تعارضا بين القول بفناء السموات والأرض وبقاء الجنة مع أن عرضها السموات والأرض فدليل آخر على عجز الكاتب عن فهم هذا القرآن العربي إذ أن السموات والأرض شيء والجنة شيء آخر أعظم منهما ، وإنما عرض هذه الجنة كعرض السموات والأرض كما في الآية الأخرى ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض﴾ (1) والكاف هنا للتشبيه ، والتشبيه يقتضي المغايرة وإن المشبه غير المشبه به ، ووجه الشبه هو في عرض الجنة فقط ؛ والجنة فوق السموات السبع وملكوت الله أعظم وأجل من أن تدركه العقول البشرية .

الوجه الخامس: وأما الحجج الطبيعية التي أوردها الكاتب ظنا منه أنها تؤيد رأيه فهي حجة عليه لا له فقد ثبت طبياً أن النار إذا أحرقت الجسم ، وعادت الحياة إليه ، أنه تتجدد خلايا الجسم ويعود الجلد على ما كان عليه قبل الإحراق وقد أثبت القرآن أنه كلما احترقت جلود أهل النار أبدلهم الله جلوداً غيرها وليس في ذلك ما يحيله العقل ، بل هو في دائرة الإمكان والله قادر على تعذيب أهل النار بالنار مع إبقاء الحياة فيهم .

الوجه السادس: وأما احتجاجه بالأدلة الطبيعية ثم قوله بعد ذلك مباشرة في أثناء استدلاله بالحجج الطبيعية : (وهذا مستحيل عقلاً) فأوضح دليل على خلط الكاتب ، وعجزه عن إقامة الدليل ، إذ ركب هذا الدليل من مقدمات طبيعية وخرج بنتيجة عقلية هي الحكم بالاستحالة العقلية؟!! كما أن هذا القول دليل على أن الكاتب لا يؤمن بقوله تعالى : ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ (2) إذ يستحيل عقلاً –كما يزعم الكاتب– أن يدخل إنسان النار ولا تحرقه بل تكون عليه برداً وسلاماً!!!

الوجه السابع: ثم إذا كانت النار تفقد طاقتها بالاشتعال فهل هناك ما يمنع من إيقادها مرة بعد مرة وقد قال تعالى عن النار : ﴿كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ (3) .

---

(1) الحديد : ٢١

(2) الأنبياء : ٦٩

(3) الإسراء : ٩٧

المبحث الثاني

الجنة ونعيمها

المبحث الثاني
الجنة ونعيمها

الجنة في اللغة : البستان ، ومنه الجنات ، والعرب تسمي النخيل جنة ، وأصل اشتقاقها من الستر والتغطية ، ومنه الجنين لاستتاره ، وكذلك الجن [1] .

وفي الاصطلاح : دار الثواب وهي فضل من الله تعالى يمن بها على عباده الصالحين ، والإيمان بالجنة وكذا النار واجب [2] .

يقول الله عز وجل عن المؤمنين يوم القيامة : ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ [3] .

وعدد أبواب الجنة ثمانية كما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :-

«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» [4] .

---

(١) انظر الصحاح للجوهري (٣٠٩٤/ ٥) تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ط الثانية (١٩٨٢) وانظر تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي (٩/ ١٦٦) دار مكتبة الحياة مصر

(٢) انظر لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٢٢٥)

(٣) الزمر : (٧٣)

(٤) أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء (٣/ ١٤٩ح٢٣٤) .

وأول من يستفتح باب الجنة هو النبي صلى الله عليه وسلم ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ، لا أفتح لأحد قبلك» (١) .

وكما أن الناس يتفاوتون في فضلهم ومنازلهم ودرجاتهم في الحياة الدنيا ، فكذلك الأمر في الحياة الآخرة ؛ وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى : -

﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ❖ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ❖ أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ (٢) .

ويقول تعالى : -

﴿لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ❖ درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (٣) .

والجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين مائة درجة ما بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض ، وهذا ثابت بقوله صلى الله عليه وسلم : «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة» (٤) .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ أنا (٣/ ٨٩ح١٩٧) .
(٢) الأنفال : (٢-٤)
(٣) النساء : (٩٥-٩٦)
(٤) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير باب درجات المجاهدين في سبيل الله (٦/ ١١ ح٢٧٩٠) .

والجنة اسم لدار القرار والسعادة الأبدية وهي تحتوي على أربع جنان كما ثبت ذلك في صريح القرآن وصحيح السنة ؛ وفي ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[1] ، وعدد الله أوصاف هاتين الجنتين بقوله تعالى : ﴿ذواتا أفنان﴾ و ﴿فيهما عينان تجريان﴾ و ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ ثم قال تعالى بعد ذلك عن المؤمنين أنهم ﴿متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان﴾ ثم ذكر الله عز وجل أن ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ وأما أوصافهن ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ .

وبعد ذكر هاتين الجنتين قال الله تعالى : ﴿ومن دونهما جنتان﴾ [2] وعدد أوصافهما جل وعلا فقال : ﴿مدهامتان﴾ وقال : ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ وأيضاً ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ ، وكذلك ﴿فيهن خيرات حسان﴾ وقال : ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ وقال تعالى في وصفهن ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ وقال تعالى كذلك ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾ .

وقد ذهب جمهور المفسرين [3] إلى أن الجنتين الأوليين أفضل من الأخريين لأن : (دون) في اللغة تأتي بمعنى (تحت) وليس (فوق) ، وكذلك لأنه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف هذه الجنان الأربع قوله : - «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه ، في جنة عدن» [4] .

---

(١) الرحمن : (٤٦) وما بعدها من الآيات الكريمة

(٢) الرحمن : (٦٢) وما بعدها من الآيات الكريمة

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٧/ ٨٩) وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٩) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ١٨٤)

(٤)أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه (٣/ ٢٠ح١٨٠) .

أما عن مساكنها فيقول النبي ﷺ : -

«إن للمؤمنين في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» (1) .

أما نساء الجنة من الحور العين فقد قال عليه السلام : «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت مابينهما ريحاً ، ولنصيفها -يعني الخمار- على رأسها خير من الدنيا وما فيها»(2) .

هذا وإن أعظم نعمة ينعم الله بها على عباده في الجنة هي لذة النظر إلى وجهه الكريم ، وهذا ثابت في الكتاب والسنة ، فمن الكتاب قوله جل وعلا عن المؤمنين يوم القيامة : ﴿وجوه يومئذ ناضرة ❖ إلى ربها ناظرة﴾ (3) .

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجنا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» (4) .

وقوله ﷺ : «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا» (5) .

وما ورد الشرع الكريم به في وصف الجنة قليل بجانب ما أعد الله لعباده يوم القيامة حيث يقول تبارك وتعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ (6) .

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها باب صفة خيام الجنة (١٧/ ٢٥٦ح٢٨٣٨)، والبخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقه (٦/ ٣١٨ ح٣٢٤٣)، مع اختلاف يسير.
(2) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤١٨ ح ٦٥٦٨)
(3) القيامة : (٢٣)
(4) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة (٣/ ٢١ح١٨١) .
(175) أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (٢/ ٣٣ح٥٥٤) .
(6) السجدة : (١٧)



ويقول صلى الله عليه وسلم :- «قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ . .»(١).

❖ شبهات العلمانيين حول الجنة ونعيمها والرد عليها :-

قديماً قال ابن الراوندي الملحد مستهزءاً بنعيم الجنة : (حليب ولا يكاد يشتهيه إلا الجائع، وذكر العسل ولا يطلب إلا صرفاً، والزنجبيل وليس من لذيذ الأشربة، والسندس يلبس ولا يفرش، وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج؛ قال : ومن تخايل أنه في الجنة، يلبس هذا الغليظ، ويشرب الحليب والزنجبيل، صار كعروس الأكراد والنبط . .)(٢).

ولا يزال يخلف ابن الراوندي الملحد إخوان له في كل عصر طمعاً في صرف الناس عن الدار الآخرة، وجعل الدنيا مرتعاً خالداً لشهوات العلمانيين ولذاتهم وقد جاء الاستهزاء بنعيم الجنة بأقلام العلمانيين بعدة وسائل فمرة عن طريق الشعر الحداثي، وتارة عن طريق كتابة الروايات، وتارة عن طريق التشكيك المتضمن للتكذيب .

وإذا أتينا نستعرض الشعر نجد أن استاذ الحداثة الأدبية (أدونيس) يستهزىء بنعيم الجنة فيقول في قصيدته النثرية :-

(. . . إذا اشتهى الإنسان طائراً

سقط بين يديه مشوياً بعد أن يشبع

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ (١٣/ ٤٦٥ح ٨٤٩٨) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (١٧/ ٢٤٢ ح ٢٨٢٤)

(٢) تاريخ ابن الراوندي الملحد (ص ١٦٣) تحقيق عبدالأمير الأعسم ط (١٩٧٥) بيروت وانظر عزيز العظمة دنيا الدين في حاضر العرب (ص١٢٣)



تتجمع عظام الطائر وينهض ليرعى

هــنــــــا

أشجاراً تخرج من أوراقها ثياب لا تبلى

سحائب لا يسألها الإنسان شيئاً إلا أمطرته

بعضهم يقول

أمطريــنـــــا

نــســـــــــاء

فتمطر ويدخل الرجل في المرأة) [1].

ولا يخفى أن هذا استهزاء بطعام أهل الجنة، وأشجارها، وتمنى أهلها ما يشتهون، ثم استهزاء بوجود الحور العين في الجنة.

وإذا كان أدونيس قد وجد بغيته في الاستهزاء بالجنة ونعيمها عبر قصيدة نثرية، فإن غالي شكري صاحب رواية كوميديا الأشباح يستهزىء عبر شخصيات الرواية بالجنة ونعيمها قائلاً: (جاءت النادلة التي لم يكن يغطي جسدها سوى ورقة خضراء شبيهة بتلك التي اعتادت حواء ارتداءها في الجنة فسألتها مشيراً بيدي إليها: ورقة اصطناعية أليس كذلك... هزت النادلة الشابة رأسها:

- ماذا تعتقد يا سيدي؟ لقد قطفتها اليوم بنفسي في الجنة

- إلمسها لتتأكد بنفسك.

- ومددت أصابعي بتردد ولمست حافة الورقة:

---

(١) أدونيس المجموعة الشعرية (٣/ ٢٢١)



- إنها حقيقية بالفعل .

- من شجرة تفاح ، هناك الكثير منها في الجنة .

- قلت :

- كنت أعتقد أننا في الجحيم .

- ضحكت الفتاة :

- هناك ممرات سرية كثيرة بين الجحيم والجنة ، إنني أعيش في الجنة .

- وأعمل في الجحيم ، كثيرون هم الذين يفعلون ذلك .

- أومأت برأسي ، موافقاً :

- آه حقاً . لقد مر زمن طويل على نزوحي من الجنة .

- ذهبت النادلة وعادت بقنينة نبيذ ، وضعتها على المنضدة) [1] .

والطعن بثوابت هذا الدين وعقائده من خلال القصة والرواية ليس بالشيء الجديد فكثير من الروايات حافلة بهذا ، إلا أن أصحابها يختلفون في طريقة العرض والاستهزاء والتشكيك فبينما نرى غالي شكري في كوميديا الاشباح واضحاً كل الوضوح في طعنه واستهزائه بالدار الآخرة والجنة والنار ، فإننا نجد نجيب محفوظ شيخ الروائيين العرب يختبىء خلف شخصيات روايته (أولاد حارتنا) ليثبت أن الحياة الآخرة عبث ، وأن (الجبلاوي) -أحد رموز قصته التي قصد بها (الله) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً- يموت في آخر القصة ويدخل الناس ذلك (البستان الكبير) بعد موت صاحبه ، وهي من أخطر الروايات التي شككت بثوابت الدين ومعتقدات المسلمين مما حدا بالسلطة سحبها من الأسواق ومنع تداولها [2] .

(١) غالي شكري - كوميديا الأشباح (ص١٣٢-١٣٣)

(٢) انظر د/ السيد أحمد فرج أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ط . الأولى ١٩٩٠ دار الوفاء القاهرة .

وديب علي حسن/ نجيب محفوظ بين الإلحاد والإيمان ط . الأولى ١٩٩٧ دار المنارة بيروت .

ثم إن الاستهزاء لم يقتصر على كتابة الروايات والشعر فقط بل بكتابة المقالات العلمية – زعموا– فهذا عزيز العظمة يكتب في مجلة الناقد مستهزءاً بنعيم الجنة ويخص باستهزائه الحور العين قائلاً : –

(تتخذ الحور العين طابع التماثيل الراضية إذن ، وفي صفتهن ما يؤكد هذا الكلام ، فالحور العين لسن من لحم ودم بل إن أسفلهن من الرجلين إلى الركبتين من المسك ، وأوسطهن بين الركبتين والثديين من العنبر ، وأعلاهن من الكافور ، ثم إن للحور العين ذوات الصفات المنفرة هذه ؛ صفات أخرى تناسب الذوق الكبتي لكثير من المسلمين ، فإن الحور العين كواعب ، أي أن أثداءهن صغيرة كأثداء الصغار . . وكلهن أصنام توافق مشرب الخيال الجامح إلى السيطرة . .)[1] .

ويصل في النهاية إلى نتيجة : (إن أخبار الحور العين في الجنة إنما هي بنات فكر وتصور مخيلة اغتصابية ، تزيح عن صاحبها الرغبة لتضع مكانها الشهوة)[2] .

ولم يكن عزيز العظمة المشكك الوحيد في نعيم الجنة فهذا (إبراهيم محمود) يقول : (ليس بإمكان أي كان حين قراءته لما دون أو قيل عن الجنة ، في تكوينها الأرض وما لها من مزايا إلا ويناله العجب العجاب ويتملكه الاستغراب والدهشة ، وهو يتعرف على روعة المخيلة الإسلامية في ذلك ، وكيف أبدعت وصفاً ! كأن المخيلة تدرك أهمية الموضع المتخيل والمطروح لاستيعابه ، لذلك يفيض في إبرازه تشخيصاً وتمحيصاً ، إن كل ما هو مفتقد أو نادر ، يسهل وجوده في الجنة بل إن العناصر تكون مغايرة كلياً لتلك الموجودة في بنية الأرض ، فليس التراب تراباً ، ولا البناء يتم من مواد معهودة راهناً ، ولا إنجاز بناء معين يحصل في ظروف كظروفنا تتطلب تقنيات محددة ووقتاً ، والقوانين التي يفهم من خلالها ما هو جنتي مغايرة كلياً لما هو أرضي على الصعيد كافة .

---

(١) مجلة الناقد اللبنانية عزيز العظمة سيمفونية الملذات (المتعة ودورها في عالم الفردوس) عدد تموز يوليو (١٩٩٣)

(٢) نفس المرجع

ويتساءل المرء : كيف يمكن للنمو النباتي أن يتم -على سبيل المثال- في مجال لا يسمح بذلك، وكيف يمكن لأرض معدنية ترابها ذهب مثلاً أن تثمر وتنبع ؟!..) (١).

ولا يخفى ما في هذا الكلام من استهزاء بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر إذ أن هذه الكلمات إنما تدل على أن قائليها إنما ينظرون إلى القرآن على أنه مجرد أساطير شعبية لا حقائق لها وعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بهذه الأساطير الخيالية إشباع الرغبة الجنسية عند العرب، هذه الشهوة المكبوتة التي يقول عنها عزيز العظمة (بنات فكر وتصور مخيلة اغتصابية)، ولا يخفى ما في هذه الألفاظ النابية من قلة أدب تنشر باسم الأدب -زعموا- وما فيها من كفر وإلحاد.

وهؤلاء ليسوا من أصحاب الفكر والحجج والمنطق حتى يرد عليهم، وسقوط كلامهم أظهر أن من يحتاج إلى وجود أدلة لمحاججتهم؛ وقبل أن يرد عليهم يجب أن يناقشوا في إيمانهم بالقرآن بل بوجود الله عز وجل وإرسال الرسول ﷺ، والاستهزاء بالدين قديم يتجدد وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ (٢).

ومع ذلك.. نقول أن جميع ما استهزأ به العلمانيون مما في الجنة من النعيم ثابت عندنا بكتاب الله جل وعلا وبسنة رسول الله ﷺ فالطير الذي يستهزئ به (أدونيس) ثابت بقول الله تعالى عن طعام أهل الجنة ﴿وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون﴾ (٣). وأما أشجارها فثابته بقوله عليه السلام: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمّر السريع مائة عام ما يقطعها» (٤). وأما الحور العين فقد تقدم الحديث عليها ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ (٥). وقوله﴿وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون﴾ (٦)، أما استهزاء (العظمة) بالحور العين فهذا لا ينفي

(١) إبراهيم محمود جغرافية الملذات (الجنس في الجنة) ص ٢٤٨ ط. الثانية ١٩٩٨ دار رياض الريس سوريا.
(٢) الحجر: ٩٥.
(٣) الواقعة: ٢٠، ٢١
(٤) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب أن في الجنة شجرة (١٧/ ٢٤٥ح٢٨٢٨).
(٥) البقرة: ٢٥.
(٦) الصافات: ٤٨، ٤٩.

أصل المسألة ووجودها في الجنة إذ أنه لم يقم الدليل العلمي على استحالة هذا الشيء بل إن استهزاءه بصورة الحور العين وأن (أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر وأعلاهن من الكافور) - مما جعله يقول أن هذه (صفات منفره) - حيدة عن الصورة الحقيقية والثابتة في الكتاب والسنة وإلا فالصفة التي أوردها لم تثبت أصلاً، وأنما ثبت زيادة على ما سبق بيانه قول النبي عليه السلام «.. ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن»[1].

فهذا الوصف النبوي يبين جمال الحور العين وحسنهن وهذا لمن يعرف البلاغة النبوية وجماليات اللغة العربية، أما من حرم من هذا فالنقص راجع عليه لا على اللغة؛ كما أن استهزاء (العظمة) بأن الحور العين (كواعب) وأنها (بنات فكر وتصور مخيلة اغتصابية) تكذيب لصريح القرآن الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً﴾[2]. وقال جل ذكره: ﴿وكواعب أتراباً﴾[3]، فالله جل جلاله هو الذي أنشأ الحور العين بهذه الصفة التي وردت في القرآن وبلسان عربي مبين لا يقبل تأويلاً، ورد هذا هو رد لصريح القرآن وتكذيب لرسول الله ﷺ الذي بلغ وحي الله عز وجل، وإذا كان العظمة يدعي الاستحالة في هذا الأمر فلينظر إلى خلق الله للإنسان من عدم، وكيف أنشأه الله طوراً بعد طور من النطفة إلى المضغة إلى العلقة إلى تكوين العظام إلى كساء العظام لحماً ثم ينشؤه الله خلقاً آخر ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ثم يرده إلى أرذل العمر، فالذي خلقه من العدم قادر جل وعلا أن يبعثه في صورة جديدة يوم القامة، فما هو وجه الاستحالة في اعتراض (العظمة) وغيره من العلمانيين على إنشاء الحور العين ووجودهن في الجنة؟! وهل يعجز الله جل وعلا مثل هذا الخلق وهو الذي خلق السموات والأرض ومن فيهن؟! تعالى الله عما يقولون.

وأما شبه (ابراهيم محمود) فهي كشبه أصحابه فهو يتعجب من مغايرة العناصر التي في الجنة لما هو موجود في الأرض، والبحث مع هؤلاء يكون في إثبات (أن الله على كل شيء

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب في صفات الجنة وأهلها (١٧/ ٢٥٣ح٢٨٣٤/ ١٧).
(٢) الواقعة: ٣٥-٣٧.
(٣) النبأ: ٣٣.



قدير) فإن أثبتوها قيل لهم : إن الله عز وجل الذي خلق التراب في الأرض قادر جل وعلا أن يجعل الجنة من الذهب والفضة كما جا في الحديث عن رسول الله ﷺ : «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما . . »[1] ؛ وعليه فلا وجه لاستغراب (إبراهيم محمود) لقوله : (كيف يمكن لأرض معدنية ترابها ذهب أن تثمر وتنبع ؟) لأن الذي جعل خاصية النمو في التراب هو الله وكذلك قادر جل وعلا أن يجعل هذه الخاصية فيما شاء جل وعلا فهو لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، هذا إذا كان العلمانيون مشكلتهم في ثبوت النص، أما إن كانوا يجادلون في (قدرة الله عز وجل على كل شيء) فالمناقشة تكون معهم في أصل الإيمان وإثبات خالق لهذا الكون.

إن المعضلة الحقيقية لهؤلاء الماديين أنهم لا يؤمنون إلا بما هو محسوس مع أنهم يتناقضون ويؤمنون بأشياء غير محسوسة ولا يعرفون لها تفسيراً، فالروح موجودة مع أنها غير محسوسة، وكذلك الموت وكذلك العقل والهواء والجاذبية وغيرها فهل يستطيع العلمانيون إنكار هذه الأشياء بحجة أنها غير محسوسة؟! لقد صدق الله تعالى إذ يقول : ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾[2].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير في باب ومن دونهما جنتان (٨/ ٦٢٣ح٤٨٧٨).

(٢) يونس : ٣٩.



المبحث الثالث

النار وجحيمها



المبحث الثالث
النار وجحيمها

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بوجود النار التي أعدها الله تعالى للفجار الكفار يوم القيامة .

وقد ورد وصفها في الكتاب والسنة حتى يحذر منها عباد الله الصالحون ؛ وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : - ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾ [(١)] .

ويقول جل وعلا : -

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [(٢)] .

ويقول الله عن أبوابها : ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين ❖ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ [(٤)] .

وأما خزنتها فقد ذكرهم الله بقوله : ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء

(١) الكهف : (٢٩)
(٢) التحريم : (٦)
(٣) الحجر : (٤٣-٤٤)
(٤) الزمر : (٧٢)

يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ [1].

وقال تعالى كذلك : ﴿سأصليه سقر ❖ وما أدراك ما سقر ❖ لا تبقي ولا تذر ❖ لواحة للبشر ❖ عليها تسعة عشر﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾ [3].

وكما أن الجنة درجات فكذلك النار دركات، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾ [4].

وأما عن حجمها وبعد قعرها فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾ [5].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : - «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» [6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها» [7].

---

(١) الزمر : (٧١)
(٢) المدثر : (٢٦-٣٠)
(٣) الزخرف : (٧٧)
(٤) النساء : (١٤٥)
(٥) الكهف : (٢٩)
(٦) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب شدة حر نار جهنم (١٧/ ٢٦١ ح ٢٨٤٢)
(٧) مسلم كتاب الجنة باب شدة حر نار جهنم (١٧/ ٢٦٢ ح ٢٨٤٤)



وعن شدة حرها يقول النبي صلى الله عليه وسلم : - «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم ، قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها» (١).

أما طعام أهلها فمن شجرة الزقوم التي يقول الله عز وجل عنها : ﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم ❁ إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾ (٢).

ويقول جل ذكره : ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ❁ خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ (٣).

ويقول تعالى عن طعام أهل النار : ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع ❁ لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ (٤).

ويقول تعالى : ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً ❁ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ (٥).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم واصفاً شجرة أهل النار : - «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه» (٦).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب شدة حر نار جهنم (١٧/ ٢٦١ ح ٢٨٤٣) والبخاري في بدء الخلق باب صفة النار وإنها مخلوقة (٦/ ٣٣٠ ح ٣٢٦٥)

(٢) الصافات : (٦٢-٦٧)

(٣) الدخان : (٤٣-٤٩)

(٤) الغاشية : (٦-٧)

(٥) المزمل : (١٢-١٣)

(٦) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم باب ماجاء في صفة شراب أهل النار (٤/ ٧٠٦ ح ٢٥٨٥) وقال عنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٨٢ ح ٥٦٨٣) سنده صحيح

وأما أكثر أهلها فالنساء والجبارون والمتكبرون لحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» (١).

وذكر الحق تبارك وتعالى أنه كلما نضجت جلود أهل النار بدلهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب فقال جل من قائل : - ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ (٢).

وقال صلى الله عليه وسلم : «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث» (٣).

❖ شبهات العلمانيين حول النار وجحيمها والرد عليها:-

يستهزىء (غالي شكري) بالنار والملائكة، و (بمالك) خازن النار، علاوة على استهزائه (بالله عز وجل) أو (ملك الزمان) -على حد تعبيره- فيقول في رواية كوميديا الأشباح :

(يقول المفوض وقد ازدادت شكوكه :

- أعتقد أنكم تصعدون إلى السماء للتجسس على أخبار الله وما يدور في عرشه، وعلى أي حال سوف نرى إن كنتم جواسيس أم لا . هناك وسائل كثيرة للتأكد من أقوالكم .

ثم ينادي شرطياً، كان يقف أمام الباب ويقول له :

---

(١) تقدم تخريجه
(٢) النساء : (٥٦)
(٣) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون (١٧/ ٢٧١ ح ٢٨٥١)



- خذهما إلى السرداب.

يدفعنا الشرطي أمامه، سائراً بنا إلى السرداب الذي تطل نوافذه على زقاق يتفرع من الشارع العام ثم يطلب من شرطي آخر يجلس على كرسي ويدخن أن يفتح الباب :

(- عندك ضيوف يا مالك هيا افتح باب سردابك.

يفتح مالك الباب وينادي على المعتقلين داخل سردابه :

- عندنا ضيوف جدد يا شباب. لماذا لم أعد أسمع أصواتكم؟ هيا غنوا.

المعتقلون الذين تجمعوا أمام الباب يجأرون بصوت موحد عاش ملك الزمان.

عاش، عاش)[1].

ولا يخفى ما في هذا الكلام من استخفاف واستهزاء بعقيدة النار وجحيمها، وتصويرها على أنها مجرد قصة تروى ثم تطوى.

أما الدكتور حسن حنفي فيرى أن صور العذاب الواردة في النار (صور فنية من أجل المبالغة والتأثير في النفس لا تمنع من بروز المعارض العقلي. فكيف تكون في الأرض وفي الوقت نفسه دار عقاب بعد فناء الأرض ومن عليها؟ وكيف تبرد في ماء البحر مرتين والنار والماء نقيضان لا يجتمعان؟ وبأي نيران يحمى عليها ألف سنة؟ وهي نيران في حاجة إلى نيران أخرى كي يحمى عليها وتبرز ألوانها البيضاء في الألف سنة الأولى، والحمراء في الألف الثانية، والسوداء في الألف الثالثة، وكل نيران في حاجة إلى نيران إلى ما لا نهاية حتى الوصول إلى نيران أولى ليست في حاجة إلى نيران أخرى لتحميتها. والألوان نوع من الزركشة في الخيال الشعبي حتى تكون أكثر إيقاعاً في النفوس. وكيف يكون لخازنها أصابع بعدد أهل النار؟ كيف يكون حال اليد إذن وحال الذراع والجسد كله؟ وما وظيفة كل إصبع؟ وكيف يذيب الإصبع السماء كلها، والخازن في السماء والعرش في السماء؟)[2].

(١) كوميديا الأشباح غالي شكري (ص١٦٨)

(٢) حسن حنفي النبوة والمعاد (ص٥٩٢)



وهكذا يصل الدكتور حسن حنفي بالقراء بعد أن مهد لشبهه الآخذ بعضها برقاب بعض إلى النتيجة التي يؤمن بها مسبقاً قبل كتابته هذا الكتاب إذ لا يخفى نزعته المادية (الماركسية) التي سلطها على النصوص الشرعية ليصل إلى أن كل ما جاء في القرآن من وصف للنار إنما هو خيال شعبي، وأساطير مفتقداً أدنى ما توجبه الأمانة العلمية التي تفرض عليه أن يدرس النصوص الشرعية الثابتة دون خلطها بالأحاديث الموضوعةالتي أدخلها إخوانه من قبل لمحاربة الدين ولكن الله عز وجل هيأ لها علماء لبيان بطلانها، وإيراد حنفي لهذه الأحاديث أراد بها إظهار أن كل نصوص الشرع هي من هذا القبيل (خرافات وأساطير)؛ ولو اكتفى بما جاء في القرآن من وصف للنار لما استطاع أن يجعل من هذه القضية العقائدية الخطيرة -التي أجمع عليها أهل الإسلام ومعلومة من الدين بالضرورة القطعية - محل هزء وسخرية، وهو أذكى من أن يخفي أن كثيراً مما يورده ثم يعترض عليه إنما هي أحاديث باطلة وموضوعة غير أنه اتخذها جسراً ليهدم بها ما هو ثابت وقطعي ليسقط بذلك ويخرج عن حد الموضوعية والأمانة العلمية، وإلا فقوله (إن النار تبرد في ماء البحر مرتين، وإن خازنها له أصابع بعدد المعذبين وأن إصبع الملك يذيب السماء كلها . . . الخ) مما لم يثبت أصلاً عن النبي ﷺ.

وأما سؤاله كيف تكون في الأرض فإنما أتى من عجمته وعدم فهمه للنصوص، إذ أن أسفل كل شيء هو أرضه مثلما أن كل أعلا شيء هو سماؤه وليس المقصود أن النار في هذه الأرض التي نحيا عليها كيف والله عز وجل يقول: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾[1].

فالنار -قطعاً- لها أرض كما أن للجنة أرضنا غير هذه الأرض.

وأما قوله أن كل نار تحتاج إلى نار إلى ما لا نهاية فمن بنات أفكاره ومن عندياته الكثيرة وإلا فقد قال الله تعالى عن النار ﴿كلما خبت زدناهم سعيراً﴾[2] فالنار إنما تحتاج إلى الوقود

(١) إبراهيم: ٤٨
(٢) الإسراء: ٩٧ .

للاستمرار في الاشتعال ، وقد أوعد الله -ووعيده الحق- أهل النار بإيقادها كلما كادت تخبو وأخبرنا تعالى بأن وقودها الناس والحجارة ؛ فما هو المستحيل في هذه القضية .

ونحن نرى في الدنيا الشمس مشتعلة لا تنطفئ مما لا يعهد مثله على الأرض ؛ إن قدرة الله عز وجل لا يعجزها شيء .

الباب الرابع

الفصل الأول

الأسباب والأهداف التي أدت لإثارة الشبهات حول المعاد الأخروي

البــاب الـرابــع

الفصل الأول

الأسباب والأهداف التي أدت لإثارة الشبهات حول المعاد الأخروي

تختلف الأسباب والأهداف بين العلمانيين حسب اختلاف توجهاتهم الفكرية ، وموروثاتهم الأيديولوجية السابقة التي أثرت في نمط سلوكياتهم وتفكيرهم لاحقاً ؛ وحسب اختلافهم في مدى إحاطتهم بمبادئ الإسلام وعقائده ونصوص القرآن والسنة ؛ وباختلاف نظرتهم وموقفهم من الدين نفسه ؛ فمنهم من يرفض فكرة اليوم الآخر جملة وتفصيلاً لأنه يرفض الأديان جملة وتفصيلاً ، وما اليوم الأخر إلا جزء من اعتقادات هذه الأديان فينسحب عليه الحكم ؛ ومنهم من ينكر ذلك لأسباب أخرى .

ويمكن إرجاع هذه الأسباب والأهداف التي أدت بهؤلاء العلمانيين إلى إثارة الشبه حول عقائد المعاد الأخروي إلى ما يلي :

أولاً : الجهـل :

يعتبر الجهل راساً لكل داءٍ فكري وسلوكي ، إذ أن الجهل هو أكبر مفسد للمنظومة الفكرية عند الإنسان ، وأخطر ما يكون الجهل إذا كان مُركباً بأن يكون الإنسان جاهلاً بالشئ وفي نفس الوقت يظنه على خلاف ما هو عليه في الواقع .

وقد ذم الله عز وجل الجهل وجعله قرين الظلم فقال جل من قائل : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾[1] .

وقد حذر الله عز وجل نبيه نوحاً أن يكون من الجاهلين لخطورة الجهل وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [2] .

(١) سورة الأحزاب – الآية (٧٢).

(٢) سورة هود – الآية (٤٦).

ومن طالع ما كتبه العلمانيون حول الإسلام عقيدة أو شريعة يجد جهلاً واضحاً فاضحاً بحقائق الإسلام التي لا تخفى على عوام المسلمين فضلاً عن العلماء .

ولعل في أكثر ما سبق نقله من عبارات في ثنايا هذه الرسالة ما يؤكد هذه الحقيقة .

وقد اعترف صادق جلال العظم بهذه المشكلة فقال : -

(في الواقع علينا أن نعترف بكل تواضع بجهلنا لكل ما يتعلق بمشكلة المصدر الأول ؛ للكون عندما تقول لي : إن الله هو علة وجود المادة الأولى التي يتألف منها الكون ، وأسألك بدوري وما علة وجود الله ، إن أقصى ما تستطيع الإجابة به ، لا أعرف !! إلا أن وجود الله غير معلول .

ومن جهة أخرى عندما تسألني : وما علة وجود المادة الأولى ؟إن أقصى ما أستطيع الإجابة به : لا أعرف إلا أنها غير معلولة الوجود ، في نهاية الأمر اعترفَ كل منا بجهله حيال المصدر الأول للأشياء ولكنك اعترفت بذلك بعدي بخطوة واحدة وأدخلت عناصر عينية لا لزوم لها لحل المشكلة . . . ليس من العيب أن نعترف بجهلنا لأن الاعتراف الصريح بأننا لا نعرف ما لا نعرفه من أهم مقومات التفكير العلمي . . . الخ) [1].

فقد شهد صادق العظم على نفسه بالجهل بأوضح الحقائق وأجلاها ألا وهي وجود الله عز وجل ولم يكتف بذلك بل يريد من الجميع أن يكونوا من الجاهلين ؛ ولا يخفى ما في عبارته من تهافت وتناقض ؛ إذ أنه ساوى بين من يقول بوجوب وجود خالق لهذا الوجود إذ لا فعل بلا فاعل بدلالة العقل والحس والمشاهدة ؛ وبين من ينفي وجود هذا الخالق ، ويزعم أن هذا الوجود وجد بلا موجد وهو قول يصادم أول ما يصادم الأدلة العقلية البدهية ؛ وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ [2]

---

(١) نقد الفكر الديني – ص : ٢٠ .

(٢) سورة الطور – الآية (٣٥).



وقد رد الشيخ مصطفى صبري على هذه الشبهة فقال : - (لم يفكروا بأن القول بعدم وجود الله ليس عدم وجود الله حقيقة . . . كما لم يفكروا أن الفعل بدون الفاعل والنظام بدون الناظم محال . . . فقولهم بالطبيعة بدلاً من الله معناه : استغناء العالم عندهم عن الصانع ؛ لا أن الطبيعة أولى بصنعه وأقدر ، لأنهم لا يجهلون استحالة إسناد الفعل إلى الفاعل المعدوم مهما جهلوا استحالة استغناء الفعل عن الفاعل . . . ولا يقال : فرق بين صدور تلك الأفعال من الله بطريق الخلق الذي يحصل ما يحصل به دفعةً ؛ وبين صدورها من الطبيعة في أزمنة طويلة لأن صدور الفعل من المعدوم في مدةٍ أبعد من صدوره في الحال من الموجود مهما طالت المدة ومهما عظم الفعل . . . الخ) [1] .

والمقصود من نقل عبارة العظم بيان أثر الجهل على موقفه من الغيبيات والمعاد الأخروي حيث قال بعد ذلك : (. . . أيستطيع الإنسان أن يستمر في الاعتقاد بالجحيم والنعيم [2] .

فقد حال الجهل بينه وبين أوضح البراهين العقلية البدهية الدالة على وجود الخالق ؛ ومن باب أولى ما كان فرعاً عن هذا الأصل العظيم كالإيمان بالمعاد الأخروي ومنه الجحيم والنعيم !!

ولو اكتفى باعترافه بعدم العلم بالمصدر الأول للوجود لكان أقرب للمنهج العلمي من اعتقاده بأن وجود المادة الأولى غير معلول الوجود ، فالجهل في الصورة الأولى بسيط بخلاف الجهل في الصورة الثانية إذ أنه جهل مركب وذلك باعتقاده الأشياء على خلاف ما هي عليه في الواقع والحقيقة ؛ مع اعترافه الصريح بأنه(لا يعرف !!) .

والكاتب مع أنه اعترف بجهله قائلاً : (إن الاعتراف الصريح بأننا لا نعرف ما لا نعرفه من أهم مقومات التفكير العلمي) [3] ؛ إلا أنه لم يلتزم بهذا التفكير العلمي الذي دعا إليه فراح يصادم مسلمات الدين الإسلامي ويتكلم فيما لا يحسنه وقد قالوا قديماً : (من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب) .

---

(١)موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين : ٢/ ٣٨٤ .

(٢) نقد الفكر الديني – ص : ٢٠ .

(٣)نقد الفكر الديني – ص : ٢٠ .



وقالوا : (لو سكت من لا يعلم لانتهى الخلاف) ؛ ولما دخل غير المتخصصين - أو الجهلة بتعبير أدق - إلى علوم الدين الإسلامي وأخذوا يتكلمون بما لا يحسنون جنت الأمة هذه الثمار المرة في واقعها المعاصر والسابق .

ثانياً : تصورهم مصادمة قضايا المعاد الأخروي للأدلة العقلية :

من المعلوم بالضرورة القطعية أن النقل الصحيح لا يعارض ولا يصادم العقل الصريح في الشريعة الإسلامية إذ الكل من عند الله عز وجل ؛ فهو الذي أنزل الكتاب وهدى العقول ، وخلق الوجود ، ويستحيل أن يقع بين علم الله عز وجل الذي هو صفة من صفاته وبين خلقه الذي هو فعل من أفعاله تعارض أو تصادم .

وهذا ما أكده علماء الإسلام حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : - (ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارض الشرع البتة ، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط . . . وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه ، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع . . . ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ؛ بل السمع الذي يقال أنه يخالفه إما حديث موضوع ، أو دلالة ضعيفة ، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح ، فكيف إذا خالفه صريح المعقول ؟! . . .) (١) .

ويقول ابن القيم : (. . . بعقل من منكم يوزن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فما وافقه قبل وأقر عليه ، وما خالفه أول أو فُوض إلى عقولكم ؟ أعقل أرسطو وشيعته ؟ ، أم عقل أفلاطون؟ أم فيثاغورس؟ ، أم بقراط؟ ، أم الفارابي؟ ، أم ابن سينا؟ . . أم توصون بعقول

(١) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٧) - تحقيق : محمد رشاد سالم - مطبعة جامعة الإمام - السعودية .

المتأخرين الذين هذبوا العقليات ومخضوا زبدتها واختاروا لأنفسهم ؟ . . . وهذه العقول إنما تفيد الريب والشك والحيرة والجهل المركب ، فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح ، ورمي بهذه العقول تحت الأقدام ، وحطت حيث حطها الله وأصحابها . . .) (١) .

ومع وضوح هذه القاعدة إلا أن العلمانيين يدعون وجود التصادم بين الدليل العقلي والنقلي في قضايا المعاد الأخروي ؛ مما جعلهم يثيرون الشبهات والشكوك حول صحة هذه القضايا .

يقول صادق العظم : (يفترض بالمؤمن أن يؤمن بالثواب والعقاب وأن يؤمن أيضاً بالعدالة الإلهية رغم ما في هذه الموضوعات من تناقضات عقلية) (٢) ، ولهذا يعلل رفضه للإيمان بهذه الغيبيات لأنه(تبين للعقل أنها متناقضة)(٣) .

ولا يخفى أن هذه مجرد دعوى بلا دليل ؛ ولهذا لا يكاد يختلف الفلاسفة الإسلاميون ، والمتكلمون – على اختلاف طوائفهم كالمعتزلة والأشعرية وغيرهم من أصحاب المدرسة العقلية – في إثبات العدالة الإلهية والثواب والعقاب الأخروي ولم يجدوا في إثبات هاتين القضيتين ما يقتضي تصادماً أو يفضي إلى تناقض في الأدلة العقلية .

بل الدليل العقلي الذي يوجب إثبات المعاد الأخروي والثواب والعقاب إنما أثبته من أثبته بناء على وجوب تحقق العدالة الإلهية التي تقتضي أن يكون هناك يوم لفصل القضاء بين العباد يتحقق فيه الثواب والعقاب ؛ ولولا ذلك لكان هذا الوجود وما يقع فيه من تظالم عبثٌ لا معنى له ؛ فإثبات هاتين القضيتين مما تقتضيه الأدلة العقلية لا كما يزعم صادق العظم بلا دليل ولا برهان .

ولهذا يرى السلف أن الثواب والعقاب من أفعال الله عز وجل وهو يفعل في عباده ما يشاء ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ (٤) ، وقد بين الله لهم الخير والشر ؛ فإن شاء أثابهم

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصره محمد بن الموصلي – (ص : ٨٢–٨٣) ، دار الندوة الجديدة – بيروت – ط ١٩٨٤ .

(٢) نقد الفكر الديني – ص : ٥٠ .

(٣) نقد الفكر الديني – ص : ٥٠ .

(٤) الأنبياء : ٢٣ .

على أعمالهم الخيرة فضلاً منه ورحمة، وإن شاء عاقبهم على أعمالهم الشريرة عدلاً منه جل وعلا.

قال شيخ الإسلام: (إن الله تعالى خلق فعل العبد سبباً مقتضياً لآثار محمودة أو مذمومة.. وهذه الآثار التي تورثها الأعمال هي الثواب والعقاب وإفضاء العمل إليها واقتضاؤه إياها كإفضاء جميع الأسباب التي جعلها الله سبحانه وتعالى أسباباً إلى مسبباتها..)[1].

والله عز وجل عندما يعاقب العبد فليس بظالم له جل وعلا ولذلك قرر الله هذا في كثير من آيات القرآن كقوله جل وعلا ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾[2] وقوله: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾[4].

فادعاء التناقض العقلي في قضية الثواب والعقاب باطلة إذ أن الشرع لا يعارض العقل أبداً؛ وكما يقول شيخ الإسلام: (النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بين قط، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما علم أن حق، لا يعارضه ما فيه اضطراب اشتباه لم يعلم أنه حق.

بل نقول قولاً عاماً كلياً: إن النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول، فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، وإنما الذي يعارض شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة، وألفاظ مجملة فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطائية لا براهين عقلية..)[5].

---

(١) شيخ الإسلام - الفتاوى ٨/ ٣٩٦ وانظر قضية الثواب والعقاب د. جابر السميري ص ٣٦. ط. الأولى ١٩٩٥ الدار السودانية الخرطوم.

(٢) النحل: ٣٣.

(٣) الزخرف: ٧٦.

(٤) فصلت: ٤٦.

(٥) شيخ الإسلام درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٥٥-١٥٦ وانظر ابن القيم الصواعق المرسلة ٣/ ٨١٠ تحقيق د. علي الدخيل الله دار العاصمة الرياض.



ولذلك يلجأ العلمانيون العرب في الواقع المعاصر إلى إدعاء التناقض دون أن يقدموا نصوصاً واضحة ويدللون على موضع التناقض فيها فتراهم يلجؤون إلى الكلام العام والشبه الساقطة التي لا تثبت بدليل.

ويوافق حسن حنفي زميله صادق العظم في دعواه أن قضايا النص الديني تصادم الأدلة العقلية حيث يقول: (النص يعتمد على سلطة الكتاب وليس على سلطة العقل وحجة السلطة - كذا - ليست حجة لأن هناك كتباً مقدسة كثيرة في حين أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد) [1].

فالكاتب يتصور هنا وجود إشكالية بين النص والعقل، ومن ثم يجب ترك ما دل عليه النص بدعوى تعدد النصوص المقدسة وتوحد الواقع والعقل !!؟ .

ولا يخفى تهافت هذا الاستدلال فأين هو العقل الواحد الذي جعله حسن حنفي حجة على النص ؟! والمدارس العقلية هي أكثر اختلافاً في موقفها من القضايا العقلية وكل منها يحتج على الآخر بالدليل العقلي فأي هذه العقول حجة على الآخر ؟!

وأما النص الديني فليس هو مطلق النص وإنما هو النص الصريح الصحيح، الصحيح في ثبوته الصريح في دلالته، ومعلوم أن قضايا المعاد الأخروي الرئيسة هي ثابتة بالنصوص القطعية في دلالتها وثبوتها .

وقد ردد كثير من العلمانيين هذه الشبهة في رفضهم لقضايا المعاد الأخروي بحجة مصادمتها للعقل الإنساني .

وقد غالوا في إبراز مرتبة العقل حتى قدموه على النقل تأسياً بمدرسة المعتزلة في هذا المجال، حتى قال محمد أحمد خلف الله :

(البشرية لم تعد في حاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم السماء، فقد بلغت سن الرشد وآن لها أن تباشر شئونها بنفسها . . .) [2] .

---

(١) التراث والتجديد - ص: ٢٨٢، ٢٠٦ . وكذلك مجلة اليسار الإسلامي - العدد الأول - ص: ٣٠ - يناير ١٩٨١ - القاهرة.

(٢) خلف الله - العدل الإسلامي وهل يمكن أن يتحقق - مجلة الطليعة القاهرية - نوفمبر ١٩٧٥ م .



وقال كذلك في(الأسس القرآنية للتقدم) :

(ألا يزال العقل البشري مقيداً بسلطان الله الواحد الأحد الذي يدعو الإسلام إلى عبادته واتقاء غضبه) (١) .

ولا شك أن العقل البشري مهما بلغت درجة كماله لا يستطيع الاهتداء بنفسه إلى تفاصيل النافع والضار في هذه الحياة الدنيا ، ومهما استقام حيناً فإنه سيشطح أحايين كثيرة ؛ ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

(ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد ، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم : أن أرسل إليهم رسله ؛ وأنزل عليهم كتبه ، وبين لهم الصراط المستقيم ، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها ؛ فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية ، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم) (٢) .

ومع أن العلمانيين لا يعترفون إلا بمنزلة العقل ، ومع أن العقل لا يقبل المتناقضات فقد حاول بعض هؤلاء أن يجمعوا بين الإسلام والكفر بحجة أن ذلك متوافق مع العقل ولا يخالفه في قليل أو كثير ، ولذلك يقول حسن حنفي : -

(التفسير الأسطوري الغيبي للدين هو بالفعل تفسير العوام له وإيمان البسطاء السذج أما المثقفون فإن تفسيرهم له أكثر عقلانية . . . فيمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقاً في سلوكه . . .) (٣) .

---

(١) د. محمد أحمد خلف الله - الأسس القرآنية للتقدم - ص : ٤٤ - طبعة كتاب الأهالي - العدد الثاني - ١٩٨٤ - القاهرة .

(٢)فتاوي شيخ الإسلام (١٩/ ١٠٠).

(٣) د. حسن حنفي - قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر - ص : ٩٣- دار الفكر العربي - القاهرة .



ويقول خالد محي الدين : (وما المانع أن يكون الواحد منا ماركسياً ومسلماً في ذات الوقت؟!)[1] .

ولا شك أن هذا تناقض صارخ لا يقبله العقل السليم الذي ينادي العلمانيون بتحكيمه فضلاً عن النقل الصحيح والدين الإسلامي الخالص الذي يخالف هذه الهرطقات مخالفة تامةً ؛ وكما قال د. مصطفى محمود راداً على المقالة السابقة : (. . . إن هناك ألف مانع ومانع ؛ ثم لماذا يقول : وما المانع ؟ لماذا لا نقول : وما الداعي ؟! ما الداعي إلى التشبث الأعمى بجدار منهار ؟ وما لداعي إلى هذا التخليط ما دام الإسلام يغنينا عن هذا الترقيع ؟! . . .)[2] .

إن العقيدة الماركسية تقوم على أساس أن(لا إله والحياة مادة) ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تجتمع هذه العقيدة مع من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، ولا يمكن للمسلم أن ينكر ركناً ركيناً من أركان الإيمان بالله عز وجل وهو الإيمان باليوم الآخر - أو(الجانب الغيبي في الدين) على حد تعبير الكاتب السابق - ثم يزعم أنه مسلم معاصر !! ولا شك أن هذا من جمع المتناقضات ، وهو عرض للفكر الماركسي الملحد تحت عباءة إسلامية ، ومحاولة يائسة لزرع بذور الإلحاد في الأرض الإسلامية التي لا تقبل تربتها إلا التوحيد لله عز وجل .

ثالثاً : طغيان النزعة المادية عند العلمانيين :

ومن الأسباب التي أدت إلى تشكيك العلمانيين بقضايا المعاد الأخروي طغيان التفكير المادي عند هؤلاء العلمانيين الذين تأثر كثير منهم بمذاهب إلحادية ومن ذلك :

١- الماركسية : التي تقوم على أساس أن لا إله والحياة مادة ؛ وقد صار كثير من هؤلاء يتسمون باسم اليسار الإسلامي ، ولا يخفى أثر النظرية الماركسية على آرائهم وموقفهم من قضايا الدين

---

(١) خالد محي الدين في مقال له بمجلة روزاليوسف نقلاً عن د. مصطفى محمود الماركسية والإسلام - ص : ٨٧ - الطبعة الثامنة - دار المعارف - القاهرة .

(٢) المرجع السابق - ص : (٨٧-٨٨).

على وجه العموم ، ويظهر ذلك جلياً في آراء زعيم هذه الطائفة حسن حنفي حيث يقول :

(الألفاظ يجب أن يكون لها مقابل في الواقع الحسي كألفاظ الملائكة والجن ؛ والجن والشياطين بل والخلق والبعث والقيامة ألفاظ تجاوزها الحس والمشاهدة ولا يمكن استعمالها لأنها لا تشير إلى واقع ولا يقبلها كل الناس) [١] .

فقد اعترف حسن حنفي نفسه هنا بسيطرة وطغيان الروح المادية على أطروحاته ؛ ثم يقول في موضع آخر :

(لقد أصبح الواقع هو المجدد للاختيارات والقوانين أما دور الشرع فثانوي . . . ولعلنا لا نكون بعيدين عن المادة التاريخية إن لم نقل من أكبر ممثليها أو الداعين إليها) [٢] .

٢- الفلسفة الوضعية : فقد أنكر كثير من العلمانيين قضايا المعاد الأخروي تأثراً منهم بالفلسفة الوضعية التي يقول رائدها في العالم العربي زكي نجيب محمود :

(كلام المتيافيريقي فارغ من الدلالة والمعنى لأن كل عبارة منه إثباتها ونفيها سواء . . . إن اعتراضنا على العبارات المتيافيريقية لا تقوم على أساس خطئها في ذاتها لأننا لو قلنا أنها خطأ كان معنى ذلك أنها تصور شيئاً ؛ وغاية الأمران أن الصورة لا تطابق ما يجري هناك في الخارج ، بل اعتراضنا قائم على أساس أنها ليست بذات معنى على الإطلاق من الوجهة المنطقية)[٣] .

أي أن جميع ألفاظ المعاد الأخروي من البعث والنشور والجنة والنار . . . الخ هي ألفاظ لا معنى لها ولا تثبت حقيقة ، ولا تثبت تصوراً فضلاً عن التصديق فهي ألفاظ فارغة تماماً كاللفظ المهمل في اللغة العربية لأن موضوعها متيافيزيقي خارج دائرة المادة .

ولا ندري عن أي وجهة منطقية يتحدث الكاتب وهو الذي يتبع أسلوب التمويه والتعميه في

---

(١) التراث والتجديد – ص : ١٤٠ .

(٢) مجلة اليسار الإسلامي – العدد :الأول ص :٢٠ .

(٣)قشور ولباب – ص :١٦٨) .

في منهجه العلمي فلا يعترف إلا بالحس وحده مع أن هناك أشياء كثيرة تقع وراء المحسوس ولا يستطيع الإنسان إنكار وجودها فعدم العلم ليس علماً بالعدم ؛ وليس أدل على ذلك من(الروح) فهي موجودة في جوانح الإنسان ولكن لا تقع تحت دائرة المحسوس وكذلك (العقل) فهذه الأسمْاء لها مسميات لا تقع تحدت دائرة المحسوس ومع ذلك يعترف الجميع بما فيهم رائد الفلسفة الوضعية زكي نجيب محمود بوجودها !!

وهذه المسألة ليست جديدة فقد ظن كفار قريش قديماً أنهم وصلوا إلى حل لمصدر المعرفة عندهم فجعلوها في (المحسوسات) فقط .

فعبدوا اللات والعزى وغيرها من الأوثان فرد الله عز وجل عليهم قائلاً : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ۞ ومناة الثالثة الأخرى ۞ ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى ۞ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ۞ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [٢٢] .

يقول الدكتور محمد البهي :-

(. . . فقد يقع الحس على أشياء وأشياء ومع ذلك لا يدرك هو نفسه حقائقها ومدلولاتها في الخارج وعندئذ تكون عباراتها أسماء وتكون تلك الأسماء رموزاً وأرقاماً لا تحمل حقائق ولا تدفع « العقل "الخالص نحو إقرارها .

قد تدرك الحواس إذا إدراكاً خطأ وقد يكون تصور "العقل "وهما ظنا ، ولكن حسن الظن بالحواس ، أو الثقة بالعقل قد تحمل محسن الظن على أن ينخدع بأحدهما أو بكليهما ؛ فالقرآن هنا في الآية السابقة يحكى عن المشركين الذين انخدعوا "بالحس "فاعتقدوا في كائنات محسة - هي على الحقيقة أحجار - أنها صاحبة تأثير إيجابي أو سلبي في حياتهم ، وأنها آلهة تعبد ، وطاوع "عقلهم "ما انخدعوا فيه من حس فكان العقل ظنا وهوى ، لا علماً وحقيقة واقعة .

---

(١) سورة النجم - الآيات : (١٩-٢٣) .



الإنسان المحدود قد يطغى أن رآه استغنى ، ويدفعه طغيانه إلى إنكار عقله وإنكار أصل وجوده وخلقه ، مع الإيمان فقط بما يتصل بشهوة بطنه وفرجه وذلك هو الإنسان صاحب الفلسفة " الحسية "... [1] .

ولذلك صاحب الفلسفة "الحسية "يغالط العقل السليم والواقع المحسوس عندما ينكر ما لا يقع تحت حسه وتحت تجربته بل قد تنحدر استدلالات (الحسيين) انحداراً ساذجاً هو من قبيل المخاصمة واللجاج فقط .

كما يشكك أحمد ظاهر : (أحد العلمانيين السوريين) بقضايا المعاد الأخروي بحجة (أن لا أحد قد عاد بعد موته ليخبرنا عن طبيعة حياة ما بعد الموت تجريبياً) [2] .

وما أشبه هذا المنطق بمنطق كفار قريش حين عرض عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالله واليوم الآخر فكفروا بذلك .

﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ❖ وإذا تتلى عليه آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ❖ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم ليوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [3] .

وكفار قريش لم يكونوا بدعاً في هذا المضمار ، بل سبقهم إلى ذلك بنو إسرائيل في تبني "الفلسفة الحسية "عندما اشترطوا على موسى عليه السلام عدم الإيمان بالله جل وعلا حتى يروا الله جهرة كما ذكر الله جل وعلا ذلك عنهم في القرآن بقوله :﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ❖ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ [4] .

(١) د. محمد البهي – الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار العربي – ص : ٢٤٤ – الطبعة التاسعة – مكتبة وهبة – القاهرة .

(٢)نواب الأرض والسماء (مقالة بعنوان : مفهوم الله لأحمد ظاهر – ص : ٩٢) .

(٣) سورة الجاثية – الآيات :(٢٤-٢٦).

(٤) سورة البقرة – الآيات : (٥٥-٥٦).

فبنوا إسرائيل لم يقتنعوا بوجود إله يعبد حتى يروه جهرة فتلمسه حواسهم ، وكذلك منطق كفار قريش في تبني النزعة المادية ؛ وسار على دربهم أحفادهم من أصحاب الفلسفات الأرضية الحسية فهذه الأفكار والعقائد بعضها من بعض تحن أخراها إلى أولاها .

رابعاً : تأثر بعض العلمانيين بفكرة وحدة الوجود (١) :

لقد أصبح الإنسان في نظر بعض العلمانيين هو المحور الرئيس في هذا الوجود ، بل فالوجود بكل مظاهره ليس سوى ما يعبر عنه بلفظ (الله) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، حيث يقول حسن حنفي :

إن لفظ الله لا يعبر عن معنى معين . . . إن الله عند الجائع هو الرغيف ، وعند المستعبد هو الحرية ، وعند المظلوم هو العدل ، أي أنه في معظم الحالات صرخة المضطهدين) (٢) .

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أهل الحلول والاتحاد وقسمهم إلى أربعة أقسام : -

(الأول : - هو الحلول الخاص : وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ؛ ممن يقول أن اللاهوت حل في الناسوت ، وتدرح به كحلول الماء في الإناء . . . وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة ، كغالية الرافضة الذين يقولون: أنه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته ، وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية ، أو في بعضهم : كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء .

والثاني : - هو الاتحاد الخاص : وهو قول يعقوبية الأنصاري ، وهم أخبث قولاً ، وهم السودان والقبط ، يقولون : إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء ، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام .

والثالث : - هو الحلول العام ، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين ، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان . . .

الرابع : - الاتحاد العام : وهو قول هؤلاء الملاحدة (ابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني . .) الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين : -

- من جهة أن أولئك قالوا إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه ، بعد أن لم يكونا متحدين ، وهؤلاء يقولون : ما زال الرب هو العبد ، وغيره من المخلوقات ليس هو غيره .

- والثاني من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح ، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب ، والخنازير ، والأقذار ، والأوساخ ، وإذا كان الله تعالى قد قال : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ الآية ؛ فكيف بمن قال : إن الله هو الكفار، والمنافقون ، والصبيان ، والمجانين ، والأنجاس والأنتان ، وكل شئ . .(فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية)٢/ ٢٧١ - ٢٧٣ باختصار ، وللاستزادة حول عقيدة الحلول والاتحاد انظر : عبد الرحمن عبد الخالق الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة - ص: ٦٥ وما بعدها - الطبعة الثالثة ١٩٨٦م - دار ابن تيمية - الكويت .

(٢) التراث والتجديد - ص : ١٢٩ .

ولهذا يدعو حسن حنفي إلى الخروج عن (مرحلة التمركز حول الله ، إلى مرحلة التمركز حول الإنسان وتلك مهمة التراث والتجديد في أول محاولاته من أجل إعادة بناء علم أصول الدين على أنه علم الإنسان) [1] .

وهذا تأثر واضح بعقيدة وحدة الوجود التي نادى بها غلاة الصوفية ، ومن ثم ينتفي العجب عندما نرى اهتمام بعض العلمانيين بتحقيق تراث الصوفية وخاصة تراث ابن عربي[2] ، وإخراجه إلى عالم المطبوعات مع الإشادة به في كل محفل وناد !!

خامساً : البحث عن الشهرة الدنيوية :

وتكاد تكون هذه النقطة قاسماً مشتركاً بين العلمانيين واللادينيين ، فإن أقصر طريق للشهرة هو الطعن في النصوص الإسلامية المقدسة فتنهال عليهم الكتابات التي ترد عليهم باطلهم من كل مكان فيشتهر أمرهم بعد أن كان أحدهم نكرة لا يعرفه أحد ، فمن هو طه حسين قبل أن يكتب كتابه (في الشعر الجاهلي) ، ومن هو علي عبد الرازق قبل (الإسلام وأصول الحكم)؟! ومن هو قاسم أمين قبل (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) ؟! ومن هو فرج فوده لولا (الحقيقة الغائبة) ؟! وهل سمع أحد بنصر أبو زيد قبل كتاب (الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) ؟ وهل قرأ أحد لصادق العظم قبل أن تثار قضية كتابه (تجديد الفكر الديني) ؟! ومن كان يعرف سلمان رشدي قبل أن يكتب (آيات شيطانية) ؟! وهكذا كل نكرة يريد أن يشتهر يكون أقصر طريق يسلكه هو الطعن في ثوابت هذا الدين ؛ وهي عقدة نقص تعتلج في نفوسهم ولا يجدون ذاتهم إلا بإحداث الزوابع والفتن ، وحضور أسمائهم - ولو بالشر - في المنتديات الثقافية ، وعند أرباب العلم والفكر !!

سادساً : اعتبار النص كغيره من الموروث الشعبي :

يرى بعض العلمانيين أن النص الديني (القرآن الكريم والسنة النبوية) كغيره من الموروثات الشعبية شأنه شأن القصص والأساطير التي لا ينبغي أن تتخذ مصدراً للمعرفة الإنسانية وإنما يكون الاهتمام بها كما هو الشأن بالنسبة :

---

(١) التراث والتجديد - ص : ١٤٠ .

(٢) وانظر مثلاً مقال د. نصر أبو زيد (محاولة قراءة المسكوت عنه في خطاب ابن عربي) - مايو ١٩٩٢ - مجلة الهلال .

(للأمثال العامية وسير الأبطال . . . والأغاني الشعبية) [1] كما يقول حسن حنفي .

وهذا ما يؤكده أيضاً زكي نجيب محمود حيث يقول : (ماذا نحن صانعون بهذه الأسفار الضخمة التي تراكمت لدينا على مر القرون مما كتبه الميتافيزيقيون ، إنه لعزيز علي وعليك أن نلقي هذه الأسفار كما كان ينبغي لها طعاماً لألسنة النار ، أو أثقالاً في قاع المحيط ، وإذاً فلنبق عليها ليقرأها القارئ إذا أخذه الحنين إلى الماضي كما يقرأ أساطير الأولين) [2] .

وأساطير الأولين التي ينبغي أن تكون طعاماً لألسنة النار أو أثقالاً في قاع المحيط – بأمانيهم – هي نصوص الكتاب والسنة التي تدعو للإيمان بالغيب وتجعله ركناً ركيناً بعد الإيمان بوجود الله ووحدانيته وآلهيته ، ولذلك هم يساوون النص الديني بالأمثال والقصص وسير الأبطال ، ولا يرى كثير منهم ميزة للنص الديني وأنه فوق مستوى النقد ، ولذلك أجرى بعضهم دراسات نقدية على القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وغمز فيه ولمز كما فعل محمد أحمد خلف الله في رسالته للدكتوراه في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين والتي كانت بعنوان : (الفن القصصي في القرآن) وقد رفضت من أعضاء لجنة المناقشة لتطاول صاحبها على القرآن وادعاء أن ما ورد فيه من قصص ما هي إلا أساطير لا تثبت ، فكل ما قصه القرآن – في نظر الكاتب – عن الأنبياء والرسل والأمم السابقة قد تصدق وقد لا تصدق ، وقد تلتئم مع ذلك الواقع الفعلي وقد لا تلتئم !! مما جعل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق رحمه الله يرفع تقريراً إلى وزير المعارف يذكر فيه مهازل هذه الرسالة ؛ وقد جاء في التقرير : (. . . وإن القرآن إذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط فقد اقتحمت قدسيته وزالت عن النفوس روعة الحق فيه ، وزلزلت قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار وأحوال مستقبلة : كالبعث والحشر والحساب والجنة والنار ونحو ذلك . . . وانفتح لكل إنسان أن يقول في كل هذا : ليس له مدلول ولا واقع يدل عليه ولكنه سيق لمجرد بعث الرغبة أو الرهبة أو العظة أو تقويم النفس وإصلاح المجتمعات . . . سبحانك هذا بهتان عظيم . . .) [3] .

---

(١) مجلة اليسار الإسلامي – العدد الأول – ص : ٣١ – ماذا يعني اليسار الإسلامي – حسن حنفي – يناير ١٩٨١م .

(٢) زكي نجيب محمود – قشور ولباب – ص : ١٧٠ .

(٣) مجلة الهلال – عدد فبراير ١٩٨٦ ، وللاستزادة ينظر كتاب هجمة علمانية جديدة ومحاكمة النص القرآني للدكتور / كامل سعفان – ص : ١١ بعدها – دار الفضيلة – القاهرة .

وكذلك فعل طه حسين في كتابه : (الشعر الجاهلي) حين أنكر قصة إبراهيم وإسماعيل مع ورود الآيات القرآنية الدالة على بنائهما عليهما السلام للكعبة المشرفة [١] .

ثم جاء صادق النيهوم في عصرنا هذا ليقول : (إن المبدأ القائل بأن - النص المقدس معصوم من الخطأ - يثبت من أول تجربة أنه مبدأ خاطئ وخاسر إلى ما لا نهاية)[٢]

ولا يشك علماء الإسلام في كفر من استخف بالقرآن أو شك فيه أو في بعضه كما قال القاضي عياض : (إعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشئ منه أو جحده ، أو حرفاً منه أو آية ، أو كذب به أو بشئ منه . . . أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك ، أو شك في شئ من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع) [٣] .

ولأن القرآن الكريم يقف حائلاً منيعاً دون التشكيك بعقيدة اليوم الآخر فقد سعى العلمانيون لتحطيم (قدسية النص الديني) وإثبات أنه كسائر النصوص التي ممكن أن تتعرض للنقد ولا يؤثر ذلك في واقع الحال شيئاً . . . ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

سابعاً : تأثرهم بالوجودية :

كعادة الأمم المغلوبة على أمرها في تأثرها بمستعمرها ومن غلب على أمرها ؛ طغت على الفكر العلماني موجة الفلسفة الوجودية التي ترى أن الإنسان هو كل شئ في هذا الوجود وهو الهدف والغاية ؟ وليس هناك وجود للإنسان بعد هذا الوجود ؛ وقد عبر فيلسوف هذا الفكر في العصر الحديث .

(برتراندراسل) عن نظرته هذه بإجابته عن سؤال وجه إليه : هل يحيا الإنسان بعد الموت؟! فقال : (عندما ننظر إلى هذا السؤال من زاوية العلم وليس من خلال ضباب العاطفة نجد أنه من الصعب اكتشاف المبرر العقلي لاستمرار الحياة بعد الموت ؛ فالاعتقاد السائد بأننا نحيا بعد الموت يبدو لي بدون أي مرتكز أو أساس علمي) [٤] .

---

(١) انظر الباب الأول من هذه الرسالة - .

(٢) صادق النيهوم - إسلام ضد الإسلام - ص : ٢٦٣ - ط ثانية - ١٩٩٥ - دار رياض الريس - بيروت .

(٣)انظر د. عبد العزيز العبد اللطيف - نواقض الإيمان - ص : ٢٠٣ وما بعدها - الطبعة الأولى - دار الوطن .

(٤)صادق العظم - نقد الفكر الديني - ص : ١٩ .



ويبدو إعجاب صادق جلال العظم كبيراً بآراء (رسل) الوجودية حيث يصفها (بالنظرة العلمية الطبيعية)[1] .

وامتدح العظم كذلك مقالة (رسل) : التي بعنوان (عبادة الإنسان الحر) واصفاً إياها بأنها : (نظرة علمية في قطعة أدبية جميلة) [2] .

ويعبر شاعر الحداثة (أدونيس) عن هذه النظرة مؤكداً : -

(أن يكون الإنسان موجوداً في غير ذاته ، يعني أنه موجود في آلة .

يقول الفارابي في هذا الصدد : " كل موجود في ذاته فذاته له ، وكل موجود في آلة فذاته لغيره ". ومن هنا يعيش الفرد العربي بحسب هذا الفكر المهيمن ، غريباً عن ذاته ، بدئياً – لأنه موجود في البدء – دينياً في الله ، دنيوياً في الدين والأمة والدولة والأسرة ، فكأنه لا ينتمي إلى الإنسان ، بما هو إنسان بقدر ما ينتمي إلى الدين أو الأمة أو الدولة .

وفي هذا ما يقدم عنصراً أساسياً لتفسير الظاهرة السائدة اليوم في المجتمع العربي من جهة أنه بنية قمعية يسوغها (النظام الملتزم) باللاهوتانية وإسقاطها الاجتماعي ، ومن جهة ثانية (فهو مجتمع) رفضي يرمز إلى أن العربي لا يشعر أنه موجود في ذاته إلا لحظة تحرره من اللاهوتانية ، ومن تشييئها الاجتماعي والسياسي . . . .)[3] .

وهذه دعوة صريحة من (أدونيس) يرفض فيها أن يعيش الإنسان للدين أو للأمة أو للدولة على حد تعبيره ؛ وحتى لا يكون الإنسان غريباً عن ذاته فهو يدعو الإنسان العربي أن يعيش بذاته ولذاته ، وهي دعوة وجودية صريحة لعبادة الإنسان ذاته ، وأن يهمل ما سوى ذلك وإن ينعتق – على حد تعبير الكاتب – من النظام الملتزم باللاهوتانية ! !

أي يتحرر من قيود الدين وما فيه من أخلاق فاضلة وقيم نبيلة بها يسمو المجتمع الإسلامي على سائر المجتمعات .

---

(١)صادق العظم – نقد الفكر الديني – ص : ١٩ .

(٢)صادق العظم – نقد الفكر الديني – ص : ١٨ .

(٣)أدونيس الثابت والمتحول (١/ ٢٧) .

ولا شك أن في هذا الكلام هدم للمعاني النبيلة التي يقوم على أساسها الإسلام ، وإضعاف للدين الإسلامي في نفوس المسلمين ، وكما يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري : -

(إن الإسلام دائماً كان ولم يزل يزرع العزة والإباء في نفوس المسلمين ، ويحثهم على الجهاد والتضحية وبذل النفس في سبيل ذلك ، وهم يعلمون مع هذا أنه لا يمكن الانتصار على المسلمين وفيهم هذه الروح وهذا الإيمان ، فعمدوا إلى الدس والأغواء والتخريب من القديم ، ولما لم يفلحوا في الدخول إلى جوهر الدين تسللوا إلى العقول المريضة والنفوس الضعيفة فأغروها بالتقدمية وبالتحرر وبالاشتراكية وبالشيوعية وبالوجودية وبالانتماء وأصابوا مقتلاً في كثير من تلك النفوس ، فتراخى أصحاب تلك النفوس عن دينهم وابتعدوا عن جذوته المتوقدة ، وانغروا بكل تلك التسميات اللماعة الجوفاء)[1] .

ثامناً : تأثرهم بالعلمانية الغربية :

لقد اعتقد العلمانيون في العالم الإسلامي أن سبب تقدم الغرب هو نبذ الدين ، وتحجيم تأثيره في المجتمع ، وأن ذلك سيؤدي إلى تقدم الحياة المادية في العالم العربي والإسلامي ؛ وسيصل إلى ما وصل إليه أولئك من تقدم ورقي ، ولا سبيل إلى بلوغ هذا المأرب - في نظر العلمانيين العرب - إلا أن تُسلك سبيل الغرب في الخير والشر ؛ ولذلك ألقوا باللائمة على العقلية (التراثية) بزعمهم ؛ وأخذوا يدعون أن الاهتمام بالتراث هو عودة إلى عصور التخلف والظلام !!

وفي ذلك يقول منير فارس وهو "علماني لبناني ": (. . . في ظل المفاهيم السائدة ، والعقلية المتخلفة المفطورة على الحفظ والنقل وليس على المنطق الواعي والإنتاج ؛ كيف يمكن أن نصل إلى قيادة السلطة ووهم القيادة والسيطرة على العالم ؟! لا بل كيف يمكننا بهذه العقول المقفلة على العلم والعلوم أن نقود كل هذه الطاقات العلمية والبشرية وكل منجزات العلم ؟! لا بد أنها دعوة إلى الجحود ، والقضاء على منجزات العلم في مشرحة الوهم ، ووضع الناس في عيادة لمعالجة الأصحاء والمعافين ؟! وترتيل الآيات عليهم ، والأحاديث المكررة ، واسقائهم

(١)عبد الرحمن الدوسري - اليهودية والماسونية - ص : ١٤٩ - الطبعة الأولى - ١٩٩٤م - دار السنة - السعودية .



جرعات خمس مرات يومياً ؛ تسمح لهم بكسب الآخرة الموعودة في جنة النعيم ، وتنجيهم من عذاب أليم !! . . .) [1].

وهنا يعزو الكاتب التخلف الذي حاق بالأمة في كافة ميادين الحياة – سياسياً واقتصادياً وعسكرياً – إلى العقلية المتخلفة المفطورة على الحفظ والنقل ؛ ولا شك أن هذا تجني واضح على الدين الإسلامي أو (النقل) على حد تعبير الكاتب ؛ فهذا الدين العظيم أول كلمة نزلت فيه (اقرأ) وكانت هذه الكلمة بمثابة ثورة معلنة على الجهل وأهله ؛ وعلى التخلف الذي أصاب الأمة انذاك يوم رضيت لنفسها أن تتلمس حاجاتها عند الأشجار والأحجار ، وعند بقايا الرمم وضرائح الموتى !! فجاء هذا الدين العظيم محرراً للإنسان من عبودية الشهوات إلى عبودية رب الأرض والسموات ؛ ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام .

ثم يرى الكاتب أن مشرحة الوهم قائمة بترتيل الآيات والأحاديث المكررة على الناس ، واسقائهم جرعات خمس مرات يومياً (عبارة عن الصلوات الخمس) تسمح لهم بكسب الآخرة في جنة النعيم !! ، ولا يشك عاقل أن هذا الكلام كفر بالله عز وجل وبدين الإسلام الذي لم يكن في يوم من الأيام ديناً وهمياً أو قائماً على الخرافات والأساطير ؛ وإذا كانت بقية الأديان كذلك بعد أن نالتها أيدي العابثين وتحريفات المبطلين ؛ فإن الدين الإسلامي محفوظ بحفظ رب العالمين الذي تكفل بأن : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [2]؛ وقد أثبت التاريخ أن المسلمين الأوائل يوم أن تمسكوا بدينهم حق التمسك وآمنوا بالله حق الإيمان ؛ ضربوا أروع الأمثلة في الإبداع في جميع مناحي الحياة : من أخلاق فاضلة كان ينعم بها المجتمع ، ومن استقرار سياسي ، ومن تقدم علمي لا زالت الجامعات الغربية تعترف بفضله ؛ ومن عدالة اجتماعية يتساوى فيها الصغير والكبير أمام ميزان الشريعة الإسلامية العادلة التي حفظت للإنسان حقوقه وكرامته بينما أهدرت القوانين الوضعية هذه الكرامة وانحطت بالإنسان إلى أسفل السافلين .

---

(١) منير فارس – العمائم الهاربة – ص : ١٥٨ – ضمن كتاب الناقد – نواب الأرض والسماء .

(٢)سورة فصلت – الآية (٤٢) .

وللإنسان المسلم أن يتساءل ماذا عمل هؤلاء العلمانيون يوم أن خلعوا عنهم عباءة الوهم المتمثلة (بالنصوص الدينية) كما زعموا ؟

هل استطاعوا فعلاً أن يتقدموا كما تقدمت أوروبا ؛ وهل كانت المشكلة من الدين الإسلامي حتى يتم نبذه كما نبذت أوروبا دينها المحرف ؟!

إذا كانت المسألة مقبولة نوعاً ما عند الأوروبيين لأنهم كانوا يعانون من تسلط الحكم الثيوقراطي (حكم رجال الدين) الذين كانوا يحكمون بأهوائهم وشهواتهم ؛ فإن المسألة لا تقبل أبداً بالنسبة لدين الإسلام ، فدين الإسلام كان ولا زال ينبذ الجهل والتخلف ويحث على التقدم والرقي ولكن المشكلة كل المشكلة هي في عدم تطبيق هذه المفاهيم الإسلامية الخالدة على أرض الواقع ، فمن التجني الواضح أن يحمل تخلف المسلمين الآن على الإسلام ؛ ولو أنصف الناس لقالوا إن سبب التخلف هو عدم أخذنا بمبادئ الإسلام ؛ والابتعاد عن تعاليمه السامية لا العكس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ومن يقرأ فيما كتبه العلمانيون يجد التجني الواضح في تحميل الإسلام سبب تخلف المسلمين في الواقع المعاصر ؛ فهذا صادق العظم يرى أن : (التحول من الموقف القديم - حيال الدين - الممتلئ بالطمأنينة الفكرية والتفاؤل الروحي ؛ إلى الموقف الجديد الممتلئ بالتردد والميوعة حيال الدين والمعتقدات الدينية . . . يعكس مزاج حضارة القرن العشرين وثقافته) !! (1)

والسبب في ذلك في نظر العظم (حركة النهضة في أوروبا ، والانقلاب العلمي والثورة الصناعية . . .) (2).

ويوافقه الرأي صادق النيهوم حيث يقول : (. . . والواقع أن التخلف الذي تعايشه ثقافتنا العربية حالياً ، قد لا يعكسه شئ أكثر وضوحاً من منهجنا الأسطوري في تفسير نصوص القرآن)(3).

---

(1) نقد الفكر الديني - ص : ١٤ بتصرف .

(2) نقد الفكر الديني - ص : ١٤ بتصرف .

(3) صادق النيهوم - إسلام ضد الإسلام - ص : ٢٦٨ .

ويقول أحمد جمال ظاهر (علماني أردني) : (. . . وأرى أيضاً أن ورطتهم (العرب) نابعة من تراثهم الذي يعتقدون أنه أفضل ما في الكون ، وإن أرادوا القيام بأي عملية تجديدية في مجتمعاتهم ، كان شرطهم الأول والأخير ضرورة ملاءمة أي تغيير لمجمل تراثهم من عادات وتقاليد وأعراف ودين)(١) .

ولا شك أن تحميل القرآن سبب تخلف الأمة تجن واضح من العلمانيين فضلاً على أنه مخالف للأنصاف العلمي ، فهذا الكتاب الرباني هو الذي أخرج أعظم أمة أخرجت للناس بعد أن كانت شتات قبائل في جزيرة العرب لا يؤبه لها ؛ ثم إن ادعاء أن شيوع العلم والنهضة كان بسبب نبذ الدين ؛ ادعاء يكذبه الواقع ، ودعوة مبطنة للارتماء في أحضان الغرب الذي يئن الآن من شيوع الرذيلة وانحسار الفضيلة عنده ، ولا بأس أن يستفيد المسلم من الجانب العلمي عند الشعوب الأخرى فالعلم لا جنسية له ، والدين الإسلامي رفع شعار (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، وكما قال الدكتور يوسف القرضاوي : (. . . من انتفع بقانون ارشميدس لم يكن به يونانياً ؛ ومن أخذ بنسبية اينشتاين لم يصر أمريكياً أو رأسمالياً ؛ ومن اقتبس قانون الجاذبية لإسحاق نيوتن لم يصبح به انجليزياً أو استعمارياً . . . إن الولايات المتحدة الأمريكية التي تتربع على قمة الرأسمالية ؛ وروسيا البلاد الأم للاشتراكية العلمية ، كل منهما قد استفاد من خبرة خصومهم ومحاريتهم الألمان في بحوث الذرة والفضاء بعد الحرب العالمية الثانية ؛ . . . وها هي كلتاهما تحاول أن تخطف الأسرار العلمية من الأخرى إن استطاعت ، ولا ترى في ذلك خطراً ولا ضيراً ؛ أما الذي تقف كلتاهما في وجهه فهو الاتجاهات الثقافية والأدبية التي تحمل فلسفة كل من البلدين ، وتعبر عن وجهته في الحياة ونظرته إلى الفرد والمجتمع والكون والحياة) (٢) .

إن الإسلام لم يقف في وجه من يحاول جلب العلوم النافعة لأبناء الأمة بل على العكس من هذا ؛ ولكن الذي يقف ضده الإسلام هو تغريب الأمة ومحاولة طمس هويتها ، وإنهاءها من صفحة الوجود عن طريق نبذ هذا الدين بحجة أنه لا تقدم علمي كما تقدمت أوروبا إلا بطرح

---

(١) أحمد ظاهر - مقالة الواحد القهار - ص : ٢٢٨ من كتاب الناقد - نواب الأرض والسماء .

(٢) د. يوسف القرضاوي - الحلول المستوردة - ص :٤٤ -٤٥ ط ١٩٨٠م - مؤسسة الرسالة - بيروت .



الإسلام جانباً وسلوك العلمانية منهجاً وطريقاً ؟! وهي دعوة وإن حاول العلمانيون زراعتها في الأرض المسلمة ؛ وإن نجحوا لفترة في جني ثمارها الخبيثة إلا أنها لن تستمر في النمو فإن العاقبة لدين الإسلام فهو دين الفطرة الإنسانية السليمة .



أهـداف العلمانييـن مـن إثـارة هـذه الـشبـه :

إذا كان ما سبق ذكره من كلام يُعتبر أهم الأسباب التي أدت بالعلمانيين إلى إثارة الشكوك والشبهات حول المعاد الأخروي فإن الأهداف التي هدفوا إليها تتجه إلى مصب واحد ألا وهو الدعوة إلى تحطيم قدسية النص الديني ؛ أو ما يسمى عند بعضهم (تحطيم الموروث الثابت) ، والمتتبع لمقالات وكتابات العلمانيين يجد هذا الهدف واحداً عند الجميع وإن حاول البعض منهم أن يغطيه بستار رقيق من الألفاظ اللغوية المحتملة ؛ أو أن يتلاعب ببعض العبارات التي سرعان ما يكشفها ما وراءها من عبارات أخرى تنبئ عما تكنه تلك الصدور من بغض للإسلام ومحاولة تفجيره من الداخل !! .

يقول (أدونيس) وهو أكبر المنظرين لشعراء الحداثة في العالم العربي : -

(إن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاجها الجمهور العربي ليست تلك التي تسليه أو تقدم له مادة استهلاكية ، ليست تلك التي تسايره في حياته الجارية بينما هي التي تعارض تلك الحياة ، أي تهضمه ، تخرجه من سباته ، تفرغه من موروثه ، وتقذفه خارج نفسه ، إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها ، الدين ومؤسساته ، العائلة ومؤسساتها ، التراث ومؤسساته ، وبنية المجتمع القائم كلها بجميع مظاهرها ومؤسساتها ، وذلك من أجل تهديمها كلها . . .

أي من أجل خلق الإنسان العربي الجديد . . . وهكذا يلزمنا ثورياً مسرح ضد المسرح ، وشعر ضد الشعر ، وقصة ضد القصة ، يلزمنا تحطيم الموروث السابق)[1]

وهكذا دخلت المسرحية والقصة والقصيدة المعركة بين العلمانية والإسلام لتكون أسلحة جديدة لهدم (الموروث الثابت) من نصوص الكتاب والسنة ، وحتى موروثاتنا من اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ، فبتغريب الأمة وابتعادها عن جماليات اللغة العربية عن طريق ما يسمى عندهم (بتفجير اللغة) سوف يتم صرف الناس عن القرآن وعلومه ، ومن ثم إفراغه من موروثه العقدي الإسلامي ؛ وترك المسلم هائماً بلا هوية على صفحة هذا الوجود .

ولذلك يرى أدونيس أنه لا بد من مواجهة الدين ومؤسساته ، والتراث ومؤسساته ، وتهديمها كلها من أجل خلق الإنسان العربي الجديد ، فالإنسان (العربي) الجديد لا بد أن يكون علمانياً -

---

(١) أدونيس - زمن الشعر - ص : ٧٦ .



عندهم - فارغاً من كل موروث إسلامي ، حتى يسهل افتراسه وتسميم أفكاره بعد أن فقد السياج الواقي الذي يحمي الإنسان المسلم في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

ولمواجهة الواقع الجديد - في نظر العلمانيين - لا بد من هدم العقلية الغيبية واتباع الثورة العلمية ؛ كما ورد في مقالة لأحمد جمال ظاهريقول فيها : (. . . علينا أن نميت في أنفسنا الإنسان التوفيقي التلفيقي كما أماتت الثورات العلمية عقل ونفس العصور الوسطى ، لم يبق أمامنا خيار سوى اتباع الثورة العلمية التي أثبتت جدارتها أمام بقايا انساننا اللاعلمي واللاعقلاني المتهلهل الآيل إلى السقوط . . . وقد تقف جامعاتنا ألف قرن آتية دون شم رائحة عصر العلم أو دخوله ، لأن باب العصر العلمي لا يفتح لإنسان صاحب عقل غيبي ، ولا بد أن يسمع حارس باب العلم كلمة السر ، وكلمة السر هي الحرية ، الحرية في إطلاق سراح المواطن وماله من سجنهما الطويل الموجود في سجون الدولة ، وإنهاء عصر الاقنان والاقطاع وملكية الإنسان للإنسان . . .)[1].

ولا شك أن ربط الجهل بالعقلية الغيبية تحكم محض ، وربط العلم بالحرية المطلقة إغضاء عن الواقع المرير الذي تعاني منه المجتمعات الكافرة ، (فالعقلية الغيبية) أي الإيمان بالله واليوم الآخر يحث الإنسان المسلم على اعمار الحياة الدنيا .

إن مشكلة العلمانيين أنهم يطلقون الكلام على عواهنه ولا يكلفون أنفسهم تحديد المعنى من ألفاظهم العامة ، فهم يحاربون الإسلام باسم (العلم) و (الحرية) دون أن يحددوا ما يريدون بهذه الكلمات ويتهمون المسلمين بالعقلية (الغيبية) مع أنهم (وعلى ماديتهم) يؤمنون بهذه العقلية الغيبية فلو قال الطبيب لأحدهم أن الكأس الذي في يدك يحتوي على سم سيودي بحياتك لما شربها ، ولو سمع أحدهم في نشرة الأرصاد كلاماً عن منخفض جوي لآمن بذلك واستعد له مع أنه وفي كلا الحالين يعتبر الحدث غيباً لم يقع بعد ؛ فما الذي يجعل عقليتهم (الغيبية) مقبولة ، والعقلية (الغيبية) الإسلامية مرفوضة؟!

إن من المتفق عليه بين أرباب العقول أن سبيل الخبر اليقين - في القضايا التي يتعذر فيها منهج التجربة والمشاهدة - يعد منهجاً علمياً سليماً للوصول من طريقه إلى الحقيقة إذا توافر

(١) أحمد جمال ظاهر - مقالة الواحد القهار - ص : ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ضمن كتاب مجلة الناقد - نواب الأرض والسماء .

فيه شرطان اثنان: (أولهما: أن يكون مصدر الخبر موثوقاً به مقطوعاً بأنه أهل لأن يكون للعلم والأمانة والصدق وثانيهما: أن يكون السبيل إلى ذلك المصدر سنداً من الرواة المتصلين بلغ درجة الصحة. . فإذا اجتمع الشرطان فلا جرم أن مضمون الخبر يصبح عندئذ حقيقة علمية لا مناص من قبولها واليقين بها، وهو قانون تخضع له الفطرة الإنسانية عند الناس جميعاً، قبل أن ينساق وراءه العقل. . إن كثيراً منا لم ير جدار الصين العظيم، ولم يشاهد أهرامات مصر، ولم يزر «تاج محل» ولم ير الكعبة ولا طاف بها، ولكن أي واحد من هؤلاء لا يساوره أدنى شك في وجود هذه الأماكن والآثار بل هو لو رآها بعينه لما زاده ذلك يقيناً بوجودها مهما كانت ثقافته ومهما كان علمياً في أفكاره ومعتقداته فما السبب؟! السبب أنه اعتمد على منهج علمي سليم، لا يقل بحد ذاته عن منهج التجربة والمشاهدة في القضايا المحسوسة ألا وهو منهج النقل بشروطه العلمية المعروفة. .)[1].

لقد آمن المسلمون بوجود الله ووحدانية بعد أن رأوا الآثار والدلائل التي تشير إلى ذلك ثم الإيمان بوحدانية الله عز وجل استلزم إيمانهم بالرسل عامة وبمحمد ﷺ خاصة، وكان من مقتضيات ذلك الإيمان بالقرآن الذي هو كلام الله عز وجل لما رأوا من صدق الرسول عليه السلام ومعجزاته التي أيده بها جل وعلا فإذا استقر الإيمان عند المسلمين بهذه الحقائق الثلاث (الوحدانية والنبوة والقرآن) فما الذي يقتضيه قانون العلم بعد ذلك؟! وهذا القرآن يخبرنا بالبعث والجنة والنار وكثير من أمور (الغيب) التي تغيب عن حواسنا ولكنها موجودة أو ستوجد كما أخبرنا بذلك ربنا جل وعلا؛ لماذا تكون إخبارات القرآن عن الجنة والنار - عند العلمانيين - (غيبيات لا يقرها العلم والعقل فلا وجه لانصياع الإنسان لها، ثم تكون إخبارات قانون العقوبات التي أصدرته دولة ما حقائق يقينية جديرة بالإنصياع لها مع أن مضمون كل منهما لا يزال محجوباً في ظهر الغيب؟!)[2] إن السبب في ذلك هو عدم يقين العلمانيين العرب بغيبيات الإسلام في حين أنهم آمنوا (بغيبيات المادة)!!

(١) د. محمد سعيد رمضان من المسؤول عن تخلف المسلمين ص ٣١ ط الأولى ١٩٧٧ مكتبة الفارابي دمشق.

(٢) المرجع السابق ص ٣٦.



إن عدم العلم ليس علماً بالعدم فلو أنك قلت لجنين في بطن أمه - جدلاً - أن هناك عالماً في الخارج فيه جنات وجبال وأنهار ومليارات الناس بينما أنت هنا في الظلام وبين الدماء لكان الجنين - بحكم وضعه - منكراً ذلك القول لأنه لم ير من ذلك شيئاً، وهذه هي حالة العلمانيين لا يريدون أن يؤمنوا حتى يروا بأعينهم ويلمسوا بأيديهم مع أنهم يؤمنون بوجود الروح دون قدرتهم على تعريفها أو لمسها وكذلك العقل والهواء والجاذبية ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وأخيراً نحن نتساءل: (ترى إذا جرينا مع من يؤمن بهذا الفكر، فقلنا إن سبب تخلف الأمة هو الإيمان بالغيب، ترى لو كفر الناس بالغيب والخالق، هل يستطيعون بكفرهم أن يخترعوا مركبة فضاء ينزلون بها على القمر . . . ؟! فوجدت أن الجواب على كل مستويات التفكير، وبكل بساطة: لا . . .

إن الذي أملى على كل عاقل أن يقول: لن يكون الكفر سبيلاً للرقي والحضارة، هو الواقع، فها هي دول أميركا الجنوبية، لا تؤمن بالغيب الذي نؤمن به، ولم تربط مستقبلها بإرادة الخالق، ولكنها ما زالت تعيش في مستويات حضارية أدنى من المستويات التي تعيش بها أمتنا اليوم، إلى جانب ما فيها من الويلات التي لا سبيل إلى ذكرها وتعدادها الآن.

إن الواقع يدل على أن الكفر بالغيب لا يرتقي بالأمم فها هي الصين الشعبية التي تشكل أكبر قوة بشرية في العالم، وثارت عدة ثورات على الغيب، والألوهية، والدين، آخرها الثورة الثقافية أيام ماوتسي تونغ، إلا أنها رغم هذا لم تستطع أن تنهض من مكانها، بل تراجعت ولم تتقدم، مما دعا إلى الثورة على تلك الثورة، وعلى ما هو معروف لكل عاقل . . .)[1]

إن العقلية الغيبية لا تنافي العلم كما بينا آنفاً بل تحث عليه ، ثم إن العالم الغربي في مجمله لا زال يؤمن بالعقلية الغيبية - وإن اختلفت مقاييس وآثار هذا الإيمان - لكنه لا يزال يؤمن بالحساب والعذاب يوم القيامة ؛ ومع هذا لا يصده ذلك عن الارتقاء العلمي !!

(١) د. محمد حسن هيتو العقل والغيب ص ٤٢-٤٣ ط. الأولى ١٩٩٤ دار البشائر بيروت.



أما الحرية المطلقة والتي يعتبرها أحمد جمال ظاهر كلمة السر في جلب العلم فهذه أكبر أكذوبة عرفها التاريخ ، فماذا عملت الحرية المطلقة في الغرب ، لقد حولته إلى مجتمع تنخره المخدرات والأمراض الجنسية ، والمتاعب الاجتماعية والمشاكل الأسرية ، حتى عاد مجتمعاً مفككاً (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) وحتى استحلوا المحرمات فما عادوا يعرفون حلالاً ولا حراماً ، وما قيمة العلم إذا نُخر المجتمع ؟ وما قيمة التقدم الزائف إذا كان مبنياً على جرف هار من الأخلاق المسترذلة ؟! لقد انهارت فرنسا وهي بلاد (الحرية المطلقة) وسلمت أمرها للألمان في الحرب العالمية الثانية مع جيشها الجرار والتدريب العسكري الهائل ، ولخص رئيس وزرائها سبب الهزيمة بكلمته المشهورة : (لقد هزَمَنَا الانحلال قبل الاحتلال !!) (١).

وأما أمريكا بلاد الحرية بزعمهم فقد قال الرئيس الأمريكي السابق جون كنيدي :

(إن الشباب الأمريكي مائع منحل مترف غارق في الشهوات ، وأنه من بين سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين بسبب انهماكم في الشهوات) (٢).

وكذلك صرح خروشوف رئيس الاتحاد السوفيتي الأسبق (٣). عن شباب روسيا وانحرافه ، بل إنه اقترح أن تفتح معسكرات للتخلص من هؤلاء الشباب في سيبيريا لأنهم يشكلون خطراً على مستقبل الاتحاد السوفيتي !!

فهؤلاء شهود العصر على ما آلت إليه الحياة الاجتماعية في الدول الكبرى التي اعتنقت مذهب الحرية المطلقة بلا قيود ؛ والتي يحاول العلمانيون العرب أن يسوقوها من جديد في سوق الأفكار العربية بعد أن ثبت فشلها في أراضيها التي نبتت فيها هناك (٤).

إن البعد عن منهج الله عز وجل وتحكيم شرعه هو السبب الرئيسي في شقاء البشرية ، فلقد سعدت الأمة الإسلامية يوم أن اتخذت سبيل الله عز وجل ؛ وسارت على هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لما تنكبت الصراط ضلت وغوت ورجعت من مصاف الدول المتقدمة إلى أن أصبحت من أذل الأمم في واقعنا المعاصر .

---

(١) عبد الله حمد الشبانة – المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية – ص : ١٩٤ – الطبعة الثالثة – ١٩٩٧م – دار طيبة – السعودية .

(٢) محمد قطب – التطور والثبات في حياة البشرية – ص : ١٧٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر في إفلاس الحضارة المادية : أحمد منصور سقوط الحضارة الغربية رؤية من الداخل الطبعة الأولى ١٩٩٧ دار القلم دمشق .

– د/ محمد سعود البشر السقوط من الداخل (ترجمات ودراسات في المجتمع الأمريكي) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار العاصمة الرياض .

والعجيب أن العلمانيين العرب يستهزؤون بمن ينادي بالعودة إلى شريعة الله عز وجل ويعدون ذلك عودة إلى عصور التخلف والظلام ، متغاضين عن عمد عما يزخر به التاريخ من تراث رائع في كافة مناحي الحياة لهذه الأمة يوم أن حكمت شريعة الله عز وجل ؛ ومن مظاهر هذا الاستهزاء ما قاله نصر حامد أبو زيد من : (أن رد كل أزمة من أزمات الواقع في المجتمعات الإسلامية ؛ بل وكل أزمات البشرية إلى "البعد عن منهج الله "هو في الحقيقة عجز عن التعامل مع الحقائق التاريخية وإلقاؤها في دائرة المطلق والغيبي ، والنتيجة الحتمية لمثل هذا المنهج تأبيد الواقع وتعميق اغتراب الإنسان فيه ، والوقوف جنباً إلى جنب مع كل قوى التخلف ضد قوى التقدم ، متناقضاً مع مظاهر الخطاب الذي يبدو ساعياً للإصلاح والتغيير . . .) [(١)].

فأبو زيد هنا – وفوق استهزائه – بأطروحات الإسلاميين يخالف النهج العلمي الذي يزعم التحاكم إليه فيزعم أن (النتيجة الحتمية) هكذا هو التخلف ، ولا ندري عن أي حتمية يتكلم مع أن المسألة لا زالت في سدف الغيب ؛ فهو يستبق النتيجة ويطلق الحكم قبل أن يبرهن على هذا في أرض الواقع بشئ .

ولم يكن نصر حامد أبو زيد هو الرافض الوحيد لتطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع والاستهزاء بنصوصها ؛ بل إن غالبية العلمانيين على هذه الشاكلة وإن لم يعترف بعضهم لاعتبارات سياسية أو اجتماعية ؛ إلا أن البعض الآخر يصرح بذلك ولا يجد غضاضة في أن يكتب هذا الرفض للإسلام ويدعو إليه أبناء المجتمع الإسلامي ؛ فهذا فرج فوده يستهزئ بتطبيق الشريعة الإسلامية ويقول عائباً على دعاة الإسلام : -

(ولكنهم جميعاً متفقون على أن نقطة البدء بالحل تكمن في التطبيق الفوري للشريعة الإسلامية ، وأصحاب وجهة النظر هذه يطرحون خلف ظهورهم خلافهم حول رأيهم في المجتمع الحالي ، ويستقرون عند التمسك بدعوة تطبيق الشريعة ، مؤكدين أن هذا التطبيق الفوري سوف يتبعه صلاح فوري للمجتمع وحل فوري لمشاكله) [(٢)].

---

(١) نصر حامد أبو زيد – الخطاب الديني رؤية نقدية – ص : ٣٥.

(٢)فرج فوده – الحقيقة الغائبة – ص : ١٢ .

فأصبح تطبيق الشريعة الإسلامية مجرد (وجهة نظر) عند فرج فوده ، ثم يدعي أن الإسلاميين يقولون أن التطبيق (الفوري) يتبعه صلاح (فوري) للمجتمع ؛ وهذا ما لم يقل به أحد من الإسلاميين بالنسبة للصلاح (الفوري) خاصة في المجتمعات التي نخرتها العلمانية دهوراً طويلة ؛ ولكن الإنصاف أن يقال أن الإسلاميين يدعون إلى التطبيق الفوري للشريعة الإسلامية ؛ مما سيقلل إلى حد كبير مظاهر الفساد الذي اجتاحت هذه المجتمعات المسلمة .

وإذا كانت الدعوة إلى تطبيق الشريعة مجرد (وجهة نظر) [١]. عند فرج فوده فهي عند عزيز العظمة (. . . مبدأ قائم على منافاة واقع الحياة العربية ومستقى من كتب قديمة ليست من سجايانا . . .) [٢].

بل إن الإسلاميين الداعين إلى تحكيم الإسلام - في نظره - يعتقدون:

(بإمكانية استمداد النور من الظلام ، وأن التقدم والرقي يمكن أن يستمر في سياسات اجتماعية وثقافية قوامها التجهيل والتفاخر بالتخلف الاجتماعي) [٣]

لقد أصبحت الكتب الإسلامية وعلى رأسها كتاب الله عز وجل ، وكتب الحديث الشريف (كتباً قديمة ليست من سجايا العلمانيين العرب) فإذا كانت ليست من سجاياهم ؛ فإنها من سجايا المجتمع الإسلامي ؛ ونبراس هدى يهتدي بها المسلمون في كل مكان ، وأما (الكتب المستوردة) والتي هي من سجايا العلمانيين العرب ، فلم تحقق السعادة لمن كتبوها ومن نشرت في مجتمعاتهم ، فضلاً أن تجلب السعادة لنا ، فما كتبه (كارل ماركس) مثلاً ، أو (فرويد) أثبتت الأيام خطأه وأنه لا يعدو أن يكون نظرية من صنع الإنسان ثبت بطلانها[٤] .

---

(١) ولكنه عاد وقال في مكان آخر : (ببساطة أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية فوراً أو حتى خطوة خطوة) ، انظر حوارات حول الشريعة لأحمد جوده - ص : ١٤ ، وقال أيضاً :(إن الدعوة إلى إقامة دولة دينية في مصر تمثل ردة حضارية شاملة في كل المقاييس) انظر كتابه الطائفية إلى أين - ص : ٢٠ ؛ وللاستزادة يرجع إلى كتاب المواجهة بين الإسلام والعالمانية - د . صلاح الصاوي - ص : ٥٦ وما بعدها

(٢)عزيز العظمة - مقالة : (قميص عثمان وشعرة معاوية) - مجلة الناقد - عدد : ٦٤ - ص : ١٥ - أكتوبر ١٩٩٣م - بيروت .

(٣)المصدر السابق - ص : ١٦ .

(٤) انظر في هذا بسام سلامة الإيمان بالغيب ص ٢٢٢ ط ١٩٨٣ مكتبة المنار الأردن .

ويمثل انبهار العلمانيين بهذه الكتب هزيمة نفسية ، وإعجاباً زائفاً بالفهم العلمي الوافد مع أن هذا الفهم في تغير دائم لا يستقر على رأي ، وينقض نفسه بنفسه ؛ وكما يقول الأستاذ أنور الجندي مفنداً هذا الادعاء : -

(إن هذه المذاهب والنظريات التي توصف بأنها "علم "إنما تبدأ أول أمرها "فرضيات " وضعت تحت الاختبار ، ثم تحولت مع الزمن إلى "نظرية "ولم تستطع نظرية واحدة حتى الآن مهما بلغ قدرها أن تثبت أكثر من جيل واحد في مواجهة المتغيرات ، وما من نظرية بدا أول الأمر أنها ذات بريق عبقري إلا وقد اجتاحتها عوامل الفساد ، فعدلت مرة بعد مرة في محاولة استبقائها .

وقد تصدعت كبرى النظريات العالمية المعاصرة وفي مقدمتها الماركسية والفرويدية والوجودية) (١).

إن مشكلة هؤلاء العلمانيين في الهجوم على (التراث) ناشئ من جهلهم به ومن جهل شيئاً عاداه ؛ ولم يعرفوا من هذا التراث سوى ما استقوه من سموم سقيت إليهم من طريق الكتب الجائرة التي كتبها المستشرقون .

فكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ (٢) فظنوا أن تراث الإسلام كتراث النصارى ، وبما أن هؤلاء ثاروا على تراثهم فنجحوا في حياتهم كما يزعمون فلماذا لا يثور المسلمون على تراثهم حتى يلحقوا بالركب ؟!.

ولا شك أن هذا قياس جائر وفهم أعوج للتراث الإسلامي ؛ وإن من أظلم الظلم أن يؤخذ الإسلام - بصفائه ونقائه - بجرائم الكنيسة - بصكوك غفرانها وتحريفات رجال الدين فيها - إن التراث الذي ندعو إليه ليس وهما من نسج الخيال أو أقصوصة من أساطير الأولين ؛ بل هو تراث رسالة ربانية خالدة ، وحضارة إسلامية راقية جمعت بين العلم والإيمان ، والدنيا والآخرة، تراث يتميز بمميزات عدة منها : -

---

(١)أنور الجندي - شبهات التغريب - ص : ٣١٩ - ط : الثانية - ١٩٨٣م - المكتب الإسلامي - بيروت .

(٢) سورة يونس - الآية :(٣٩)

(١ - الإنسانية : -

فهو وإن كتب بالعربية تراث إنساني يهدف إلى تحرير الإنسان ، ويعمل على كرامة الإنسان كما في قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [١]، وقوله تعالى :﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ [٢].

٢ - الأخلاقية : -

فهو تراث يؤمن بالقيم . . . ولا يؤمن بفصل الأخلاق عن العلم ولا عن السياسة ، ولا عن الاقتصاد ، ولا عن الحرب فهو تراث يعبر عن رسالة هدفها أن تتم مكارم الأخلاق .

٣- التكامل : -

فهو يجمع بين أحكام الوحي الإلهي ونتاج العقل البشري [٣] ؛ وفي ظله التقى العلم والإيمان .

٤ - التوازن : -

فهو تراث وسط لأمة وسط ، لا يقف في طرف ضد طرف ، فهو ليس تراث الروحيين وحدهم ، ولا الماديين وحدهم ، فهو في أسسه وأصوله يمثل وسطية الإسلام .

٥ - التنوع : -

فهو تراث ديني ودنيوي ، علمي وأدبي ، فلسفي [٤] وتطبيقي ، وفني وعمراني .

٦ - التسامح : -

فهو وإن كان تراثاً إسلامياً ، إلا أنه يؤمن بكل الكتب التي أنزلها الله تعالى ، وبكل الرسل الذين بعثهم الله ، كما يؤمن بأن اختلاف الناس واقع بإرادة الله ، وسيحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

---

(١) سورة البقرة - الآية : (٢٥٦).

(٢) سورة الإسراء - الآية : (٧٠).

(٣) أي ما فهمه العقل من الوحي واستفاده من توجيهاته.

(٤) ليس المراد هنا بالفلسفي : الفلسفة اليونانية أو ما شابهها وإنما المراد أنه قواعد وبناء، أو أسس وتطبيق، لأن الفلسفة البشرية لا تلتقي مع الوحي الإلهي إلا في جزئيات لاختلاف المصدرين.



٧ - المرونة : -

فهو قادر على مواجهة التطور[١] ، وفيه من الثراء والخصوبة الداخلية ما يجعله صالحاً للنماء والتجدد الذاتي ؛ جامعاً بين الثبات على الأصول والغايات ، والمرونة في الفروع والوسائل)[٢].

هذه هي أهم مميزات هذا التراث الخالد الذي أخرج للوجود خير أمة أخرجت للناس ، هذا التراث الذي استقيناه من منابع الكتاب وصحيح السنة ، ولن تفلح الأمة المحمدية إلا بالعودة إليه والارتواء من ينبوعه ؛ ولا تعذر الأمة بحال من الأحوال إذا حادت عنه كما قال جل وعلا : -

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [٣].

أما التراث البشري الإسلامي والذي كان نتاج عقول إسلامية ، فجهد بشري قابل للأخذ والرد ؛ وفيه الخطأ وفيه الصواب وليست العصمة لأحد إلا للنبي صلى الله عليه وسلم .

(١) أي أن الله عز وجل قد جعله ديناً يستوعب كل ما يجد في حياة الإنسان لأنه سبحانه يعلم ماسيصل إليه الإنسان من علوم بشرية ، وكشوفات مادية ، فالله عز وجل هو الذي أودعها في الكون ؛ ومكن الإنسان من معرفتها ، ولو لم تكن موجودة لما استطاع الإنسان أن يوجدها .

(٢) د. يوسف القرضاوي - بينات الحل الإسلامي - ص : ١١١ - ١١٣ بتصرف - ط : الثانية - ١٩٩٣م - مكتبة وهبة - القاهرة .

(٣) سورة النساء - الآية : (٦٥) .



البــــاب الــرابــع

الفصل الثاني

آثار شبهات العلمانيين على الفرد والمجتمع

البـــاب الـرابـــع

الفصل الثاني
آثار شبهات العلمانيين على الفرد والمجتمع

مدخل:

عاشت الأمة الإسلامية في عافيتها ما يقارب ثلاثة عشر قرناً تحتكم إلى كتاب ربها جل وعلا وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ، وقد أصابتها في مراحل سيرها الطويل كثير من النكسات ولكن الأمة الإسلامية سرعان ما كانت تقوم من جديد على قدميها مكملة رسالتها الخالدة إلى البشرية جمعاء ، ولم تفكر هذه الأمة في يوم من الأيام أن تتنكر لخالقها ، أو تتكبر على شريعة الله عز وجل ، ولم تكن الهزائم تنفث في روع الأمة إلا زيادة إيمان بموعود الله لها بالنصرة والتمكين في الأرض ، وهذا ما شهد به تاريخ الأمة الخالدة بخلود رسالتها .

لقد وقعت الهزيمة في غزوة أحد وانكشف المسلمون أمام عدوهم ، وكسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم ، وسال الدم على وجهه الشريف ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) . ، وكانوا مؤمنين حقاً فوعوا الدرس جيداً وأكملوا المسيرة رضي الله عنهم وانتصروا ، ولم يصابوا بخيبة أمل في دينهم ، أو شك في إيمانهم ، ولم ينظروا إلى الكفار على أنهم أحسن منهم ، ثم وقعت الهزيمة في حنين ورجعوا إلى الله عز وجل وانتصروا ، ثم وقعت هزيمة الأمة أمام التتار حتى إن الرجل التتري كان يقول للمسلم : أمكث هنا حتى آتي بالسيف فأقتلك فيمكث في مكانه حتى يقتل !! ومع هذا لم ينظروا للتتر على أنهم أحسن منهم ، أو أنهم يجب عليهم أن يتشبهوا بالمستعمرين الجدد ، بل أثبت الإسلام خلوده وتحولت هذه الأمة الغازية إلى أمة مسلمة تجاهد في سبيل الله عز وجل(٢). . . . وهكذا كانت الأمة تنتصر أحياناً وتهزم أحياناً بحسب قوتها وضعفها ؛ ولكن الموقف من الهجمة الصليبية الشرشة في هذا القرن كان في غاية الغرابة ؛ إذ أنه ولأول مرة تنظر الأمة إلى جلاديها وغزاتها

---

(١) سورة آل عمران - الآية : (١٣٩) .

(٢) انظر في هذا - محمد قطب - هلم نخرج من ظلمات التيه - ص : ٣٠ وما بعدها ، وكتاب العلمانيون والإسلام لمحمد قطب - ص : ٧٦ وما بعدها - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ - دار الوطن - السعودية .

أنهم سادة مثقفون يبغون خلاص المسلم من آهاته وويلاته ، ولأول مرة في تاريخ الأمة تنقلب المفاهيم والأفكار وأنماط السلوك في سرعة مذهلة بما يشبه الانقلاب الفكري متأثرة بالغرب الصليبي ، وبالحركة التغريبية الهائلة المدروسة التي اجتاحت الأمة الإسلامية في كافة مناحي الحياة (وقد قامت هذه الحركة أساساً كمحاولة لتغيير المفاهيم في العالم الإسلامي ، والفصل بين هذه الأمة وبين ماضيها وقيمها والعمل على تحطيم هذه القيم ، بالتشكيك فيها ، وإثارة هذه الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعالم الفكر ، ومفاهيم الآراء والمعتقدات جميعاً)[1] .

إن الحركة التغريبية التي اجتاحت العالم الإسلامي ما كانت لتنجح لولا حالة التخلف الفكري التي لفت رواقها على الأمة الإسلامية ، بينما يعيش الغرب في حالة تطور دنيوي أخاذ بعد أن نزع عنه رداء الدين وارتدى رداء العلمانية ؛ مما أصاب كثيراً من أبناء المسلمين بهزيمة نفسية واضحة أخذت تتبدى بالتأثر بالشبهات التغريبية التي بثها هؤلاء وأتباعهم من (المتفرنجين) من أبناء الأمة الإسلامية ، هذه الشبهات التي كانت بمثابة معاول لتدمير العقائد والأفكار ونسف القيم والأخلاق بين المسلمين .

لقد دخلت الحرب بين الغرب والإسلام مرحلة جديدة يوم أن اقتنع الغرب بعدم جدوى الحروب الصليبية العسكرية ؛ فوجه حروبه الصليبية الحديثة إلى الأفكار والسلوك في العالم الإسلامي ؛ وكما يقول الدكتور القرضاوي : -

(لم يكن من هم المستعمر الدخيل في أول الأمر أن يوجه عمله إلى الشعب ليزحزحه عن دينه ، ويشككه في منهجه الإلهي ، فيهيجه على حكمه ، ويحرضه على مقاومته ، بل ترك الشعوب في غفلاتها ، ووجه أكبر همه إلى تكوين قادة للمستقبل ، قادة يصطنعهم لنفسه ، ويصنعهم على عينه ، ويربيهم في أحضانه ، ويغذيهم بثقافته وأفكاره ، ويغرس فيهم الخضوع - عن طواعية - لنظمه وتقاليده ، والتقديس لمناهجه وفلسفته .

إن صناعة هذا الجيل الذي سيقود السفينة فيما بعد ، ويقبض على زمام التوجيه والتثقيف والتربية والإدارة والسياسة والتشريع ، كانت أهم ما عني به الاستعمار الخبيث ، وكان النجاح

---

(٢) أنور الجندي - الصحوة الإسلامية - ص : ٣٧٧ - طبعة : دار الاعتصام - القاهرة .

في صناعته أعظم نصر حققه في المعركة بينه وبين الشرق الإسلامي ، منذ عهد هرقل ومعركة اليرموك وما بعدها حتى اليوم) (١).

وتم للغرب صناعة هذا الجيل المشكك في صلاحية دين الإسلام ، فوجد من أبناء هذه الأمة - ممن زاغت عقائدهم عن الصراط المستقيم - من يتمنى الخراب لها (وقد دلت التجارب على أن زائغ العقيدة متى ملك جاهاً أو سلطة فتن الأمة في دينها ، وانتهك حرمات شريعتها ، ولم يخلص النظر في إصلاح أمرها ، ولاقى منه المؤمنون اضطهاداً ، والجاحدون أصحاب الأهواء مناصرة وإقبالاً ، فيكون داعياً عملياً إلى الخروج على الدين ، فتموت الفضيلة والغيرة على الحقوق العامة ، ويتقطع حبل اتحاد الأمة أربا) (٢).

وقد أخذ هذا الجيل المستغرب على عاتقه مهمة حرب الدين الإسلامي نيابة عن الغرب الصليبي وذلك من خلال بث الشبهات الماكرة حول القرآن والسنة والإيمان بالله واليوم الآخر ، عن طريق التدريس تارة والتأليف تارة أخرى ، خاصة إن كثيراً منهم اختاروا طريق التدريس الجامعي ، وتأليف الكتب المشبوهة ليكونوا على مقربة من تسميم أفكار الجيل الناشئ من أبناء الأمة الإسلامية ، فألف طه حسين كتاب (الشعر الجاهلي) ، وألف علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) وجاء محمد أحمد خلف الله فألف (الفن القصصي في القرآن) وحسين مروه كتابه (النزعات المادية) ، وفرج فوده كتابه (الحقيقة الغائبة) ، ونصر حامد أبو زيد كتابه (الإمام الشافعي . . .) وحسن حنفي كتابه (من العقيدة إلى الثورة) ، وصادق العظم وكتابه (تجديد الفكر الديني) ، وعزيز العظمة كتابه (دنيا الدين في حاضر العرب) ، وجاء هشام جعيط فألف(الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي) وقبله ألف عبد الله القصيمي (هذه هي الأغلال) إلى آخر هذه الكتب التي ملئت سما زعافاً ، وخرجت الشبهات من أطراف صفحاتها آخذة بعضها برقاب بعض ، لا لشئ إلا لتكون شاهداً للتاريخ أن الغرب الصليبي وجد في الواقع المعاصر من يدخل المعركة مع الإسلام نيابة عنه ، وهؤلاء النواب يدعون أنهم لا

---

(١) د. يوسف القرضاوي - الحلول المستوردة وكيف جنت على الأمة - ص : ٢٠ - ط ١٩٨٠م - دار الرسالة - بيروت.

(٢)محمد الخضر حسين - رسائل الإصلاح (١/ ١١٠) .

يريدون إلا الخير للناس ، بينما من يقرأ ما كتبوه يجد كفراً صريحاً بالله وكتبه واليوم الآخر وكل أصول الإسلام والإيمان.

ولما كان هؤلاء المستغربون وأمثالهم قد أخذوا طريق التدريس والتأليف في نشر شبهاتهم حول الإسلام فقد خرّجوا - بطبيعة الحال - جيلاً تائهاً بعيداً عن صراط الله المستقيم ، وخرّج هذا الجيل أجيالاً ، مما كان له أعظم الأثر في زعزعة عقيدة كثير من أبناء الأمة الإسلامية حول صلاحية الدين الإسلامي وموافقته للعصر الحديث ؛ خاصة وأن القلوب ضعيفة والشبه خطافة!

أثر شبهات العلمانيين على الفرد :

لا شك أن الإيمان بالله واليوم الآخر هو أعظم مدد للضمير الإنساني ، فالإنسان المؤمن بمراقبة الله عز وجل له لا يمكن أن يتعمد المعصية كما قال تعالى : (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ❖ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [١] ، وقال جل ذكره : (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) [٢]، ثم إن هذه الكتابة تحفظ عند الله عز وجل في صحيفة الإنسان حتى يراها يوم البعث والجزاء كما قال تقدست أسماؤه : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ❖ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [٣] ؛ وقال عز من قائل : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ [٤] .

ثم بعد هذا تكون نهاية المطاف بأن ينقسم الخلق يوم القيامة إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال جل ذكره : -

﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ❖ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ❖ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾ [٥].

بهذه العقيدة في الله واليوم الآخر والثواب والعقاب يعيش الفرد (وكذلك المجتمع) بهدوء وطمأنينة ، لا يظلم نفسه ولا يظلم الآخرين ، ولا يعتدي على حرمات الله أو الآخرين .

ولكن هذا الإيمان اعترته بعض الشبهات التي روجها علمانيو العرب مما سبق ذكره في طيات هذا البحث ، ونشرت الكتب والمقالات والقصص والأشعار التي تشكك بعقيدة اليوم الآخر ، وبكافة وسائل الإعلام سواء عن طريق الصحافة ، أو الأفلام السينمائية أو المسارح وغيرها مما

---

(١) سورة ق - الآيات : (١٧- ١٨) .

(٢) سورة الزخرف - الآية : (٨) .

(٣) سورة الإسراء - الآيات : (١٣-١٤).

(٤) سورة الكهف - الآية : (٤٩) .

(٥) سورة الروم - الآيات : (١٤-١٦)

كسر هيبة النص الديني عند كثير من الأفراد في المجتمع الإسلامي ، فكثر التفلت الأخلاقي لضعف الإيمان باليوم الآخر .

وبواسطة هذه الشبهات تم عزل الفرد عن المورد الإيماني وهو القرآن الذي يربط الإنسان بالله عز وجل ويذكره بمصيره في اليوم الآخر ؛ ولكن تركيز هذه الشبهات جعل كثيراً من الأفراد ينغمسون في الشهوات من أجل إقامة الفردوس على هذه الحياة الدنيا ، فواقع حالهم لا يدل على أنهم يؤمنون بوجود يوم آخر يحاسب فيه الناس على أعمالهم ، وأصيب هؤلاء بهزيمة نفسية فلجؤوا إلى تقليد الغرب في كل شئ ، في الأكل والشرب واللباس وكل أنماط السلوك ، وكل هذا مما يدور في المجتمع الإسلامي إنما كان من ضعف تمسك الناس بدينهم ، والإيمان باليوم الآخر ؛ والذي كان أحد أسباب الضعف هو ما نشره العلمانيون من شبهات أدت إلى هذه الفوضى الأخلاقية .

ثم إن هذه الشبهات أضعفت مقاومة الفرد للشهوات هذه المقاومة التي كان يستمدها من إيمانه باليوم الآخر ، فإذا اعترت الشبهات إيمانه ضعفت مقاومته ، وتحطم كيانه وأصبح من السهل التحكم فيه من قبل أعداء الإسلام بعد أن حطموا السور الواقي للفرد المسلم ، هذا السور الذي إذا زال عن الفرد المسلم فإنه يتحول إلى إنسان معادٍ لدينه ومستخف بشعائره كما نرى في كثير من أفراد المجتمع الإسلامي حيث تحول (سب الدين وسب الرب) جل وعلا إلى كلمة عادية تجري على بعض الألسنة (في بعض الدول) صباح مساء دون نكير [1]

(١) انظر مجلة الشريعة ص ٢٧ عدد ٤٠٧ شعبان ١٤٢٠هـ الأردن .



أثر شبهات العلمانيين على المجتمع :

خرج الاستعمار العسكري الغربي من الأراضي الإسلامية ، وبقي عملاؤه الفكريون ينشرون سمومهم في المجتمع الإسلامي ، ويدعون المسلمين إلى اللحاق بقافلة الحضارة الغربية ، حتى وصل الحال ببعض أبناء الأمة إلى حد لا يصدق ، وكما قال الشيخ محمد الخضر حسين (أحد شيوخ الأزهر السابقين) : (. . . وقد وصل ببعضهم الشغف بالانحطاط في هوى الأجانب والانغماس في التشبه بهم ؛ أن اقترح في غير خجل قلب هيئة المساجد إلى هيئة الكنائس ، وتغيير الصلوات ذات القيام والركوع والسجود إلى حال الصلوات التي تؤدى في الكنائس . . . وهذا الاقتراح شاهد أن في الناس من يحمل تحت ناصيته جبيناً هو في حاجة إلى أن توضع فيه قطرة من الحياء) (١) .

وبالرغم من استنكار المجتمع الإسلامي - في أول الأمر - لهذه الاقتراحات والشبهات وخاصة الشبهات التي تتعلق بالمعاد الأخروي ؛ إلا أن كثرة تردادها من جانب العلمانيين أوجد لها سوقاً في المجتمع الإسلامي خاصة وقد يُسر لها سهولة النشر في كافة وسائل الإعلام إما تصريحاً أو تلميحاً ؛ مما نتج عنه أثار مدمرة في عقائد المسلمين في كافة مناحي الحياة ؛ ويمكننا أن نلمح هذه الآثار في عدة جوانب : -

أولاً : في الجانب الإعلامي :

لا يجد الناظر في إعلام كثير من الدول الإسلامية كبير عناء في اكتشاف أنه إعلام يجنح إلى الطرح العلماني ؛ وأن القائمين عليه في كثير من الأحيان تغريبيون ذوو أسماء إسلامية .

وكما يقول الدكتور محمد زين الهادي : (والحقيقة التي لا تنكر أنه كان للإعلام المقروء - ومنه الصحافة - أثره الكبير في طبع المجتمع الإسلامي بالطابع العلماني ، ذلك بما كان يشنه هذا الإعلام من حملات إعلامية مركزة على الإسلام ؛ والتقليل من شأنه في هذا المجتمع ، وفي نفس الوقت عكس الثقافة الغربية اللادينية بصورة تنم للقارئ والمستمع المسلم بأنها ثقافة العالم المتحضر ؛ عالم "التكنولوجيا "؛ وبما أثاره هذا الإعلام من قضايا فكرية وأخرى اجتماعية

---

(١) محمد الخضر حسين - رسائل الإصلاح (١/ ١٥١) .



مختلفة ، مثل قضية المرأة ، ووجوب العمل على "تحريرها "من القيود التي قيدها بها الإسلام - في زعمهم - مثل ضرب الحجاب عليها - ومنعها من الاختلاط بالرجال والخروج للعمل معهم . . . وإبراز الصور الخليعة العارية ، وعرض الأزياء التي تخالف الشرع الإسلامي وقواعده العامة على صفحات المجلات والصحف ، وغير ذلك من الحملات التي يقصد بها إخراج المسلم من دينه ؛ أو على أقل تقدير يجعله لا يابه كثيراً بالقيم والمثل الإسلامية) (١).

وكل هذه المهازل المنظمة ما كانت لتحصل إلا بعد أن أعطيت الأمة جرعات متتابعة من الشبهات حول الإسلام ، وفك ارتباط الإنسان المسلم بالله واليوم الآخر ، فلما ضعف إيمان كثير من المجتمع الإسلامي بالمعاد الأخروي اجتاحته الشهوات والشبهات عن طريق الإعلام المقروء والمسموع والمرئي .

ولم تكن هذه الآثار وليدة اليوم ؛ فالعالم الإسلامي رزح تحت نيرها منذ سقوط الخلافة في أوائل القرن العشرين ؛ فكان من آثار ذلك كما قال محمد محمد حسين أن : -

(. . انتشرت الصور العارية في المجلات ، من مجلة الهلال فنازلاً - أو فصاعداً إن شئت ، لا أدري - تعرض الأوضاع المثيرة المغرية باسم الفن ، فتارة هي من معرض رسام أو مثگال ، وتارة هي صورة لممثلة أو راقصة مما يسمى "نجوم "المسرح أو السينما في هذا البلد أو ذاك ، وتارة هي نموذج لما ابتدعه مصمموا الأزياء الغربيون ، وتارة هي صورة لمسابقة في جمال السيقان أو الصدور أو تناسق الأجسام أو ما يسمونه "ملكات الجمال ". . . وصرف الناس مع ذلك كله عن عظائم الأمور إلى الصغائر ، فكثر حديث الصحف والمجلات عن الممثلين والممثلات ، والمغنين والمغنيات والراقصين والراقصات ، واحتلت أخبارهم وأخبارهن في أتفه ما يخطر على البال أبرز الأماكن في الصحف والمجلات ؛ حتى كأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق في الناس طبقة أشرف ؛ ولا أحق بالرعاية والتقدير من هؤلاء . . .) (٢).

---

(١) د. محمد زين الهادي - مجالات انتشار العلمانية - ص : ٩٩ - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - دار العاصمة - الرياض .

وانظر : د . علي عبد الحليم محمود التراجع الحضاري في العالم الإسلامي - ص : (٤٠٢ - ٤٠٣) ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م - دار الوفاء - القاهرة .

(٢) د. محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - (٢/ ٣٥٠-٣٥١) الطبعة التاسعة ١٩٩٢م - الرسالة - السعودية .

لقد كان هذا الوضع المأساوي منذ ما يزيد على ستين سنة ، وقد ظلت الأمور تزداد سوءاً ضمن المسلسل العلماني لهدم أخلاقيات المجتمع عبر وسائل الإعلام ؛ حتى نشرت مجلة الهلال سنة ١٩٧١ سؤالاً لأحد العلمانيين وكان نص السؤال : هل يجوز للبنت أن تمارس الجنس قبل الزواج ؟! فأجاب قائلاً : -

(. . . من البديهي أن ممارسة البنت للجنس قبل الزواج حق مشروع مثل كافة الحقوق الموجبة للمساواة الكاملة بين الجنسين كما تدعو إلى ذلك متطلبات العصر . . . وممارسة هذا الحق قضية سوف ينهيها التطور كقضية السفور والحجاب قبل أن تنهيها المناقشة) (١) .

ولم يقتصر هذا الهجوم على العلمانيين الذكور ، بل شاركت في الغارة العلمانيات الإناث ؛ فقد شنت أمينة السعيد هجوماً على الحجاب الشرعي واستهزأت به ووصفته بالكفن ؛ فهي تقول : -

(إن هذه القشرة الممجوجة - أي الحجاب الشرعي - قشرة سطحية لا تكفي وحدها لفتح أبواب الجنة أو اكتساب رضا الله ، فالفتيات يخرجن إلى الشارع والجامعة بملابس قبيحة المنظر ، يزعمن أنها زي إسلامي . . . ولم أجد ما يعطيني مبرراً منطقياً معقولاً لالتجاء الفتيات وهن على قدر من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزي هو والكفن سواء . . .)(٢).

وهكذا شارك العلمانيون - ذكوراً وإناثاً - في الهجوم على مسلمات الدين ، وعلى الأخلاق الفاضلة التي هي عنصر استقرار المجتمع الإسلامي ؛ وأغرقوا المجتمع بدوامة من الفساد الأخلاقي عبر ما يملكونه من وسائل الإعلام حتى وجد من أبناء هذا الجيل من يستجيب لأهوائهم ويشرب من نقيع سمومهم ؛ وهذا ما جاء - مثلاً - في (مجلة روز اليوسف سنة ١٩٧٥م) حيث أجرت المجلة مقابلة مع فتيات الجامعة واستشفت أراءهن حول الجنس والحب ، فكانت إجابتهن غاية في الخزي والعار ؛ ويعف القلم عن تسطيرها(٣) .

---

(١)مجلة الهلال - (أبريل - ١٩٧١م) .

(٢) أمينة السعيد - مجلة حواء المصرية - عدد :١٨/ ١١/ ١٩٧٢

(٣)مجلة روز اليوسف المصرية - عدد : (أبريل ١٩٧٥ م) .

وإذا كان هذا الكلام في سنة ١٩٧٥ فلا تزال مجلة روز اليوسف المصرية تصدر أسبوعياً وتتصدر غلافها صورة عارية تنبض بالإغراء من أجل إفساد المجتمع المصري المسلم وكافة الشعوب الأخرى ؛ ولا زالت المجلات الأخرى تتاجر بجسد المرأة وتضع على أغلفتها الصورة العارية ، سواء منها التي تطبع داخل العالم الإسلامي أو خارجه ، وكل هذا يعطي مؤشراً واضحاً على ضعف الإيمان باليوم الآخر ، وقلة توجه الناس إلى الاهتمام بمعادهم الأخروي بسبب هذه السيول الإعلامية الهدامة للأخلاق والقيم ؛ خاصة وإن الحرب الفكرية بين الإسلام والعلمانية حرب غير متكافئة ، فالجانب العلماني يتفوق كثيراً في الوسائل المتاحة للهدم بينما تدافع الدعوة الإسلامية بوسائل أقل تأثيراً ؛ وكما يقول الدكتور القرضاوي : -

(. . . فليت شعري ماذا عسى أن تصنع خطبة الخطيب ، أو درس الواعظ ، أمام هذا السيل من الكلام المسموع والمقروء والمكتوب ؟ ماذا يغني المنبر أمام المذياع والتلفاز والخيالة والصحيفة والمجلة وسائر أجهزة الإعلام والتأثير ؟ وكم يكون تأثير الواعظ البليغ إذا كانت هذه الأدوات الجبارة والأجهزة المخدومة ، تسير في اتجاه غير اتجاهه ؟ وتعمل لمهمة غير مهمته ، وقديماً قال الشاعر : -

**متى يبلغ البنيان يوماً تمامه		إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم**

وهنا لو تساوت طاقة البناء وطاقة الهدم ، فكيف إذا كان عدد الهدامين أكثر ، وطاقتهم أكبر ، وطريقهم أيسر ؟ فالهدم بطبيعته أخف وأسهل حتى قال الشاعر : -

**ولو ألف بان خلفهم هادم كفى		فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم**

وما أشبه الهدم في المعنويات بالهدم في الماديات) [١].

وما يقال عن الكتب والصحف والمجلات ينسحب تباعاً على الإذاعة والسينما والمسرح كأدوات فاعلة في نشر الانحدار الأخلاقي في المجتمعات الإسلامية ، يقول الدكتور علي عبد الحليم : -

(. . وليست السينما وما تعرضه من أفلام مثيرة للغرائز ؛ ومشجعة على العنف والسطو

---

(١) د. يوسف القرضاوي - الحل الإسلامي فريضة وضرورة - ص : (٢١٦-٢١٧) - ط : ١٩٨١م - مؤسسة الرسالة - سوريا .



والانحراف ؛ وليست المسارح وما تعرضه من مسرحيات تنكشف فيها عورات النساء ؛ وتؤكد بها القيم الفاسدة وتتحدى بها سلطة الآباء والأمهات . . . إلا صورة من صور المحاولة المستميتة لتغريب الحياة الاجتماعية في المجتمعات المسلمة . . .) [1].

إن فصل وسائل الإعلام عن الدين أو (علمنة الإعلام) أدى إلى وجود جيل حائر بين تعاليم الإسلام وبين تزيين هذه الوسائل للمحرمات؛ حتى أدى ذلك إلى وجود انفصام واضح في الشخصية الإسلامية (فالجماهير تتشرب الإيماءات المختلفة التي يصبها في أذنيها المثقفون بمختلف وسائل الإعلام . . . وتظل هذه المفاهيم تدور في نفوسهم ، وتتصارع مع الدين ؛ حتى تصرع الدين في وعي أو غير وعي ؛ وتنتج عن ذلك نتائج معينة ؛ فبعضهم ينتهي به الأمر إلى الخروج صراحةً من الدين ؛ وبعضهم ينعزل الدين في وجدانه عن الحياة ، ويتذبذب في داخل قلبه ، فيصلي ويزكي ، ويترك بناته وزوجته يلبسن فوق الركبة ؛ وبعضهم يتجمد على مفاهيم معينة ، وبعضهم يظلون في حيرة لا يدرون ماذا يفعلون) [2].

ولا شك أن هذه الحيرة ما هي إلا نتيجة طبيعية لمن ترك منهج الله عز وجل وجحد اليوم الآخر قولاً أو فعلاً وأعرض عن ذكر ربه ، وكما قال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ❖ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ❖ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ [3].

ثانياً : في الجانب التعليمي :

أدى انتشار الشبهات حول المعاد الأخروي - تصريحاً أو تلميحاً قولاً أو فعلاً - إلى انحسار التدين في الجانب التعليمي التربوي ، فأصبح تدريس دين الإسلام في المدارس شيئاً هامشياً في كثير من الدول الإسلامية ، ولا يحظى بشئ من الاهتمام ما تحظى به بقية المواد الدنيوية ، علاوة على تنفير الطلاب من مادة الدين بجعلها حصة هامشية في آخر الحصص في المدارس؛

(١) د. علي عبد الحليم - الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر - ص: ١٤٥ - دار البحوث العلمية - الكويت.

(٢) محمد قطب - التطور والثبات - ص :٤٩ - طبعة مكتبة وهبة - القاهرة .

(٣) سورة طه - الآيات : (١٢٤-١٢٦) .



ويدرسها مدرسون لا يظهر عليهم غالباً شئ من التدين ؛ مما أوقع كثيراً من الطلاب في حيرة كبيرة بين ما يقرأ من مبادئ إسلامية وما يرى من تصرفات بعض المدرسين الذين يفترض بهم أن يكونوا قدوة صالحة للطلبة والمجتمع .

وهذه الثمرات التربوية المرة كانت نتاج تخطيط أعداء الله عز وجل ليفصلوا التعليم الديني عن المدني - بزعمهم - فرُمي التعليم الديني بكل نقص وعيب بينما رُفع قدر التعليم العلماني اللاديني إلى آخر الحدود .

وفي هذا يقول "جب "(1) في كتابه وجهة الإسلام : -

(. . . والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب أو "الفرنجة "هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ الغربية ، وعلى التفكير الغربي ، والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، . . . وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين ؛ وقليل من الزعماء الدينيين . . . والواقع أن المدارس والمعاهد العلمية لا تكفي ، فليست هي في حقيقة الأمر إلا الخطوة الأولى في الطريق ، لأنها لا تغني شيئاً في قيادة الاتجاهات السياسية والإدارية . . . وللوصول إلى هذا التطور الأبعد يجب أن لا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلى خلق رأي عام ، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة . . .) (2).

وهكذا تم للغرب ما أراد وانفصل التعليم الديني عن المدني (على حد تعبيرهم) ، مما حدا بزعيم المبشرين النصارى القس زويمر أن يعترف بهذا النصر فقال على جبل الزيتون سنة ١٩٣٥ (لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر ؛ من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، وأنكم أعددتم نشأً في ديار المسلمين لا يعرف

---

(1) البروفوسور "جب "كبير المستشرقين الانجليز المعاصرين ، وكان مستشاراً لوزارة الخارجية البريطانية ، وعضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومن كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية ، وله كتب وبحوث عدة في الجوانب الإسلامية وتتميز كتاباته بالعمق والخطورة .

انظر د. محمد البهي - المبشرون والمستشرقون ، د. يوسف القرضاوي - الحلول المستوردة - ص : ٣٥ .

(2) محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية - (٢/ ٢١٦-٢١٧) .



الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرف ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشئ الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي ، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه إلا الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ؛ وإذا جمع المال فللشهوات ؛ وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شئ) [1]

ويعلق "جب "على آثار هذه المدارس اللادينية التي هگمشت دور الإسلام في نفوس النشئ قائلاً : -

(. . . الإسلام بوصفه قوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته . . . وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محدودة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً على غير وعي وانتباه ، وكان الذين أدركوا هذا التطور قلة ضئيلة من المثقفين . . . وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه ، وقد يبدو الآن من المستحيل مع تزايد الحاجة إلى التعليم ، ومع تزايد الاقتباس من الغرب أن يصد هذا التيار أو يعاد الإسلام إلى مكانته الأولى من السيطرة التامة التي لا تناقش على الحياة السياسية والاجتماعية . . .)[2] .

وقد برز بين ظهراني المسلمين وممن تخرج من هذه المدارس النكدة ؛ من لا يفقه في دين الله شيئاً ويعد مع ذلك مفكراً بارزاً ، ويتبوأ المراكز العليا ، ويدرِّس الطلاب في الجامعة السموم الفكرية والشبهات الخطافة التي سممت عقول النشئ ، وكسرت حاجز التدين وقدسية الإيمان باليوم الآخر ، فعمت الفوضى الأخلاقية كنتيجة حتمية لما يتلقاه هؤلاء من شبهات فكرية في موضع الاستعلاء عند المسلم ألا وهو الإيمان بالله واليوم الآخر .

والناظر في الواقع التعليمي في كثير من الدول الإسلامية يرى كيف عم الاختلاط بين الطلاب والطالبات في مراحل الدراسة بدءاً من المرحلة الابتدائية إلى الجامعية ، ويرى كيف كثرت المدارس الأجنبية التي تهتم بقبول أبناء الطبقة الراقية في المجتمع ، لتعلي في نفوسهم قدر العلوم الأجنبية ، وتحط في أفئدتهم من مقدار العلوم الإسلامية واللغة العربية التي هي لغة

---

(١) د. محمد علي جريشه ومحمد الزيبق - أساليب الغزو الفكري - ص : ٦٣ - ط : دار الاعتصام - القاهرة .
وانظر كذلك أنور الجندي - اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار - ص : ٢٠٢ - طبعة : دار الاعتصام - القاهرة .
(٢) د. محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية -) ٢١٨/ ٢١٩) باختصار .

القرآن الكريم ؛ حتى أصبحت المدارس الأجنبية في نظر كثير من أبناء الأمة محل تفاخر وعلو ، بينما أهملت المعاهد والجامعات الإسلامية - في بعض الدول - إهمالاً واضحاً ، وكما يقول الشيخ محمد الغزالي واصفاً الإهمال الذي لحق بالجامع الأزهر : -

(وزاد الطين بلة أن الدولة انصرفت عن العناية بهذا المسجد الكبير ، ولم تبال أن تتقلص منه عناصر الحياة وأن تسود فيه عناصر الركود والضعف فماذا ترى الآن ؟ إني أذهب إلى مباني الكليات الأزهرية ، وقاعة المحاضرات الكبرى ، فأجد عليها جميعاً غبرة ، ترهقها قترة ، برج الساعة خال لا ساعة فيه ، القاعة مقفرة لا أنيس بها ولا صوت ، زجاج النوافذ محطم ؛ وقد وضعت في فراغه أوراق الكرتون ، الأطلال القديمة تسفي الغبار . . . وجبل المقطم يلقى ظلال الخيبة على المكان الهامد ، ولقد كان من ثلاثين سنة مقابر للموتى ، وهو الآن مقابر لنفر من الشيوخ النائمين والشباب الهائمين . . .) [1].

ولا زال هذا الإهمال قائماً في كثير من الدول الإسلامية فيما يخص التعليم الديني في واقعنا المعاصر (ومن المحزن أن نجد في مناهج دول إسلامية عتيدة أن نصيب التربية الإسلامية كما يسمونها حصة واحدة في الأسبوع ، وفي كثير من البلدان هذه الحصة اختيارية ، وللطالب كامل الحرية في أن يؤدي الامتحان فيها أو لا ، وليس لها أي تأثير على اجتياز مرحلة تالية ، إن هذا التفريط في الواقع ناتج عن الانبهار الذي نراه أمامنا والذي حققه الغرب والشرق وفرض علينا بشتى الوسائل) [2].

لقد أدى البث المركز لهذه الشبهات الفكرية عن طريق التعليم إلى إضعاف التدين في نفوس الناشئة حتى أصبح كثير من أبناء المسلمين لا يعرفون من الإسلام إلا الاسم ومن تعاليمه إلا الرسم ، بينما يعرف عن ثقافة الغرب أضعاف ذلك بكثير ؛ مما يخشى أن يؤدي في نهاية المطاف إلى تبعية الأمة الإسلامية للغرب ، (وإذا كان المسلمون قد أهملوا فيما مضى البحث العلمي فإنهم لا يستطيعون أن ينتظروا إصلاح هذا الخطأ عن طريق قبول التعليم الغربي عن غير وازع ما ، إن كل تأخرنا العلمي وكل فقرنا لا يوزنان بذلك التأثير المميت الذي سيحدثه تقليدنا الأعمى

---

(١) محمد الغزالي - كفاح دين - ص : ٢٣٦ .

(٢) محمد العميل - مجموعة أبحاث ووقائع اللقاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٣٩٣ هـ - قضايا الفكر الإسلامي المعاصر - ص : ٢٢٥ - نقلاً عن عبد الله الشبانة - المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية - ص : ٩٠ - ط : ثالثة ١٩٩٧م - دار طيبة - السعودية .



لنظام التعليم الغربي في قوى الإسلام الدينية الكامنة ، إذا أردنا أن تحفظ حقيقة الإسلام على أنها عنصر ثقافي فيجب علينا أن نحترس من الجو الفكري للمدنية الغربية ، ذلك الجو الذي أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا وعلى ميولنا ، وبتقليد عادات الغرب وزيه في الحياة يصبح المسلمون تدريجاً مضطرين إلى الأخذ بوجهة النظر الغربية ، إن تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئاً فشيئاً إلى تقبل الميل العقلي المصاحب لذلك) [1].

ثالثاً : في الجانب القانوني :

لقد عاشت الأمة الإسلامية نحو ثلاثة عشر قرناً وهي تلتزم بشريعة الله عز وجل وتحتكم إلى شرعه جل وعلا امتثالاً لأمر رب السموات والأرض القائل في محكم تنزيله :﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [2].

يقول الدكتور القرضاوي : - (لم يفكر حاكم من الحكام طول هذه القرون الثلاثة عشر أن يرفض الالتزام بمبدأ الإسلام ، والاحتكام إلى شرعه ؛ وإن بلغ في الاستبداد والطغيان ما بلغ ، ولم يخطر ببال شعب من الشعوب المسلمة أن يحكمه يوماً نظام غير نظام الإسلام. . . كان الاعتزاز بهذا المنهج أو هذا النظام جزءاً من عقيدة كل فرد مسلم ، كان يغالي به ويزهى ، ويعتقد أنه وحده الحق (وماذا بعد الحق إلا الضلال) ، كان يؤمن أن في هذا النظام لكل داء دواء . . . وأن علاجه لا يدانيه علاج آخر يضعه البشر لأنفسهم ، أو يستمدون من أديان منسوخة محرفة انقضى زمنها وانتهت مهمتها .

كان كل مسلم يعتقد أن "الحل الإسلامي "لمشكلات الحياة هو الحل الفذ ، والحل الناجع ، لأنه حل وضعه الله لعباده ورضيه لهم ، وهو بهم بر رحيم ، كما أنه بهم عليم خبير كما قال تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [3][4].

---

(١) محمد أسد الإسلام على مفترق طرق - ص : ٧٨ - ترجمة : عمر فروخ - الطبعة الثامنة - ١٩٧٤م - دار العلم للملايين - بيروت .

(٢) سورة النساء - الآية : (٦٥) .

(٣) سورة الملك - الآية : (١٤) .

(٤)د. يوسف القرضاوي - الحلول المستوردة - ص : (١٨-١٩) .



لقد ظلت الأمة عزيزة مرهوبة الجانب يوم أن كانت تحكم كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم خاصة (وأن حكم الله ونهج رسوله صلى الله عليه وسلم لهما وضع السلطة النهائية والقانون الرئيسي في النظام الإسلامي ، فكل ما يحدث من نزاع بين المسلمين وأنفسهم ، أو بين الحكومة والرعايا ، لا بد من الرجوع فيه إلى القرآن والسنة للفصل فيه ، وعلى الجميع أن يذعنوا لما يصدر عنهما من حكم ، وعلى هذا فالإقرار والتسليم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مرجعاً رئيسياً وسلطة أساسية في أمور الحياة ومشكلاتها ؛ هو الخاصية الضرورية الأولية في النظام الإسلامي التي تميزه عن نظام الحياة الكافر) [1].

لم تكن هذه القضية موضع نقاش إلى أن سقطت الأمة الإسلامية تحت مطارق الشبهات والشهوات التي أغرقها بها الغرب فأصبح بعض المسلمين ينظرون إلى الشريعة الإسلامية أنها عنصر تخلف الأمة في هذا الزمن ، وأنه يجب نبذها واستبدالها بالدساتير الوضعية ، ولما نظرت الأمة إلى شريعتها الغراء هذه النظرة كان طبيعياً أن تلغى الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤م ، واستبدلت هذه الشريعة الإلهية بالقوانين البشرية الوضعية ، وسارت علمنة القانون جنباً إلى جنب مع علمنة الإعلام والتعليم حتى اكتسح الأمة الإسلامية سيل من الفوضى في كافة مناحي الحياة ، يقول الدكتور علي جريشه : -

(وكان أول مظهر لعلمنة القانون في تركيا عام ١٨٥٧م ، ثم تلاه في مصر عام ١٨٧٥ م صدور بعض القوانين مستمدة من غير الشريعة الإسلامية ، ثم تلاه في عام ١٨٨٣م إنشاء المحاكم الأهلية تحكم بالقانون بعيداً عن الشريعة الإسلامية ، وفي تركيا ومع الغاء الخلافة تم عام ١٩٢٤م :

١- إصدار قانون مدني مستمد من القانون السويسري .

٢ - إصدار قانون جنائي مستمد من القانون الإيطالي .

٣- إصدار قانون تجاري مستمد من القانون الألماني .

---

(١)أبو الأعلى المودودي - الحكومة الإسلامية - ص : ١١١ .

وفي مصر ومع معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧م اشترط المؤتمرون أن تستمد مصر تشريعها من التشريع الغربي - بعيداً عن الشريعة الإسلامية طبعاً - ومع زوال المحاكم المختلطة صدر القانون المدني عام ١٩٤٨م ناصاً في مادته الأولى على مصادر القانون جاعلاً في مقدمتها: التشريع الوضعي ، ثم العرف الوضعي ، ووضع في الدرجة الثالثة مبادئ الشريعة الإسلامية والقانون الطبيعي ، فجعل مكان (الشريعة) الدرجة الثالثة ، وجعل القانون الطبيعي مشاركاً لها ، وتبعتها في ذلك أكثر الدول العربية بعد استقلالها ، وصار القانون المدني المصري أساساً لكثير من القوانين في البلاد العربية)[١].

وهكذا لما بعد المسلمون عن المنبع الإيماني الذي يربطهم بالله واليوم الآخر والذي يقوم على أساس ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [٢]؛ هانت عليهم شريعتهم وساووها بالشرائع الأرضية جرياً وراء شبهات العلمانيين العرب والذين بدورهم أعادوا تصديرها للأمة الإسلامية بعد أن أخذوها من الغرب الكافر ، لقد ساوى العلمانيون العرب بين الشريعة الإلهية المعصومة وبين الأهواء الأرضية ، كما يقول الدكتور محمد رضا محرم : (الديمقراطية بلغة العصر والشورى بلغة الشرع . . . في المجتمع المعاصر تعمل في تلك المساحة ذاتها التي يعمل فيها الاجتهاد ، إذ أن الإسلام لم يعطنا تصوراً قياسياً لمجتمع يمكن أن نقيمه خارج الزمان والمكان)[٣].

ولا شك أن هذه مساواة جائرة فالديمقراطية هي حكم الشعب للشعب بالشعب فهي حكم الإنسان للإنسان حتى وإن أدى ذلك إلى إباحة المحرمات وانتشار الموبقات [٤]، بينما الشورى

---

(١)د . علي جريشه - الاتجاهات الفكرية المعاصرة - ص : (١١٣-١١٤) - الطبعة الثالثة - ١٩٩٠م - دار الوفاء - مصر .

وانظر كذلك محمد شريف - أساليب الغزو الفكري - ص : (٧٣-٧٤) .

وسعيد عبد الحكيم زيد - واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتآمرين - ص : ٥٧ وما بعدها - الطبعة الأولى - ١٩٩٧م - مكتبة وهبة - القاهرة .

(٢) سورة البقرة - الآية : (٢٨١) .

(٣) د. محمد رضا محرم - مقال بل المسلمون يمين ويسار - ضمن مجلة المسلم المعاصر - ص : ١٧٧ - العدد الخامس عشر - الكويت .

(٤) انظر النزعة المادية في العالم الإسلامي - للأستاذ : عادل التل - ص : ٢٤١ وما بعدها - الطبعة الأولى - ١٩٩٥م - دار البينة . وعبد الحميد الأنصاري، الشورى وأثرها في الديمقراطية - ص : ٤٢٥ وما بعدها - ط ١٩٨١م - المكتبة السلفية - القاهرة .

وكذلك د. علي الكواري - حوار من أجل الديمقراطية - ص : ١٢١ - ط : الأولى - ١٩٩٦م - دار الطليعة - بيروت .



نظام إسلامي قائم على المشاركة في الحكم ، وتقديم المشورة المخلصة لولي أمر المسلمين بما يعود بالمنفعة العامة على البلاد والعباد ، وهي أولاً وأخيراً امتثال لأمر الله عز وجل بقوله لرسوله عليه السلام : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾(٢) ، ولقد جاء الإسلام كاملاً بنظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم بما يعجز أن يدانيه فيه أي نظام أرضي وضعي ، ولكن هذه النظم بما فيها النظام السياسي الإسلامي (القائم على أن الحاكمية المطلقة لله رب العالمين) أزيحت عن الساحة في الواقع المعاصر ضمن ما أزيح من الأنظمة الإسلامية (وجرب المسلمون وما زالوا يجربون ، بل يراد لهم أن يجربوا في الحقيقة كل نظام سياسي إلا النظام الإسلامي ، ورفعوا - بل أريد لهم أن يرفعوا - كل شعار إلا شعار الإسلام ، وما زالوا يتخبطون في متاهات النظم ودياجير الشعارات الجوفاء ، وسيظلون في تخبطهم حتى يلبسوا ثوب إيمانهم الذي خلعوه ، واستبدلوا به ثياباً كفرية - ليست لهم - بين طويل الأكمام وقصيرها)(٣) .

لقد أثرت شبهات العلمانيين بأن زينت للأمة الباطل حتى أقنعتهم بعدم جدوى تحكيم شريعة الله عز وجل ، ثم ازداد تركيز هذه الشبه حتى لم يعد أحد - إلا ما ندر - ينكر إقصاء شريعة الله عز وجل عن واقع الحياة وكل هذا يدل على ضعف الإيمان باليوم الآخر ، وعلى تحطيم قدسية النص الديني ، وعلى تغلغل الفكر العلماني في واقع المسلمين إلى حد كبير ، (وعندما يحول المجتمع للعلمانية ، وينحسر الدين فقط في العلاقة بين الإنسان والرب ، وتسود العلاقات الوضعية بين الإنسان والإنسان ، يبدأ سيل الاضطراب والتمزق والاغتراب في نفوس البشر ، كما تكثر السرقات والاغتصابات وغيرها من ألوان الفساد والانحلال .

وعلينا أن نربط بين الأزمة النفسية للإنسان الغربي ، وأزمة الحضارة الغربية وبين تطبيق العلمانية فيها ، باعتبار أن هذه الأزمة هي النهاية المنطقية لفكرة العلمانية)(٤)

---

(١)سورة آل عمران - الآية : (١٥٩)

(٢) سورة الشورى - الآية : (٣٨) .

(٣)عبد الله بن حمد الشبانه - المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية - ص : ١٢٢ .

(٤)زكريا فايد - العلمانية النشأة والأثر - ص : ١٣٤ - الطبعة الأولى - ١٩٨٨م - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة .
وانظر مجالات انتشار العلمانية للدكتور محمد زين الهادي - ص ١١٨ وما بعدها .



لم يستطع الغرب مكافحة الفساد الأخلاقي والمالي والسياسي وغيره من أنواع الفساد بواسطة قوانينه الوضعية ، لأن الإنسان هناك بدا يتفنن بالتحايل على هذه القوانين لأنه غير مؤمن بها أصلاً ، وقد جربت أمريكا أن تحرم الخمر سنة ١٩١٩م ، وأنفقت الدولة مئات الملايين في مكافحة هذا الوباء ولم تفلح ، فقد زاد الإدمان على المشروبات الكحولية حتى اضطرت أمريكا إلى إلغاء (عصر التحريم) وفق التعديل الدستوري الحادي والعشرين والذي صدق عليه الكونجرس الأمريكي عام ١٩٣٣م (١) ، أين هذا من استجابة المؤمنين لتحريم الخمر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد نزول قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (٢).

فقام الصحابة رضي الله عنهم فاهرقوا قرب الخمر وكسروا دنانها استجابة للنداء الإيماني ، وامتثالاً لأمره صلى الله عليه وسلم ، مع أن العرب كانت أشهر أمة متعلقة بالخمر والذي يطالع الشعر الجاهلي ينظر كيف تفنن الشعراء الجاهليون بوصف الخمر وعددوا أسماءها ، ومع ذلك انتصرت قوة الإيمان بالله على الشهوة ، بينما تعجز القوانين الوضعية اليوم أن تأتي بعشر معشار هذا الانتصار على النفس ، أو مراقبة الإنسان لضميره بحيث يكون مراقباً ذاتياً لنفسه !! .

(١) انظر في هذا د. يوسف القرضاوي – الإيمان والحياة – ص : (٢١٧-٢١٨) – الطبعة التاسعة – ١٩٩٠م – مطبعة : دار وهبة – القاهرة .

(٢) سورة المائدة – الآية : (٩٠) .

الخاتمـــــة

الخاتمة

بعد أن استعرضنا أهم الشبه التي سطرها العلمانيون حول المعاد الأخروي ، أود أن أشير إلى بعض النقاط المهمة التي توصلت إليها في هذا البحث ، ومن أهمها ما يلي :

١ – العلمانية هي فصل الدين عن واقع الحياة ؛ وهي ترادف اللادينية ، وليس بينها وبين العلم أي صلة من ناحية النسبة .

٢ – نشأت العلمانية في المجتمع الغربي على أنقاض تعاليم الكنيسة المحرفة ، وبسبب تحريفات رجال الدين النصراني لتعاليم المسيحية ؛ مع تكبيل العقول وتحريم مجالات البحث العلمي ، مما كان لهذا الطغيان الكنسي أعظم الأثر في الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م التي أعلنت انفصال الدين عن الدولة .

٣ – تنقسم العلمانية في موقفها من الدين إلى قسمين : معتدلة وهي التي ترضى بالتعايش مع الأديان ، كما في المجتمعات الليبرالية ، ومتطرفة وهي التي لا ترضى إلا بوأد الدين وإعلان الإلحاد كما في الدول الشيوعية .

٤ – نتيجة لصراع الحضارات وهيمنة القوى على الضعيف ؛ انتقلت العلمانية الغربية إلى العالم الإسلامي ، ساعدها في ذلك ظهور القوميات في العالم الإسلامي ، وسقوط الخلافة ، والاستشراق والتنصير ، كما سهل الاستعمار الغربي لكثير من البلاد الإسلامية سهولة انتشار العلمانية فيها .

٥ – كان للنصارى العرب دور بارز في جلب العلمانية للعالم الإسلامي ، ثم أكمل الدور بعض أبناء المسلمين ممن فتنوا بحضارة الغرب وأصيبوا بالانبهار الثقافي في أوروبا ؛ ومنهم رفاعة الطهطاوي ، وعلي عبد الرازق ، وطه حسين ، مما جعلهم جسراً – شعروا بذلك أو لم يشعروا – عبرت عليه العلمانية إلى العالم الإسلامي .

٦ – أخطر المجالات التي انتشرت فيها العلمانية في العالم الإسلامي هي القانون والإعلام

والتعليم .

٧ – الإسلام والعلمانية لا يلتقيان ، إذ أن الحكم والتشريع لله وحده جل وعلا ، والعلمانية لا ترضى إلا بتنحية شرع الله من الأرض وذلك بتحييده (في العلمانية المعتدلة) أو وأده (في العلمانية المتطرفة) .

٨ – أجمعت الأمم السابقة على الإيمان باليوم الآخر وإن اختلفت تصوراتها حول ذلك اليوم ، والمعاد الأخروي في الإسلام ثابت بصريح القرآن وصحيح السنة وإجماع الأمة ، ولا ينكر ذلك إلا من خلع ربقة الإسلام من عنقه .

٩ – شبهات العلمانيين حول الإسلام عامة ، والمعاد الأخروي خاصة ، ما هو إلا تقليد فاشل لعلمانية أوروبا ، وإن كانت العلمانية هناك قد وجدت لها مبرراً في الثورة على (الدين المحرف) والتشكيك فيه إلا أنه ليس لها أي مبرر في الثورة على الدين الإسلامي النقي هنا والتشكيك في ثوابته ؛ فمحاولة زرع الشبه العلمانية في المجتمع الإسلامي ما هو إلا محاولة فاشلة لزراعة بذرة خبيثة في أراضي إسلامية لا تقبل تربتها إلا توحيد الخالق جل وعلا والاعتراف بحاكميته وتشريعه عز وجل .

١٠ – تلتقي شبهات العلمانيين في أنها نقول مشوهة عن عمد للتصور الإسلامي في عقيدة اليوم الآخر ، فهم يتعمدون الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائليات حتى يصلوا إلى أن قضايا المعاد الأخروي ما هي إلا أساطير الأولين ، وهذا يخالف أبسط قواعد البحث العلمي الذي يقتضي تحري الدقة عند نقل استدلالات الآخرين وإن خالفوك .

١١ – يدعي العلمانيون في شبهاتهم أن قضايا المعاد تخالف العقل ، ولأنها غير محسوسة ، بينما يؤمن هؤلاء بوجود أشياء غير محسوسة كالروح والعقل والجاذبية مما يوقعهم في تناقضات واضحة لا يستطيعون ردها .

١٢ – غالبية شبهاتهم ليست من أجل التوصل إلى الحقيقة ، ولكن من أجل إثارة الشك حول الدين الإسلامي ، ومجادلة بالباطل كما قال الله عن أسلافهم : ﴿**ما**

ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ .

١٣ – يعتبر الجهل العلمي ، والبحث عن الشهرة الدنيوية من الأسباب المؤدية إلى كثرة إثارة الشبـهـات حـول المعـاد الأخـروي ، فـالطعن في (المقـدس) هو أعظم باب عندهم للشهرة وكثرة الردود ، ومن ثم يصبح اسم أحدهم على كل لسان (وإن كان الذكر بالشر) .

١٤ – يتصور العلمانيون أنه لا يمكن للأمة أن تتقدم ما دامت تسيطر عليها (العقلية الغيبية) أي إيمانها باليوم الآخر ، ويتناسون عن عمد أن الدول التي كفرت بالعقلية الغيبية لم يحقق لهم كفرهم تقدماً علمياً ، كما أن الدول المتقدمة لازال كثير من علمائهم ورؤسائهم يؤمنون (بالعقلية الغيبية) وإن كانت محرفة .

١٥ – يهدف العلمانيون من كثرة إثارة الشبهات إلى هدم الدين الإسلامي وتقويض أركانه من الداخل كما صرح كثير منهم في كتبهم ، ولمح بعضهم إلى ذلك .

١٦ – أدت كثيرة إثارة الشبه من قبل العلمانيين حول المعاد الأخروي إلى إضعاف إيمان كثير من أبناء المسلمين ، ومن ثم ضعفت مقاومة الفرد للشهوات ، هذه المقاومة التي كان يستمدها أصلاً من إيمانه باليوم الآخر ، ومراقبته لخالقه جل وعلا .

١٧ – أدت الشبـهـات إلى كسـر هيبـة النص الديني عند بعض المسلمين مما أدى إلى انغماسهم في الشهوات وعدم الاكتراث بأمر رب الأرض والسماوات ، كما ظهر ذلك جلياً في عدة مجالات ، كالجانب التعليمي والقانوني والإعلامي .

١٨ – يوصي الباحث بتكثيف الدراسات حول القضايا المعاصرة والشبهات التي تدور حول الإسلام ، وأن لا يكتفى برد الشبهات وإنما يعرض الإسلام للمجتمع المعاصر بثوبه النقي مع طرح الحلول للمستجدات في الساحة الفكرية .

سائلاً الله التوفيق والعون والسداد ،،،

الفهارس :

1 - فـــهــــرس الآيـات القـــرآنيـــة .
2 - فـــهــــرس الأحـــاديث الـنـبــويـة .
3 - فـــهــــرس الأعـــــلام .
4 - فـــهــــرس غـــريـب الـلغـــة .
5 - فـــهــــرس المصــــادر والمراجـع .
6 - فـــهــــرس الموضـــوعـــات .

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

طـــرف الحـــديـــث **الصفحـــة**

طرف الحديث	الصفحة

فهرس الأعلام

فهرس غريب اللغة

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المراجع العربية ، وعددها (٣٤٥ مرجعاً) :

* إثبات عذاب القبر ، للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .
* اجتماع الجيوش الإسلامية ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق د/ عواد المعتق ، دار الفرزدق ، الرياض .
* أحكام الجنائز وبدعها ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
* إحياء علوم الدين ، الإمام أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت .
* أدب نجيب محفوظ وأشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب ، السيد أحمد فرج ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ ، دار الوفاء ، القاهرة .
* إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، محمد بن علي الشوكاني ، ط ١٩٧٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
* إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، أحمد بن محمد القسطلاني ، الطبعة السادسة ١٣٠٤ هـ ، تصوير دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت .
* إساءة الحضارة الرأسمالية والشيوعية إلى الله ، د/ غازي عناية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
* أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق عبد الرحمن محمود ، ط

١٩٧٩ ، دار المعرفة ، بيروت .

* أساليب الغزو الفكري ، د/ علي جريشه ومحمد الزيبق ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة .

* أسس الفلسفة ، د/ توفيق الطويل ، ط ١٩٥٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة .

* إسلام ضد الإسلام ، صادق النيهوم ، الطبعة الثانية ١٩٩٥ ، دار رياض الريس ، بيروت .

* أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، أنور الجندي ، طبعة دار الفضيلة ، القاهرة .

* أصل الشيوعية الروسية ، نيقولا بردائيف ، ترجمة فؤاد كامل ، الطبعة الأولى ١٩٦١ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة .

* أصول الدين ، جمال الدين الغزنوي ، تحقيق د/ عمر الداعوق ، ط ١٩٩٨ ، دار البشائر ، بيروت .

* أصول السنة ، لابن أبي زمنين .

* أصول قانون العقوبات في الدول العربية ، د/ محمد مصطفى .

* أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط الرئاسة العامة للإفتاء ، السعودية ١٩٨٣ .

* أعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزية ، طبعة دار الفكر ، بيروت .

* أفلاس الفكر الماركسي ، د/ محمد القوصي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة .

* الإبانة ، أبو الحسن الأشعري ، الطبعة الثانية ١٣٩٧ ، المطبعة السلفية .

* الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، د/ علي جريشه ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٠ ، دار الوفاء ، القاهرة .

* الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د/ محمد محمد حسين ، الطبعة التاسعة ، دار الرسالة السعودية .

* الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، علي بن بلبان الفارسي ، تحقيق كمال الحوت طبعة ١٩٨٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* الأحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق إحسان عباس .

* الأربعين في أصول الدين ، أبو حامد الغزالي .

* الأربعين في أصول الدين ، فخر الدين الرازي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

* الإرشاد ، إمام الحرمين الجويني ، تحقيق د/ محمود يوسف موسى ، وعبد المنعم علي ، ط ١٩٥٠ ، مكتبة الخانجي ، مصر .

* الأزهر بين السياسة وحرية الفكر ، محمد رجب بيومي ، ط ١٩٨٣ كتاب الهلال القاهرة .

* الاستشراق وجه للاستعمار الثقافي ، د/ عبد المتعال الجبري ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ ، مطبعة المدني ، السعودية .

* الأسس القرآنية للتقدم د/ محمد أحمد خلف الله ، طبعة كتاب الأهالي ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ ، القاهرة .

* الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، د/ علي عبد الواحد وافي ، طبعة القاهرة .

* الإسلام على مفترق طرق ، محمد أسد ، ترجمة عمر فروخ ، الطبعة التاسعة ،

١٩٧٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

* الإسلام في الأسر ، الصادق النيهوم ، الطبعة الثالثة ١٩٩٥ ، دار رياض الريس ، سوريا .
* الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، د/ محمد البهي ، الطبعة الثالثة ١٩٨١ ، مكتبة وهبه ، القاهرة .
* الإسلام في وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
* الإسلام وأصول الحكم ، علي عبد الرازق ، ط ١٩٢٥ ، مطبعة مصر ، القاهرة .
* الإسلام والحضارة الغربية ، البرت حوراني ، دار النهار ، بيروت .
* الإسلام والحضارة الغربية ، د/ محمد محمد حسين ، الطبعة التاسعة ١٩٩٣ ، مطبعة المدني ، القاهرة .
* الإسلام والسياسة ، د/ محمد عماره ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ ، دار التوزيع والنشر ، القاهرة .
* الإسلام والغرب والمستقبل ، آرنولد توينبي ، ترجمة د/ نبيل صبحي ، طبعة الدار العربية .
* الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ، محمد عبده ، ط ١٩٥٤ ، القاهرة .
* الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان .
* الاعتصام ، إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق محمد رشيد رضا ، مكتبة الرياض الحديثة ، السعودية .
* الاعتقاد ، للإمام البيهقي ، تحقيق أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق ، بيروت .
* الإعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة السادسة ١٩٨٤ ، دار العلم للملايين ،

بيروت .

* الاقتصاد في الاعتقاد ، الإمام الغزالي ، طبعة مكتبة الجندي ، القاهرة .
* الاقتصاد في الاعتقاد ، عبد الغني المقدسي ، تحقيق د / أحمد الغامدي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ مكتبة العلوم والحكم السعودية .
* الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح ، صديق حسن القنوجي ، طبعة ١٢٨٤ هـ ، الهند .
* الإنسان ذلك المجهول ، ألكسيس كاريل ، ترجمة أسعد فريد ، الطبعة الرابعة ١٩٨٥ ، مكتبة المعارف ، بيروت .
* الإنصاف ، للإمام الباقلاني ، الطبعة الثانية ١٩٦٣ ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة .
* الإيمان بالغيب ، بسام سلامة ، طبعة ١٩٨٣ ، مكتبة المنار ، الأردن .
* الإيمان للحافظ محمد بن إسحاق بن منده ، تحقيق د / علي بن محمد الفقيهي ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
* الإيمان والحياة ، د / يوسف القرضاوي ، الطبعة التاسعة ١٩٩٠ ، دار وهبه ، القاهرة .
* البعث والنشور ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي .
* البعثات العلمية في عهدي عباس الأول ، وسعيد عمر طوسون ، ط ١٩٣٤ ، الاسكندرية ، مصر .
* البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الجاحظ ، طبعة ١٩٦٨ ، دار الفكر للجميع ، بيروت .
* التاريخ الكبير ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
* التبشير والاستعمار ، د / عمر فروخ ، ود / مصطفى الخالدي ، ط ١٩٥٨ ،

صيدا ، لبنان .

* التبصير في معالم الدين ابن جرير الطبري ، تحقيق علي الشبل ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، دار العاصمة السعودية .

* التبيان في أقسام القرآن ، ابن قيم الجوزية ، دار الفكر ، بيروت .

* التخويف من النار ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق بشير عيون .

* التذكرة ، محمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق محمود البسطويسي ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، دار البخاري ، السعودية .

* التراث والتجديد ، حسن حنفي ، القاهرة .

* التراجع الحضاري في العالم الإسلامي ، د/ علي عبد الحليم محمود ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ ، دار الوفاء ، القاهرة .

* التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، مكتبة وهبة .

* التعريفات ، السيد الجرجاني ، طبعة ١٩٣٨ ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة .

* التفسير الكبير ، محمد بن عمر الفخر الرازي ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، ط ١٩٨١ ، مكتبة الغرباء ، السعودية .

* الجامع الصحيح (سنن الترمذي) محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي .

* الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، تصحيح أحمد عبد العليم المبردوني ، ط بيروت .

* الجرح والتعديل ، أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي ، الطبعة الأولى ١٩٥٢ ،

حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، نشر دار الفكر بيروت .

* الحجة في بيان المحجة ، أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني ، تحقيق محمد ربيع ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ ، دار الراية السعودية .

* الحضارة الغربية رؤية من الداخل ، أحمد منصور ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، دار القلم ، دمشق .

* الحقيقة الغائبة ، د/ فرج فوده ، طبعة القاهرة .

* الحكومة الإسلامية ، أبو الأعلى المودودي .

* الحل الإسلامي ، فريضة وضرورة ، د/ يوسف القرضاوي ، ط ١٩٨١ ، مؤسسة الرسالة ، سوريا .

* الحلول المستوردة ، د/ يوسف القرضاوي ، ط ١٩٨٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

* الخطاب الديني ، رؤية نقدية ، نصر حامد أبو زيد .

* الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي ، طبعة ١٩٩٣ ، دار الفكر ، بيروت .

* الدرة فيما يجب اعتقاده ، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، تحقيق د/ أحمد الناصر و د/ سعيد القزقي ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ ، مكتبة التراث ، مكة المكرمة .

* الدولة والأسطورة ، ارنست كسبرر ، ترجمة د/ أحمد حمدي محمود ، ط ١٩٧٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

* الرد على من قال بفناء الجنة والنار ، شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ محمد السمهري ، نشر دار بلنسيه ١٩٩٥ ، الرياض .

* الروح ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق يوسف بدوي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ، دار

ابن كثير ، بيروت .

* السقوط من الداخل (ترجمات ودراسات في المجتمع الأمريكي) د/ محمد سعود البشر ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ، دار العاصمة ، الرياض .

* السنة ، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

* السنة للإمام أحمد بن حنبل ، مطبوعة ضمن شذرات البلاتين ، جمع محمد حامد الفقي ، القاهرة .

* السنن الكبرى ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار المعرفة ، بيروت .

* الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي الإسلامي ، د/ هشام جعيط ، ترجمة المنجي الصيادي ، طبعة ١٩٨٤ ، دار الطليعة ، بيروت .

* الشريعة ، للإمام محمد بن الحسين الآجري .

* الشريعة ، محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* الشورى وأثرها في الديمقراطية ، عبد الحميد الأنصاري ، طبعة ١٩٨١ ، المكتبة السلفية ، القاهرة .

* الصحائف الإلهية ، شمس الدين السمرقندي ، تحقيق د/ أحمد الشريف ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

* الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

* الصحوة الإسلامية ، أنور الجندي ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة .

* الصحوة الإسلامية في مزان العقل ، د/فؤاد زكريا ، طبعة ١٩٨٥ ، دار التنوير

للنشر ، بيروت .

* الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، أبو الحسن الندوي .
* الصواعق المرسلة ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق د / علي الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض .
* الطائفية إلى أين ، د / فرج فودة ، طبعة القاهرة .
* العقل والغيب ، د / محمد حسن هيتو ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ ، دار البشائر ، بيروت .
* العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، ابن عبد الهادي ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .
* العلمانية ، تاريخ الكلمة وصيغتها ، أ . د / عبد الصبور شاهين ، ملحق بكتاب جذور العلمانية ، د / السيد أحمد فرج ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٣ ، دار الوفاء ، مصر .
* العلمانية ، د / سفر الحوالي ، ط١٩٨٧ ، الدار السلفية ، الكويت .
* العلمانية النشأة والأثر ، زكريا فايد ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة .
* العلمانية في أوروبا تاريخياً وحالياً ، جوزف مغيزل ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ، مركز الديمقراطيين العلمانيين ، بيروت .
* العلمانية من منظور مختلفة ، د / عزيز العظمة ، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .
* العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ، د / محمد البهي ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة .

* العلمانيون والإسلام ، محمد قطب ، الطبعة الأولى ١٤١٤ ، دار الوطن ، السعودية .
* العمائم الهاربة ، منير فارس ، ضمن كتاب الناقد نواب الأرض والسماء ، دار رياض الريس ، سوريا .
* العهد القديم والجديد (التوراة والإنجيل) دار الكتاب المقدس ، الشرق الأوسط .
* الغارة على العالم الإسلامي ، محب الدين الخطيب ، ومساعد اليافي ، ط ١٣٧٥ ، المكتبة السلفية .
* الغزو الثقافي ، د / محمد سيد ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
* الغزو الفكري ، د / عبد الستار فتح الله ، الطبعة الخامسة ١٩٨٩ ، دار الوفاء ، مصر .
* الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر ، د / علي عبد الحليم ، دار البحوث العلمية ، الكويت .
* الفتنة (جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر) د / هشام جعيط ، ترجمة خليل أحمد ، طبعة ١٩٩٢ ، دار الطليعة ، بيروت .
* الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر المطبعة العصرية ، بيروت .
* الفروق في اللغة ، أبو هلال العسكري ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ ، دار الآفاق الجديدة ، لبنان .
* الفصل في الملل والنحل ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق ، د / عبد الرحمن عميره ، ود / محمد إبراهيم نصر ، دار الجيل ، بيروت .

* الفقه الأكبر الإمام أبو حنيفة النعمان ، ط ١٤٠٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د/ محمد البهي ، الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبه ، القاهره .

* الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ، د/ محمد البهي ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ ، مكتبة وهبه ، القاهرة .

* الفكر الصوفي ، عبد الرحمن عبد الخالق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦ ، دار ابن تيمية ، الكويتي .

* الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، الطبعة الثانية ١٩٧٨ ، دار الرسالة ، بيروت .

* الكاشف ، للإمام محمد بن عثمان الذهبي .

* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، محمود بن عمر الزمخشري .

* اللآلي البهية ، شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد بن عبد الله المرداوي ، الطبعة الأولى ، الرياض .

* الله في الفلسفة الحديثة ، جيمس كولنز ، ترجمة فؤاد كامل ، طـ ١٩٧٣ ، مكتبة غريب ، القاهرة .

* الماركسية في الفلسفة ، حسين ناشا ، طبعة بغداد ، العراق .

* الماركسية والإسلام ، د/ مصطفى محمود ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف ، القاهرة .

* المجموعة الشعرية ، أدونيس (علي سليمان) طبعة بيروت .

* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق الرحالي فاروق وآخرون ، طبعة ١٩٧٨ ، قطر .

* المحصل محمد بن عمر الرازي ، تحقيق د/ حسين أتاي ، الطبعة الأولى ١٩٩١ ، دار التراث ، القاهرة .

* المحلي ، ابن حزم الأندلسي ، دار الكتب العلمية .

* المرشد الأمين للبنات والبنين ، رفاعة الطهطاوي ، ط ١٢٨٩ هـ ، مطبعة المدارس الملكية ، القاهرة .

* المسايرة في علم الكلام ، كمال الدين بن الهمام ، الطبعة الأولى المكتبة المحمودية التجارية .

* المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

* المسلمون ، ظاهرة الهزيمة النفسية ، عبد الله حمد الشبانة ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، دار طيبة السعودية .

* المسند ، أحمد بن حنبل ، فهرس الشيخ الألباني ، تصوير المكتب الإسلامي ، بيروت .

* المسيحية ، أحمد شلبي ، الطبعة الثامنية ، ١٩٩٠ ، مكتبة النهضة ، القاهرة .

* المسيحية ، نشأتها وتطورها ، شارل جينيبر ، ترجمة د / عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، بيروت .

* المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

* المعجم الفلسفي ، د/ جميل صليبا ، طبعة ١٩٨٢ ، دار الكتاب اللبناني ،

بيروت .

* المعجم المفصل في الأدب ، د/ محمد التونخي ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* المعجم الموسوعي للديانات ، د/ سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، دار الكتاب العربي ، دمشق .

* المعرفة في الإسلامي ، د/ عبد الله القرني ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ، دار عالم الفوائد ، السعودية .

* المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت .

* المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

* الملل والنحل ، محمد عبد الكريم الشهرستاني ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* المضنون به على غير أهله ، أبو حامد الغزالي .

* المنتقى من منهاج الاعتدال ، محمد بن عثمان الذهبي .

* المواجهة بين الإسلام والعلمانية ، د/ صلاح الصاوي .

* المواقف في علم الكلام ، عبد الرحمن بن أحمد الأيجي ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

* الموت في الديانات الشرقية ، حسين العودات ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ ، دار الأهالي ، دمشق .

* الموت والحياة ، مونتيرلان ١٩٤٢ ، منشورات غاليمار ، بيروت .

* الموطأ ، مالك بن أنس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة البابي الحلبي ، القاهرة .

* النبوة والمعاد ، حسين حنفي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

* النجاة ، ابن سينا ، طبعة ١٣٣١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

* النزعة المادية في العالم الإسلامي ، عادل التل ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ ، دار البينة .

* النظريات السياسية الإسلامية ، د / محمد الريس ، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

* النكير على منكري النعمة ، مصطفى صبري ، الطبعة الأولى ١٩٩١ ، دار القادري ، بيروت .

* النهاية في الفتن والملاحم ، إسماعيل بن كثير ، تحقيق محمد أحمد ، دار التراث الإسلامي ، مصر .

* النهاية في الفتن والملاحم ، محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق إسماعيل الأنصاري .

* الوابل الصيب ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق الأرناؤوط ، الطبعة الثانية ، بيروت .

* الوجه الآخر لطه حسين ، أنور الجندي ، القاهرة .

* اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، أنور الجندي ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة .

* اليمين واليسار في الفكر الديني ، حسن حنفي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

* اليهودية والماسونية ، عبد الرحمن الدوسري ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ ، دار السنة السعودية .

* اليوم الآخر ، د/ فرج الله عبد الله عبد الباري ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ ، دار الوفاء ، القاهرة .

* أهوال القبور ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد الفتيح ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة .

* إيثار الحق علي الخلق ابن الوزير ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* بيان تلبس الجهمية (نقض تأسيس الجهمية) شيخ الإسلام ابن تيمية ، تصحيح محمد بن قاسم .

* بين العلم والدين . أندرو ديسكون وايت ، ترجمة إسماعيل مظهر ، ١٩٣٠ ، القاهرة .

* بينات الحل الإسلامي ، د/ يوسف القرضاوي ، الطبعة الثانية ١٩٩٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

* تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، دار مكتبة الحياة ، مصر .

* تاريخ ابن الريوندي الملحد ، د/ عبد الأمير الأعسم ، الطبعة الأولى ١٩٧٥ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

* تاريخ الإمام محمد عبده ، محمد رشيد رضا ، طبعة القاهرة .

* تاريخ التعليم في مصر ، منير عطا الله ، طبعة ١٩٧٢ ، القاهرة .

* تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، الطبعة الخامسة ، دارالمعارف ، القاهرة .

* تاريخ أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، د / عبد العزيز الشناوي ، دار المعارف ، القاهرة .

* تاريخ جهنم جورج بنوا ، ترجمة انطوان الهاشم ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، دار

عويدات لبنان .

* تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .

* تبصرة الأدلة ، أبو المعين النسفي ، تحقيق كلود سلامة ، نشر المعهد العلمي الفرنسي ، دمشق .

* تحت راية القرآن ، مصطفى صادق الرفاعي ، الطبعة الثامنة ١٩٨٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

* تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان ، مرعي الكرمي الحنبلي .

* تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، رفاعة الطهطاوي ، ط ١٩٥٨ ، وزارة الثقافة مصر .

* تفسير البغوي (معالم التنزيل) الحسين بن مسعود البغوي ، دار المعرفة ، بيروت.

* تفسير الطبري (جامع البيان) محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت .

* تفسير القرآن الكريم ، إسماعيل بن كثير ، الطبعة الثانية ١٩٩٠ ، دار الجيل ، بيروت .

* تفسير القرآن الكريم ، الإمام ابن كثير ، طبعة ١٩٨٢ ، دار المعرفة ، بيروت .

* تفسير الماوردي ، علي بن حبيب الماوردي ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، وزارة الأوقاف الكويتية .

* تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله النسفي ، نشر عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

* تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، الراغب الأصفهاني ، ط ١٣٢٥ ، طبعة مصطفى الكتبي ، مصر .

* تقريب التهذيب ، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الوهاب

عبد اللطيف ، دار المعرفة ، بيروت .

* تكوين العقل الحديثة ، ج . هـ . راندال ، ترجمة جورج طعمة ، دار الثقافة ، بيروت .
* تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ، سعيد بن منصور بن كمونة اليهودي ، نشر دار الأنصار ، القاهرة .
* تهافت العلمانية ، د/ عماد الدين خليل ، ط ١٣٩٥ هـ ، بيروت .
* تهافت الفلاسفة ، الإمام أبو حامد الغزالي ، تحقيق سليمان دنيا ، الطبعة السابعة دار المعارف ، القاهرة .
* تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ، طبعة مكتبة الحياة ، بيروت .
* تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ دار الفكر ، بيروت .
* تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة .
* توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين ، مرعي بن يوسف الحنبلي ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ ، دار ابن حزم ، بيروت .
* تيسير الكريم الرحمن ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، طبع الرئاسة العامة للإفتاء ، السعودية .
* جامع البيان ، ابن جرير الطبري ، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ ، دار المعرفة ، بيروت .
* جذور العلمانية ، د/ السيد أحمد فرج ، الطبعة الخامسة ١٩٩٣ ، دار الوفاء ، مصر .
* جريدة الوطن الكويتية ٢٦/٢/١٩٩٨م .

* جغرافية الملذات (الجنس في الجنة) إبراهيم محمود ، الطبعة الثانية ١٩٩٨ ، دار رياض الريس ، سوريا .
* جهالات عصر التنوير ، محمد جلال كشك ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .
* جواهر الأدب ، أحمد الهاشمي ، ط ١٩٨٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق يوسف بديوي ومحي الدين مستو ، بيروت .
* حاضر العالم الإسلامي ، استوارد لوثرب ، ترجمة عجاج نويهض ، تعليق شكيب أرسلان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧١ ، دار الفكر ، بيروت .
* حرية الفكر سلامة موسى ، ط ١٩٦١ ، بيروت .
* حكمة الغرب ، برتراند رسل ، ترجمة فؤاد زكريا (سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٧٢) مطابع الرسالة ، الكويت .
* حوار من أجل الدمقراطية ، د/ علي الكواري ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، دار الطليعة ، بيروت .
* درء تعارض العقل والنقل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، مطبعة جامعة الإمام .
* دستور الأخلاق في القرآن ، د/ محمد عبد الله دراز ، ترجمة د/ عبد الصبور شاهين ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
* دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط ١٤٠٣ هـ الرئاسة العامة للإفتاء ، السعودية .
* دلائل النبوة ومعجزات الرسول ، د/ عبد الحليم محمود ، ط ١٣٩٥ ، دار

الإنسان ، القاهرة .

* دنيا الدين في حاضر العرب ، عزيز العظمة ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، دار الطليعة بيروت .
* دين ودولة ، د/ علي جريشه ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ ، دار الوفاء ، مصر .
* رسائل الإصلاح ، محمد الخضر حسين ، القاهرة .
* رسالة إلى أهل الثغر ، أبو الحسن الأشعري ، تحقيق عبد الله الجنيدي ، ط ١٤١٣ هـ ، نشر مركز البحث العلمي ، بالمدينة المنورة .
* رسالة عبدوس ، مصورة من خطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
* رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ، محمد إسماعيل الصنعاني ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، طبعة ١٩٨٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
* روح المعاني ، محمود الألوسي ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
* زاد المسير ، أبو الفرج بن الجوزي ، تحقيق السعيد بسيوني ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ، دار الفكر ، بيروت .
* زاد المعاد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
* زمن الشعر (أدونيس) علي سليمان ، طبعة بيروت .
* سقوط العلمانية ، أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
* سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
* سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار

إحياء التراث العربي .

* سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

* سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي .

* سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

* سير أعلام النبلاء ، محمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة السابعة ١٩٩٠ ، دار الرسالة ، سوريا .

* شبهات التغريب ، أنور الجندي ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن عماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

* شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، الإمام هبة الله بن الحسن اللالكائي ، تحقيق د / أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، السعودية .

* شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار الهمذاني ، تعليق أحمد بن الحسين تحقيق د / عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

* شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، الطبعة الأولى ١٩٩١ ، مؤسسة قرطبة .

* شرح الشريف الجرجاني على المواقف للأيجي ، ط ١٩٠٧ ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

* شرح الصدور ، جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ ، دار الرشيد ، سوريا .

* شرح العقيدة السفارينية ، محمد بن عبد العزيز بن مانع ، تحقيق أشرف عبد المقصود ، مكتبة أضواء السلف ، السعودية .
* شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني .
* شرح القصيدة النونية لابن القيم ، شرحها د / محمد خليل هراس ، ط ١٩٨٦ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
* شرح المقاصد ، سعد الدين التفتازاني ، تحقيق د / عبد الرحمن عميره ، عالم الكتب ، بيروت .
* شرح جوهرة التوحيد (تحفة المريد) إبراهيم بن محمد البيحوري ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
* شرح لمعة الاعتقاد للإمام عبد الله بن قدامة المقدسي ، شرحها محمد الصالح العثيمين ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ ، مكتبة الإمام البخاري ، مصر .
* شفاء الصدر بنفي عذاب القبر ، د / إسماعيل منصور ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ القاهرة .
* شفاء العليل ، ابن قيم الجوزية ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
* صحيح ابن ماجة ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
* صحيح البخاري (مع الفتح) محمد بن إسماعيل البخاري ، عناية محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .
* صحيح الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

* صحيح الجامع الصغير ، محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
* صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ ، مؤسسة قرطبة .
* صراع مع الملاحدة حتى العظم ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق .
* طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلي ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .
* طبقات الشافعية الكبرى ، عبد الوهاب بن علي السبكي ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي ، طبعة فيصل البابي الحلبي ، القاهرة .
* طريق الهجرتين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري .
* طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام ، أنور الجندي ، دار الاعتصام القاهرة .
* طه حسين مفكراً ، د/ عبد المجيد عبد السلام ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ ، دار النهضة ، الأردن .
* ظلام من الغرب ، محمد الغزالي ، ط١٩٦٥ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
* عرض تاريخي للفلسفة والعلم ، أ . وولف ، ترجمة محمد خلاف ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ ، القاهرة .
* عقائد المفكرين في القرن العشرين ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
* عقيدة السلف أصحاب الحديث ، الإمام أبو عثمان اسماعيل الصابوني ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، تصوير مكتبة طيبة ، الرياض .
* غاية المرام في علم الكلام ، سيف الدين الآمدي ، تحقيق حسن محمود عبد

اللطيف ، ط ١٩٧١ ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .

* غريب الحديث ، لابن الأثير ، تحقيق محمود الطناحي ، نشر أنصار السنة ، باكستان .

* غريب الحديث لابي الفرج بن الجوزي ، تحقيق د / عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

* فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، عناية محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .

* فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن القنوجي ، طبعة ١٩٦٥ ، مطبعة العاصمة ، القاهرة .

* فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت .

* فصل الدين عن الدولة ، إسماعيل الكيلاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ ، مكتبة وهبه ، القاهرة .

* في الأدب الجاهلي د / طه حسين (الأعمال الكاملة) دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

* فيصل التفرقة ، أبو حامد الغزالي .

* قاموس الكتاب المقدس ، مجموعة من اللاهوتيين ، الطبعة السادسة ١٩٨١ ، بيروت .

* قشور ولباب زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، القاهرة .

* قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، د / توفيق الطويل ، ط١٩٤٧ ، دار الفكر ، القاهرة .

* قصة الحضارة ، ول . ديورانت ، ترجمة د / زكي نجيب محمود ومحمد بدران

الطبعة الثانية ١٩٥٦ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

* قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، د/ توفيق الطويل ، مكتبة الآداب ، مصر .

* قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، د/ حسن حنفي ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

* قضية الثواب والعقاب ، د/ جابر السميري ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ ، الدار السودانية ، الخرطوم .

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، نشر مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

* كفاح دين ، محمد الغزالي .

* كوميديا الأشباح ، د/ غالي شكري ، بيروت .

* لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول ، أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي ، تحقيق د/ فوقية حسين الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، دار الأنصار ، القاهرة .

* لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت .

* لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

* لمع الأدلة في قواعد أهل السنة لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق د/ فوقية حسين ، الطبعة الأولى ١٩٦٥ ، نشر المؤسسة المصرية العامة للترجمة والتأليف ، القاهرة.

* لوامع الأنوار البهية ، محمد بن أحمد السفاريني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

* ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٤ ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

* مبادىء الفلسفة ، أ . س . رابوبرت ، ترجمة أحمد أمين ، الطبعة السادسة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

* مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام ، صديق حسن القنوجي ، الطبعة الأولى ١٢٨٩ هـ ، طبعة الهند .

* مجالات انتشار العلمانية ، د/ محمد زين الهادي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ ، دار العاصمة ، الرياض .

* مجلة الشريعة الأردنية ، عدد (٤٠٧) شعبان ١٤٢٠ .

* مجلة الطليعة القاهرية ، نوفمبر ١٩٧٥ .

* مجلة المسلم المعاصر ، عدد (١٥) الكويت .

* مجلة الناقد ، عدد ٦٤ أكتوبر ١٩٩٣ ، بيروت .

* مجلة الناقد اللبنانية (سيمفونية الملذات) عزيز العظمة ، عدد تموز يوليو ١٩٩٣.

* مجلة الهلال القاهرية ، إبريل ١٩٧١ .

* مجلة الهلال المصرية ، فبراير ١٩٨٦ .

* مجلة الهلال المصرية ، مايو ١٩٩٢ .

* مجلة اليسار الإسلامي ، العدد الأول ٣٠ يناير ١٩٨١ ، القاهرة .

* مجلة حواء المصرية ١٨/ ١١/ ١٩٧٢ .

* مجلة روز اليوسف المصرية ، إبريل ١٩٧٥ .

* مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، نشر الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، السعودية .

* محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، الطبعة الرابعة ، القاهرة .

* مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة .

* مختصر الصواعق المرسلة ، لابن قيم الجوزية ، اختصار محمد بن الموصلي ، طبعة ١٩٨٤ ، دار الندوة الجديدة .

* مدخل إلى العلوم السياسية ، علي لاغا ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ، دار بيروت المحروسة ، لبنان .

* مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، الطبعة الرابعة ، دار الشروق ، القاهرة .

* مراتب الإجماع ، ابن حزم الأندلسي ، تعليق شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

* مسائل الإمام أحمد بن حنبل ، رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل .

* مستقبل الثقافة في مصر ، د/ طه حسين ، ط ١٩٣٨ ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة .

* مستقبل الحضارة بين الإسلام والشيوعية العلمانية ، يوسف كمال ، الطبعة الأولى ١٩٧٤ ، دار المختار الإسلامي ، الكويت .

* مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود بن الجارود ، دار المعرفة ، بيروت .

* مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

* مصر بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية ، خالد محسن ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ ، مركز الإعلام العربي ، القاهرة .

* معارج القبول ، الحافظ الحكمي ، تحقيق عمر أبو عمر ، الطبعة الثالثة ١٩٩٥ ، دار ابن القيم ، السعودية .

* معالم تاريخ الإنسانية ، هـ . ج . ويلز ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ١٩٦٧

القاهرة .

* معالم تاريخ العصور الوسطى محمد رفعت ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٥ ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة .

* معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ١٩٩١ ، دارالجيل ، بيروت .

* مفهوم الله (من مستقبل ما بعد الموت إلى مستقبل شئون الحياة) أحمد ظاهر ، بحث ضمن كتاب الناقد ، نواب الأرض والسماء ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ ، دار رياض الريس ، سوريا .

* مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن الأشعري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

* من المسؤول عن تخلف المسلمين ، د/ محمد سعيد رمضان ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، مكتبة الفارابي ، دمشق .

* مناقب الإمام أحمد ، أبو الفرج بن الجوزي ، تحقيق د/ عبد المحسن التركي ، الطبعة الأولى ١٩٧٩ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

* مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية ، رفاعة الطهطاوي ، ط ١٩١٢ القاهرة .

* منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ١٩٨٩ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

* منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ، د/ عبد الله نومسوك ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ ، دار القلم ، الرياض .

* موسوعة العلوم السياسية ، محمد محمود ربيع ، وإسماعيل صبري ، طبعة جامعة الكويت .

* موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ ، أحمد العوايشة ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، دار مكة ، السعودية .
* موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ، الشيخ مصطفى صبري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
* موقف من الميتافيزيقيا ، د/ زكي نجيب محمود ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ ، دار الشروق ، مصر .
* ميزان الاعتدال محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق علي البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .
* نجيب محفوظ بين الإلحاد والإيمان ، ديب علي حسن ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، دار المنارة ، بيروت .
* نحو فقه جديد ، جمال البنا ، دار الفكر الإسلامي ، القاهرة .
* نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، أبو الفرج بن الجوزي ، تحقيق محمد الراضي ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ مؤسسة الرسالة بيروت .
* نشأة العلمانية ودخولها إلى العالم الإسلامي ، د/ محمد العرمابي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، دار العاصمة ، السعودية .
* نقد الخطاب الديني ، د/ نصر حامد أبو زيد ، طبعة القاهرة .
* نقد الفكر الديني ، صادق جلال العظم ، الطبعة الثامنة ١٩٩٧ ، دار الطليعة ، بيروت .
* نقد الفهم العصري للقرآن ، د/ عاطف أحمد ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ ، القاهرة .
* نوادر الأصول ، الحكيم الترمذي .
* نواقض الإيمان ، د/ عبد العزيز العبد اللطيف ، الطبعة الأولى ، دار الوطن ، الرياض .

* نونية ابن القيم الجوزية ، شرح أحمد بن عيسى ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
* هجمة علمانية جديدة ومحاكمة النص القرآني ، د/ كامل سعفان ، دار الفضيلة القاهرة .
* هلم نخرج من ظلمات التيه ، محمد قطب ، دار الوطن ، الرياض .
* واقع العالم الإسلامي ، سعيد عبد الحكيم زيد ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، مكتبة وهبه ، القاهرة .
* واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، الطبعة الثالثة ١٩٨٩ ، مؤسسة المدينة السعودية .
* يقظة الفكر العربي في مواجهة التغريب ، أنور الجندي ، مطبعة زهران ، القاهرة .
* يقظة أولي الاعتبار ، صديق حسن القنوجي ، تحقيق أسامة محمد عبد العظيم ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ، دار الفتح ، القاهرة .

ثانياً : المراجع الأجنبية وعددها (٥ مراجع) :

* Reese , W . L : Dictionary Of Philoso Phy and Riligion , Eastern and Riligion , Eastarn and Western thought Harvester Press .
* Microsoft Word Prog 1998 .
* Webesters Third new Intern ndtional dicianary U . S . A merriam Co 1971 .
* Oxford Advanced Learners Dic Of Current English .
* Encys . Britanica . V . IX

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة

الباب الأول : العلمانية والمعاد الأخروي :

الفصل الأول : العلمانية :

الفصل الثاني : الجنة والنار .

ملحق بتراجم بعض العلمانيين العرب

الدكتور محمد عركون (أركون)

جزائري من مواليد ١٩٢٨ ، أتم دراسته بباريس ١٩٥٥ وحصل على الدكتوراه من السربون ١٩٦٩ حول الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري، وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية.

معظم مؤلفاته بالفرنسية، وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام - والقرآن والسنة بالذات - بالمقاييس الغربية وبالاستفادة من المعطيات التي خلفها ماركس ونيتشه وغيرهما. ويعتبر الدين الذي ينتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركية التي خلفها الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة.

ومن آرائه أيضاً أن مفهوم الدين لم يبلور بلورة كافية للقيام بقفزة نظرية لا نتردد معها أن نجزم بأن الأديان ما هي إلا أيديولوجيات (مجلة الوحدة: العدد ٦ ـ ١٩٨٥).

الدكتور حسن حنفي

الدكتور حسن حنفي خشبة: أستاذ جامعي مصري، درس بجامعتي القاهرة وفاس، وله مشروع عنوانه « التراث والتجديد» صدر منه الجزء الأول، وله دراسات تناول فيها الموقف من الفكر العربي والغربي المعاصرين، وله دراسات في أصول الفقه وغير ذلك.

والدكتور حسن حنفي را ئد تيار اليسار الإسلامي، وأحد أبرز منظريه. وله بحث بعنوان: ماذا يعني اليسار الإسلامي، كما أصدر مجلة بعنوان: اليسار الإسلامي صدر منها عدد واحد فقط، وهو نشط يطوف المحافل والمؤتمرات « الملونة» بوصفة المفكر الإسلامي حامل لواء التجديد، وموري زند اليسارية الإسلامية. ساهم في تصدير إحدى الثورات المعروفة إلى مصر قبل أن يحس الناس بآثارها الحقيقية التخريبية وذ لك حين حقق وقدم دستور هذه الثورة في شكل كتاب مهم من تأليف إمامها.

ويشاع أنه يعتبر نفسه مجدد القرن الخامس عشر الهجري !!

ومن خلال آرائه نلاحظ دون مشقة ميله الشديد للاتجاه الماركسي أو العلماني ومحاولة تنزيلهما على الميراث الإسلامي كله، فهو يقول مثلاً : إن التراث والتجديد ليس عملاً للبرجوازية حتى ولو كانت وطنية، بل هو عمل لطليعة الطبقة العاملة، لأنه إعادة لتفسيرات التاريخ من وجهة نظرها وبناء على متطلباتها ـ التراث والتجديد: ص ٦٤ .

الدكتور محمد أحمد خلف الله

من أركان الفكر القومي المتطرف، الذي يعتمد المعايير الماركسية أسساً وظوابط له. له في كل فترة من الزمن فرقعة ذات دوي، بدأ بإثارة الغبار على قداسة القرآن الكريم وقطعية ثبوته، وذهب إلى أن الإسلام دين عربي لا يعدو جنساً معينا من البشر، ولا يجوز اعتباره رسالة للعالمين ـ المسلمون ـ ويرى أنه لا مانع من تزويج المسلمة بالنصراني واليهودي إذ لا يوجد نص قرآني مانع من ذلك في رأيه (المسلمون فبراير ٩١) ويفرق بين الدين والشريعة (العربي ٣٠٧) ويرى أن المعايير الإسلامية قاصرة لا تصلح لهذا الزمان (فلقد فعل الزمن فعلته في المعايير القديمة فعلاها الصدأ وتآكلت منها الجوانب، وخفت موازينها إلى الحد الذي أصبحت فيه عاجزة عن أن تكون أداة من أدوات الحق والعدل (الطليعة نوفمبر ١٩٧٥). وهو الذي ذهب إلى أن شرع المتقدمين علينا « حضاريًا) شرع لنا (الطليعة، مايو ١٩٧٦).

ويغلو في إعلاء العقل على النص حتى يقرر أن البشرية ليست في حاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم السماء (لأنها بلغت سن الرشد وآن لها أ تباشر شؤونها بنفسها) الطليعة: نوفمبر ١٩٧٥ـ ويرى تقديم المصلحة علي النص مطلقاً.

الدكتور / فرج فوده

الدكتور فرج فوده من مواليد الزرقا بمحافظ دمياط في ٢٠ أغسطس عام ١٩٤٤م، وقد حصل على الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي من جامعة عين شمس في سبتمبر ١٩٨١م. وأصدر

العديد من الكتب التي تخصصت في الدعوة إلى العلمانية، فصل الدولة عن الدين، وانتصبت لمحاربة التيار الإسلامي المعاصر، والتعريض بالإسلام شريعة وتاريخا ورموزا، نذكر منها: قبل السقوط ـ والحقيقة الغائبة ـ حوار حول العلمانية ـ الملعوب ـ الإرهاب ـ النذير ـ الطائفية إلى أين ؟ بالمشاركة مع آخرين، بالاضافة إلى عديد من المقالات والندوات التي نشرت في عدد من الصحف والمجلات.

وهو علماني حتى النخاع، وقف حياته لحرب الدعوة وتطبيق الشريعة الإسلامية وهو القائل «ببساطة أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية فوراً أو حتى خطوة خطوة».

الدكتور / نصر حامد أبو زيد

دكتور في جامعة القاهرة، وقد قدم بحثا عن الإمام الشافعي من أجل نيل الترقية في الجامعة وقد أتى فيه بالطوام الدالة على جهله وله عقائد خالف فيها عقيدة الإسلام وقد حكمت المحكمة بردته والتفريق بينه وبين زوجته.

هاجر من القاهرة ويدرس الأن في جامعة هولندا.

الدكتور / صادق جلال العظم

علماني سوري ألف كتاب نقد الفكر الديني وفيه يدافع عن الإلحاد وعن إبليس عليه لعنة الله ومن كتاب مجلة الناقد اللبنانية التي يصدرها رياض نجيب الريس.

حسين أحمد أمين

هو ابن الكاتب أحمد أمين، ولد بالقاهرة: ١٩٣٢، وتخرج في كلية الحقوق ١٩٥٣ ودرس الأدب الإنجليزي بجامعة لندن، وتنقل في أعمال كثيرة منها المحاماة والإذاعة والسلك الدبلوماسي الذي وصل فيه إلى درجة سفير سنة ١٩٨٦، وهو كاتب نشيط ساخر لاذع اللسان.



وله مؤلفات عدة منها: الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين والعرب المعاصرين لها ـ معضلة الرجل الأبيض ـ التراث وتحديات العصر ـ التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات.

من آرائه أن الشريعة الإسلامية ـ إذا ما درست وحللت دون أفكار مسبقة ـ ليست إلهية بالكامل، إنما هي نتيجة تطور تاريخي لجملة عادات وتقاليد وانتماءات متعددة وأحياناً متناقضة، وهو ممن يقولون إن العالم الإسلامي لن يلعب دوراً قيادياً على الساحة الدولية إلا حين يخضع ـ بعد عشرات السنوات ـ للاتحاد السوفييتي ليكتسب حينئذ وجوداً فعالاً في الميدان العالمي(!!)

الدكتور/هشام جعيط

علماني ليبي له مؤلفات سيئة عن الإسلام يدافع فيها عن اليهود ويتهم النبي ﷺ بظلمهم حاشاه ذلك ومن مؤلفاته أوروبا والإسلام وهو من أسوأ كتبه وهو من كتاب مجلة الناقد اللبنانية.

الدكتور/ عزيز العظمة

علماني لبناني من كتاب مجلة الناقد اللبنانية له عدة كتب منها دنيا الدين في حاضر العرب وكتاب العلمانية من منظور مختلف وغيرها يستهزأ بهذه الكتب باليوم الآخر والجنة والنار ويستهزأ بالحور العين وكل نعيم الجنة ويرى أنها خرافات وأساطير.